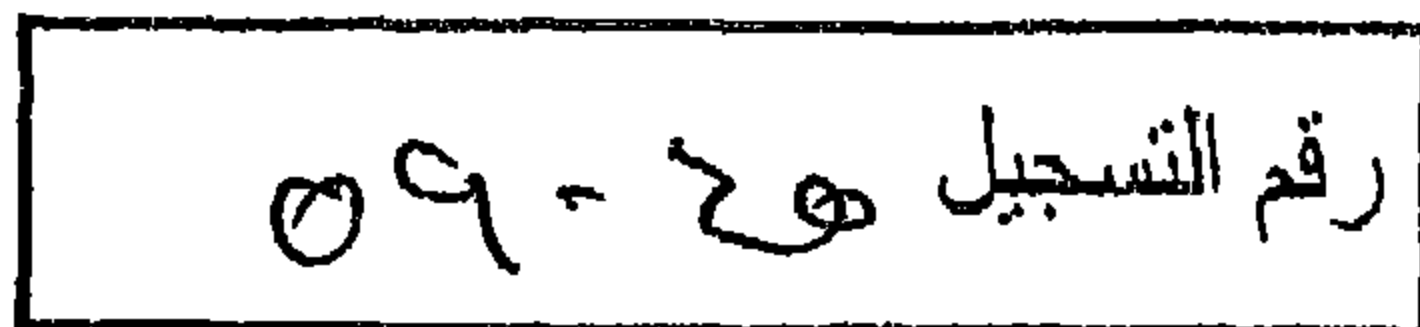


عبد الكريم العلاف

مذكرات القديسة

كتاب مصور ضم صفحات مطوية عن الحالة
الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية من عهد
الوالي مدحت باشا إلى عهد الاحتلال البريطاني

الدار العربية للموسوعات



بغداد القديمة

بغداد القديمة

كتاب مصور ضم صفحات مطوية عن الحالة الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية من عهد الوالي مدحت باشا إلى عهد الاحتلال البريطاني.

من سنة 1286 هـ - 1869 م
من سنة 1335 هـ - 1917 م



كتب عربي
(شراء)



تأليف

عبد الكريم العلاف

تصدير

العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

تقديم

السيد إبراهيم الواعظ

الدار العربية للموسوعات

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

كافة المراسلات تعنون بإسم:

الدار العربية للموسوعات

ص.ب: 13/5348 تليفاكس: 05/459981 - 05/459982

هاتف خليوي: 03/388363 - 03/525066

بيروت . لبنان

تصدير

بقلم الاستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي

بين ظاهر الحياة من شتى نواحيها الاجتماعية والعمرانية والثقافية والسياسية في الجيل الماضي وما يماثلها في الجيل الحاضر فروق بعيدة فنحن لانعيش اليوم كما عاش أهل جيل أو أجيال مضت لسانها. وكثير منا لا يعرف كيف كان يعيش الناس في تلك الفترة الماضية. ولا يعلمون ماهي عاداتهم في مطاعمهم ومشاربهم أوفي ملابسهم ومساكنهم أو في مراتبهم. ولا يعرفون كذلك ماهي وسائلهم في الثقافة. وماهي صنائعهم أو حرفهم ومهنتهم. وماهي مكانتهم التي يتبوأونها في سلم المدينة والحضارة إلي غير ذلك من الأحوال والأوضاع.

اجل ما اكثر من يجهل منا أوضاع بلادنا في جيل مضى. ومن أمتع البحوث التاريخية واكثرها فائدة واحسنها عائدة أن يتصدى كاتب أو أديب من الذين عاصروا أهل تلك الفترة واخذوا عن أهلها أو تحدثوا عنهم. وراقبوا سير التطور والتجدد الطارئ على مظاهر الحياة المذكورة.

لقد احسن الأديب المتفنن السيد عبد الكريم العلاف صنعا في وضع هذا السفر الذي تضمن نبذة صالحة من أخبار تلك الفترة الماضية. ووصف أوضاع بغداد، وأحوالها والإمام ببعض خططها وهندستها المعمارية على ما كانت عليه في ذلك الحين . هذا إلى التعريف بطبقة

من رجالها على اختلاف مناحيهم سواء أكانوا من الحكام أو الوجهاء أم من العلماء والشعراء والأدباء. والمقرئين المجودين وحفظة الكتاب الكريم. ولم يغفل التعريف ببعض أذ عار ومخيفي السبل وقاطعي الطرق على وجه لا يخلو من الطرافة. ومرد كثرة عدد هؤلاء إذ عار ومخيفي السبل في رأي هذا الأديب إلى مظالم الحكام وإلى فساد السياسة وضياع العدالة. وهو يدعو إلى التزام العفو والصفح عن العقوبة لأن فرض العقوبة الشديدة في كثير من الأحيان يدل على الضعف أكثر مما يدل على القوة.

عنى المؤلف مضافاً إلى ذلك بذكر جملة من الأندية والمجالس الأدبية حتى مجالس الأنس والطرب. ولم ينو به هذا الضرب من المجالس على علاوتها بل استهجن ما تشمل عليه أحياناً من الجنون والخلاعة والخروج عن الآداب. وندد بذلك ودعى إلى الحشمة والمحافظة على الاتزان.

وللاطلاع على رأي المؤلف الأديب في هذا الشأن يحسن قراءة الفصول التي كتبها عن الملاهي في بغداد.

لذلك يسرنا تقديم هذه الطرف التاريخية العراقية إلى القراء ولا شك أنهم سيرون فيها جهداً لطيفاً لمؤلف الكتاب والله ولي التوفيق.

المقدمة

بقلم المرحوم الأستاذ السيد إبراهيم الواعظ

الأستاذ الأديب عبد الكريم العلاف أحد أولئك الكثيرين الذين تخرجوا على يد أستاذهم الكبير والعالم المتضلع والفقيه الممتاز والشاعر الأديب الشيخ عبد الوهاب النائب عليه رحمة الله ورضوانه فان هذه المدرسة وهي مدرسة جامع الفضل وقد أسست على العلم والتقوى وكان علمها المفرد وعلمها الفذ الأستاذ النائب مستمرا على التدريس فيها ليلا ونهارا مدة تجاوزت الخمسين عاما تخرج منها مجموعة قيمة من رجالات العلم والأدب ببغداد فمن أديب لايجارى وأديب لا يبار وشاعر ملهم وكاتب بليغ وخطيب مصقع وفقيه متضلع ومفسر محقق ومحدث صادق ومدرس حاذق وقد اصبح كثير من المتخرجين من هذه المدرسة ذوي مناصب مرموقة وشهرة ذائعة في الأوساط العراقية وقد كان للأستاذ العلاف صفة خاصة من المتخرجين وله ولع فني الموسيقى وتحبير المذكرات عن الحوادث المختلفة فمن جملة ما ألف وكتب كتابه الفريد في بابه (الطرب عند العرب) طبع هذا الكتاب واصبح مرجعا مهما للموسيقى العراقية والموسيقيين وكتاب (المواهب في ذكرى عبد الوهاب النائب) والذي يدلنا على خلق سام ووفاء لأستاذه النائب رحمه الله واخيرا لم يرد أن يختم حياته بدون أن يخلدها تخليدا يبقى على كر العصور ومر الدهور فقد وضع هذا الكتاب الذي أقدمه اليوم الى قراء

العربية عامة والعراقية خاصة فقد جمع في فصوله وبين سطوره حوادث لم تكتب وقضايا لم تسجل وصورا عن الحالة الاجتماعية والمعاشية في بغداد خاصة والعراق عامة تعيد الى الكهول والشيوخ ذكريات قيمة مرت عليهم مرور صور السينما وكأنها لم تقع

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وتوضح للشباب العراقي ما كانت عليه بلاده في السنين الماضية من حالة اجتماعية ومعاشية وغيرها من سجلات الحياة. واني اقدم هذا الكتاب القيم الى القراء الكرام اكبر في المؤلف الفاضل هذه الهمة القعساء والجهد العظيم الذي صرفه في جمع ما جمع بين صحائف هذا الكتاب رغم المرض الذي لم يزل يلزمه وقد عطل يده اليمنى التي كانت ناصره وعضده في التأليف والكتابة سائلا المولى تعالى أن يشفيه مما هو فيه ويوفقه لاجراج أمثال هذه النواذر اللطيفة والمواضيع الظريفة انه سميع مجيب.

السيد إبراهيم الواعظ

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المتعال الدائم بلا زوال والصلاة والسلام على سيدنا
وملاذنا محمد وعلى اله وصحبه اولي الرفعة والكمال.
وبعد لقد عني المؤرخون بتدوين أحوال سكان بغداد منذ أول
تشبيدها واتخاذها عاصمة وعنوا بتدوين تطوراتها الاجتماعية والسياسية
والعمرانية والجغرافية ولذلك رأينا المكتبة العربية زاخرة بالمجلدات
الضخمة التي حفلت بأخبار بغداد وما يتصل بأحوال أهلها وولاياتها
وحكامها وعلمائها. وامتألت بطون الكتب بأحاديث شتى عن تصوير
وقائعها وكانت الأجيال تتناقلها حتى اليوم وتستزيد منها، غير أن فترة
قصيرة من أيام العهد العثماني في بغداد تدون عنها الأخبار بما تنفع
الغلة وتشفي العلة وخص تلك الأيام والعهد ما يبدأ من سنة ١٢٨٦ هـ
يقابلها سنة ١٨٦٩م حيث كان مدحت باشا المصلح الشهير واليا عليها
فلا تجد إلا نتفا قليلة من أوضاع سكان وأحوال هذه المدينة التاريخية
الخالدة وما فيها من ثقافة وعادات وتقاليد وأعمال وأزياء ومدارس
ومعاهد وعمارات وطرق وطوائف واجتماعات ومجالس ومقاهي
ونوادير ومتاجر ومصانع واسواق وخشية أن تظل هذه الفترة مجهولة
لدى الأجيال القادمة انتهزت الفرصة لجمع ما تفرق من أخبارها
والاستماع إلى روايات المعمرين من الجيل الماضي وأحاديث ممن

يروون عنهم طبقة عن طبقة كما رجعت إلى الصحف التي كانت تنشر في تلك الفترة والرسائل المتفرقة المخطوطة والمطبوعة وجمعتها إلى بعضها وصنفتها وحصلت على تصاوير شمسية (فوتغراف) للتعريف ببعض تلك الأحوال وأولئك الرجال لعلّي أكون قد خدمت الناحية التاريخية للباحثين والمتطلعين إلى معرفة شيء من هذه الحقيقة في تاريخ بغداد حتى لا تنقطع سلسلتها وتتطوي صفحات كتابها ولعلّي أيضاً قد بذلت جهداً في هذا السبيل يحقق الغاية المتوخاة ويلقي ضوءاً في ظلام التاريخ القريب والله من وراء القصد .

المؤلف

تأريخ بناء مدينة بغداد

ومن الأسماء التي أطلقت على مدينة بغداد اسم بغداد وبغدان ومغدان وبغداد والمنصورية نسبة لمؤسسها الخليفة المنصور واشتهرت كذلك بدار السلام والزوراء ومما جاء في تاريخ الأمم والملوك للطبري أن مدينة بغداد حين أمر المنصور ببنائها أراد أن ينظر إليها عياناً فأمر أن تخط بالرماد ثم أقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلاتها وطاقتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ودار عليها ينظر إلى ما خط من خنادقها ثم أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب قطن ويصب عليه النفط فنظر إليها والنار تشتعل ففهمها وأمر أن يحفر الأساس على ذلك الرسم ثم ابتدئ في عملها ، وقيل إن أبا جعفر لما أمر يحفر الخندق وإنشاء البناء واحكام الأساس أمر أن يجعل عرض السور في أسفله خمسين ذراعاً وقدر أعلاه بعشرين ذراعاً وبنيت المدينة مدورة وذلك عام ١٤٥هـ وجعل أبوابها أربعة على تدبير العساكر في الحروب وبنى قصره في وسطها والمسجد (الجامع) حول القصر ، وإن الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بغير اطفضة و(الروزكاري) أي العامل اليومي بحبتين إلى ثلاث حبات وقد عمل في البناء نيف ومئة ألف عامل وتوسط قصر الخليفة (باب الذهب) أو (القبة الخضراء) ولم يلبث المنصور إن بنى قصر الخلد ، والواقع أن المنصور هو باني القسمين الغربي والشرقي من بغداد على كلتي الضفتين وتوالى خلفاء العباسيين

بعد ذلك وكان همهم أن يعلوا شأن بغداد ويرفعوا قدرها ويجعلوا منها
قبة العلماء ومحطاً للناظرين.

ولعل أصدق وصف لما بلغت بغداد من شأو في ذلك الزمن ما جاء
في كتاب (الأعلاق النفيسة) لابن رسته إذ يقول إنها وسط الدنيا وسرة
الأرض والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض
ومغاربها سعة وكبراً وعمارة سكنها أصناف الناس من جميع البلدان
وهي مدينة بني هاشم ودار ملكهم ومحل سلطانهم وبساتينها هوائها
وعذوبة مائها حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وتفتت أذهانهم
حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والنظر والتميز .

وذكر الجاحظ في بغداد على لسان بعض الجند إنها الدنيا كلها
معلقة بها وصائرة إلى معناها وجميع الدنيا تبع لها وكذلك أهلها لأهلها
وفتا كلها لفتا كلها الخ..

ووصف ابن خلكان وابن الأثير لشارع أبي جعفر أنه أحسن ما
يكون واحفله من الشوارع واتساع بلغ آنذاك أربعين ذراعاً طوله من
دار الخلافة إلى محلة باب الشام على استقامة واحدة ليس في الإمكان
أصح منها.

وجاء في مقدمة ابن خلدون وصف لبغداد في ذلك العصر ولبغداد
جسران معقودان والناس يعبرونها ليلاً ونهاراً رجالاً ونساءً فليس من
ذلك نزهة متصلة من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد
عشر مسجداً منها بالجانب الغربي ثمانية وبالجانب الشرقي ثلاثة
والمساجد سواها كثيرة جداً وكذلك المدارس إلا أنها خربت ، وحمامات
بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمامات وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به

فيخيل لرأيه انه رخام اسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة
والبصرة تتبع أبدا به ويصير في جوانبها كالصلصال وفي كل حمام
منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار مطلبي به نصف
حائطها مما يلي الأرض والنصف الأعلى مطلبي بالجص الأبيض
الناصع الضدان بها مجتمعان مقابل حسنهما ، وفي داخل كل خلوة
حوض من الرخام فيه أنبوبان أحدهما يجري بالماء البارد .
هذا قليل من كثير مما جاء عن بغداد في كتب التاريخ وقد أرخت
عام بناء مدينة بغداد بقولي :

بغداد مشرقة وفي	إشراقها عمّ الصفاء
فيها الخلافة والثقا	فة والضيافة والسخاء
قد شادها المنصور لما	ضاق بالوطن الفضاء
وسعى لنهضتها فلم	يوقفه كد أو عناء
فالكرخ يزهو والرصا	فة منعش فيها الهواء
غنت بمربعها القيا	ن وقد سما فيها الغناء
وبنى الحصون لكي تؤ	من في المقاصير النساء
مذراق صرح بنائها	تاريخها نجز البناء

سيرة الولاية العثمانيين وإصلاحات

مدحت باشا

انتزع العثمانيون بغداد من أيدي الفرس الذين حكموها من سنة ٩١٤ هـ يقابلها سنة ١٥٣٥ م فظلت بغداد تحت حكمهم ٤٠٠ سنة إلى احتلالها من قبل الجيش البريطاني وقد تولى ولاية كثيرون وهم في الغالب من ذوى العقليات الصغيرة الضيقة ولم يكونوا من ذوى النزعة الإصلاحية فتركوا بغداد في غمرة من الفقر والجهل والمرض والحالة الاقتصادية المتدهورة وكان الشعب يعاني ألواناً من الاضطهاد والاستبداد والتعسف ولم يكن هم الولاية إلا جباية الضرائب وجمعها وإرسالها إلى عاصمة السلطنة العثمانية أستانبول ، ولكن بعض الولاية وهم أفراد قلائل يبذلون جهوداً في نشر العلم وتكريم رجاله كما أن أغلبية الشعب كانوا كالبقرة يستدر لبنها ويؤكل لحمها لا إرادة لها في شئون السياسة ولا سلطان لهم في حكم أنفسهم ولا يرتفع لهم صوت إلا في النادر وقد كان مصير من يدعو إلى الإصلاح والتحرر الاضطهاد والسجن والنفي فكانت طبقات هذا الشعب من علماء وحكام وتجار وزارعين وملاكين وفلاحين وعمال مسخرين جميعاً لخدمة السلطة والعمل على تثبيت قدمها وليكن الشعب بعد ذلك في ظلام دامس ونوم

عميق وسبات مطبق حتى ظهور الوالي مدحت باشا في عهد السلطان عبد العزيز بن السلطان عبد المجيد.

وفي ١٨ من شهر المحرم سنة ١٢٨٦هـ — يقابلها سنة ١٨٦٩م استقبلت بغداد طلائع عهد جديد أعقبه تباشير نهضة شاملة انتشرت بسرعة في أطراف العراق.

مشاريع مدحت باشا:

قام مدحت باشا في أول يوم تسلمه منصة الحكم بحملة إصلاحية واسعة النطاق مستتيरा بعقله الراجح وثقافته العالية، وبذر بذور صالحة في تربة بغداد البكر فقامت في غضون ثلاث سنوات من حكمه مشاريع عمرانية وثقافية دلت على عظمته وحسن إدارته وسنذكر هذه المشاريع واحدة بعد الأخرى.

جريدة الزوراء:

كان لمدحت باشا مشاريع لها مكانتها تستحق الذكر وقد أراد أن يدون ما يقوم به من المشاريع النافعة والأعمال الخالدة فصدر جريدة باسم الزوراء في وقت كان العراق لا يعرف عن الصحافة شيئاً وقد صدر العدد الأول منها في بغداد نهار الثلاثاء ٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٦هـ — يقابلها سنة ١٨٦٩م وكانت تنشر في اللغتين التركية والعربية

واستمرت تصدر طول أيامه وبعده حتى احتلال البريطانيين بغداد سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٧م.

طرق المواصلات:

وعلى ضوء جولة مدحت باشا العمرانية شرع في تبليط سوق (البلانجيه) ويسمى (بولنجيه) وهو اليوم شارع المأمون وجرى تبليطه تبليطا بارزا بجلاميد من الصخر وفي ذلك الوقت أطلق عليه (عقد الصخر) وقد شعر مدحت باشا أن وسط النقل لا زالت بدائية لا تكاد تسد حاجات الذين كانوا يتطلعون إلى ما يخفف عنهم عناء السير والانتقال بواسطة ركوب الحيوانات من بغداد للوصول إلى الأماكن النائية أو زيارة المراقد المقدسة في ضواحيها كبلدة الكاظمية التي دفن فيها الإمام موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام فبادر مدحت باشا إلى مشروع (الترامواي) بين بغداد والكاظمية وجعله شركة مساهمة اشترك فيها جماعة من سكان بغداد والكاظمية ومدت سكة الحديد التي تسير عليها عربات (الترامواي) التي تجرها الخيل.

ونظمت الشركة إدارة للنقل وظلت سائرة بانتظام حتى سنة ١٩٤١م حيث تقرر تصفية أعمال الشركة وانتهى هذا المشروع بعد أن استعيز عنه بالسيارات الكبيرة والصغيرة التي بدأت تنقل الركاب من الزائرين وغيرهم حتى استحدثت مصلحة نقل الركاب في العاصمة واستعملت السيارات الضخمة المريحة لتسهيل نقل الركاب في

شوارع بغداد وضواحيها البعيدة وتخليص الناس من حرارة القيظ وقر الشتاء في الليل والنهار.

النقل النهري:

تقع بغداد في قلب العراق وفي ملتقى الطرق النهرية نظرا إلى مركزها التجاري فان البضائع المستوردة إلى إيران من طريق الموصل والبصرة لابد أن تدخر في المستودعات ببغداد وخانتها وكانت وسائل النقل التي تنقل الأموال بين بغداد والبصرة مختصرة في السفن الشراعية.

وان الذهاب والإياب يستغرق وقتا إذ لا تقل المدة عن شهر كامل وان على الذي يريد السفر إلى البصرة يعد العدة كاملة من الزاد والغذاء لهذه الرحلة ناهيك مشقة السفر لاسيما إذا كان الهواء معاكسا لمجرى النهر فيضطر الملاحون إلى سحب السفينة بواسطة الحبال التي تشد بأعلى ساريتها ورأس مقدمتها وكثيرا ما كنت أسمع الملاحين وهم يجرون السفينة يرددون كلمة (ياموليسة) ولم أدر ما معنى هذه الكلمة وبعد التحري الدقيق عنها علمت أنها مجرد دعاء إلى الله تعالى وهو يلا مولاي سهل ولكثرة ترداد هذه الكلمة خفقت وصارت (ياموليسة) ولقد وقعت على قصيدة بمجموعة خطية يصف ناظمها أولئك الملاحين الذين يجرون السفينة وهي.

رأيتهم في غروب كئيب يعز على شمسهم أن تغيب

حدثهم بأشلاء ضوء نبيــــــــح
جبابرة عوذوا للهوســــــــاء
يلوحون صفا وثيد الحــــــــراك
يسيرون سير الهوان المريب
فتحسبهم أوغلوا في الخيــــــــال
على صدرهم من غضون الكفاح
تجاذبهم خطوهم للــــــــوراء
سواعدهم موثقات الزنــــــــود
تشق الفضاء بأظفارهمــــــــا
وأجسادهم حانيات لهــــــــا
كانهم في سفوح الزمــــــــان
سقاها سليمان من ســــــــره
أقاموا جنازا يئن الفضــــــــاء
يكاد ليغري ويمشي النخيــــــــل
شدوا واستجاروا وطاب النداء
ومروا حفاة عراة لهــــــــم
على الأرض خرس وإن همهموا
يجرون أيامهم خلفهــــــــم
عبيد الرياح كلانا رقيــــــــق
يعصفرون أشباحهم بالهيب
وبثوا رقاها لريح المغيب
كانهمو صلبوا في الكثيب
ويمشون مشي الزمان الكثيب
وعيناك تأخذهم من قريب
أفاعي حبال تلف الجنوب
فهم من عناء بقايا طروب
ولكنها عدة للهــــــــبوب
فتتشق أجواره أو تذوب
ركوع المحمل ثقل الذنوب
شياطين تحدو المساء الرهيب
فكادوا يمسون سمع الغيوب
بأصدائه وينوح الغروب
وراءهم وتذوب السهــــــــوب
ففاحت خطاهم وشقوا الجيوب
شهيق الثكالي وزفر الغريب
فهذي صلاة تذيب القلوب
وذكرى شقاوتهم والكروب
فغنوا وسلوا عبيد الخطوب

وكذلك كان السفر بين الموصل وبغداد مقتصرا على طريق النهر
(بالكلاك) جمع كلك ويقوم الطراحون جمع طراح بتسيير الكلک بواسطة

المجاديف، كماخوانهم ملاحى السفن الشراعية .وفي سنة ١٢٧٢ هـ — يقابلها ١٨٥٥ م اشترت الحكومة باخرتين لنقل الأموال التجارية والركاب من الأهلىن بين بغداد والبصرة .

وفي أيام الوالى مدحت باشا سنة ١٢٨٦ هـ يقابلها ١٨٦٩م ازداد عدد البواخر حتى بلغ ثمانى بواخر وعهدت أدارتها إلى دائرة المراكب وسميت إدارة(النهرية)، وكان محل هذه الإدارة فى جناح من أجنحة المدرسة المستنصرية المطلة على نهر دجلة ودامت المراكب تسير بين بغداد والبصرة إلى أن حدثت قضية بيع الإدارة النهرية لشركة (النـج) الإنكليزية وهذه القضية من القضايا الهامة وقد أصبحت موضوع حديث كل اثنين فى بغداد الأمر الذى يخشى على بيعها خروج نهري دجلة والفرات من سيادة الدولة العثمانية فقام أهل بغداد وقعدوا لهذا الحادث المريب لأن وسائل النقل ستكون منحصرة فى أيدي الشركة تتحكم بها كيفما تشاء فاحتج الأهلون على هذا الأمر الذى يضر أضراراً كلياً بالتجارة وفى مقدمتهم الوجيه عبد القادر باشا الخضيرى ووجهة احتجاجهم أن لا يرجع الأجانب على الأهلىن فكتبت برقيات عديدة إلى أستانبول وقد تداولها المجلس وطلب نواب العراق أن ينظر فى هذا الطلب بوجه العدل فرد طلبهم ووردت برقية كان فحواها لم تكن رغبة الحكومة أن تبيعها وإنما غرضها توحيد المساعي بصورة شركة لا غير وأخيراً بيعت أغلب الحصص وأخذت تسلمها رويدا رويدا.

وأما وسائل النقل بين جانب الرصافة والكرخ ببغداد فكان عبارة عن (القفف) جمع قفة و(البلام) جمع بلم بالتحريك وهو القارب وكان استعمال القفف شائعاً أكثر من القوارب البلام.

النقل البري :

أما النقل البري فلا يختلف عن النقل النهري فكلاهما مصدر الأتعب وكانت القوافل البرية على وضعها البدائي تتألف من البغال والحمير والخيول والإبل ويقال للمجموع السائرة منها (كروان) أو قافلة وعرب البدو يسمونه ضعن . والكروان المؤلف من مجموعة بغال وحمير وخيول وفي ضمنه (التخت روان) و(الكجاوة) و(المحمل) ويتألف (التخت روان) من عريش خشبي كالغرفة من مواد خشبية مجهزة بفراش وأثاث بحمل من الأمام والخلف و(الكجاوة) عبارة عن هودج مستور بالقماش بقي راكبه من الحرارة الشمس وهطول الأمطار ويشد أحدهما على بعير أو بغل من جهة اليمين واليسار و(المحمل) على غرار الهودج إلا أنه غير مستور، وكان السفر بين بغداد وكربلاء والحلة وبعقوبة بواسطة عربات خشبية تجرها خيول أو بغال تستغرق مدة سفرها اثني عشر ساعة أو أكثر من بغداد أو الحلة أو كربلاء.

وكان وجهاء بغداد وأغنيائها يعنون بتربية الخيول الأصيلة يمتطونها في أسفارهم إلى الأرياف بين المدن في حالة أنسهم ولـهـوهم وقد أخذ لها اصطبلات خاصة يقوم بإدارتها احذق السائسين المشهورين بتربية الخيول والطبقة المتوسطة تمطي حميراً من نوع الحسابات نسبة إلى مدينة الحسا وعندما تذهب إلى الميدان بالاسم المعروف الآن بالقرب من جامع الميدان تشاهد أصحاب الحمير مهينين حميرهم للكراء.

المتنزه العام:

من أعمال الوالي مدحت باشا الطيبة اتخاذ متنزها عاما في حديقة البلدية وكانت هذه الحديقة بستانا لنجيب باشا وتسمى (النجبسية) وقد أطلق عليها (المجيدية) وهي كائنة عبر الشاطئ الأيسر من دجلة في محل بناية المستشفى الحالي ولقد اعتنى بها اعتناء تاما فأصبحت متنزها لاهل بغداد يتمتعون بنسيمه وهوائه وأزهاره النضرة في حين لم يكونوا يعرفون قبل ذلك شيئا عن المتنزهات وانما يقضون أيام عطلم وأعيادهم في البساتين خارج بغداد على ساحل دجلة.

مصنع الغزل والنسيج:

لقد أدرك الوالي مدحت باشا إن من عوامل زيادة الرغبة في الخدمة العسكرية الترفيه عن الجنود وأول ما اعتنى في ملابسهم وتهيئة المقادير الكافية من الأقمشة والنسيج لخياطتها فاستورد الآلات الحديثة (مكائن) للغزل والنسيج بدلا من المياكة اليدوية (الجومة) فأسس معملا ينسج أقمشة ملابس الجنود ويسمى هذا المعمل (العباخانة) وفي محله اليوم مصلحة إدارة القنوير والكهرباء لمدينة بغداد.

المعاهد العلمية

الكتاتيب:

لم يكن للمعاهد العلمية شأن يذكر في ذلك العهد ولا يتعدى الكتاتيب لتعليم القرآن ومبادئ القراءة والكتابة وهذه أيضا قليلة وكانت دراستها مقتصرة على القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي في العبادات وعلم الخط، وكان الناس يتهافتون بإرسال أولادهم إليها واذكر جيدا كيف كنا نكتب الخط ويسمى (مشق) في قطعة من الصفيح (التنك) وبعد أن يطلع (الملا) على الخط ويكسب رضائه يغسله بالماء ونعود نكتب غيره وكذلك اذكر كيف كنا نطرح أرضا وتربط أقدامنا في (الفلة) وينهال عليها (الملا) بسوط (خيزرانة) والسعيد الذي يتقن درسه ويلزم الهدوء والسكينة لينجو من عذاب (الفلة) والام السوط، وهذه الكتاتيب ظهرت قبل ظهور المدارس حيث قامت الحكومة بتشيد مدارس ذات نظام جديد ومنها مدرسة الصنائع.

مدرسة الصنائع:

في سنة ١٢٨٦هـ - يقابلها سنة ١٨٦٩م أيام الوالي مدحت باشا أسست مدرسة الصنائع لأيتام المسلمين الذين لا معيل لهم يتعلمون صناعة النجارة والحدادة والنسيج وغيرها وعين لها أساتذة وظلت هذه

المدرسة قائمة حتى احتلال بغداد سنة ١٩١٧م ومحل بنائها اليوم اتخذ مقرا للبرلمان وهي في محلة الميدان تطل على نهر دجلة.

المدرسة الرشدية:

أسست المدرسة الرشدية سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م أيام الوالي مدحت باشا وبقيت حتى إعلان الدستور (المشروطة) سنة ١٣٢٤هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م ثم صارت بنائها كلية الحقوق ولما انهدمت شيد بمحلها متصرفية لواء بغداد الآن.

المدرسة الرشدية العسكرية:

أنشئت المدرسة الرشدية العسكرية سنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م أيام الوالي عبد الرحمن باشا ويتخرج طلاب هذه المدرسة للدخول في مدرسة الإعدادية العسكرية ودامت إلى احتلال الجيش البريطاني بغداد وتقع في محلة الميدان أي محل المدرسة الإعدادية المركزية الآن أمام دائرة البريد ومقابل النادي العسكري.

المدرسة الإعدادية العسكرية:

تم بناء المدرسة الإعدادية العسكرية سنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م لتخرج الطلاب وإرسالهم إلى الكلية العسكرية في استانبول

لاكمال دراستهم ليتخرجوا ضباطا عسكريين وقد ظلت مستمرة حتى الاحتلال البريطاني وقد اتخذت بنائها مقرا للمحاكم المدنية والجزائية الآن.

المدرسة الإعدادية الملكية:

تم بناء المدرسة الإعدادية الملكية سنة ١٣٠٨هـ يقابلها سنة ١٨٩٠م أيام الوالي حسين جلال بك وفي هذه السنة بدل إسمها وصارت تعرف (بمكتب السلطاني).

المدرسة الرشدية بجانب الكرخ:

تم بناء المدرسة الرشدية في جانب الكرخ وافتتحت في ١٥ ربيع الثاني سنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م أيام الوالي عبد الرحمن باشا. وقد جرى على هذه المدرسة تطورات عديدة وبالأخير جعلت لتخرج ضباط الصف العسكريين وأطلق عليها باللغة التركية عبارة (كوجك ضابطان مكتبي).

المدرسة الحميدية:

في أيام الوالي سري باشا سنة ١٣٠٧هـ يقابلها ١٨٨٩م كانت محلة الفضل في طليعة محلات بغداد وكان أبناؤها محرومين من

ارتشاف العلم فتقدم شيخ علماء زمان العلامة المرحوم عبد الوهاب النائب وشيد مدرسة فيها من خالص ماله وبعد أن أتم تعميرها وهبها إلى الحكومة لتكون تحت رعايتها فتقبلتها منه قبولاً حسناً وقامت بتأثيثها وتعيين مدرسين لها واطلق عليها اسم (حميدية مكتبي) لأنها شيدت في عهد السلطان عبد الحميد وأول مدير عين لها المرحوم الشيخ عبد المحسن الطائي والد الأستاذ الحاج كمال الدين الطائي مدرس جامع الحيدر خانة حالياً وهي باقية إلى الآن واطلق عليها (مدرسة الفضل الابتدائية).

دار المعلمين:

في أيام الوالي نامق باشا أسست دار المعلمين وكان عدد الطلاب فيها ٠٤ طالباً ومدة الدراسة فيها لاتزيد على السنتين وكان أول مدير لها عبد الله أفندي وحسب ما اعتقد هو المرحوم عبد الله أفندي الخطيب الأسبق لجامع المرادية بالميدان وبعده المرحوم الشيخ نوري الشيرواني وبقي فيها مدة وعين لها بالوكالة الأستاذ حسن رضا خريج كلية الحقوق بدرجة على الأعلى ثم عين لها عادل بك وهو تركي الأصل وقد ألحقت بهذه الدار مدرسة ابتدائية للتطبيق وهي مدرسة تطبيقات دار المعلمين وكانت تشغل البناية الواقعة قبالة نادي الضباط اليوم. أما دار المعلمين نفسها فقد كانت تشغل مكان بناية متصرفية لواء بغداد الحالية ثم انتقلت إلى بناية المدرسة الرشدية في الكرخ وظلت مستمرة في الدراسة حتى توقفت عند إعلان الحرب العالمية الأولى.

مدرسة ابتدائية:

عمرت مدرسة ابتدائية سنة ١٣١٢هـ - يقابلها سنة ١٨٩٤م أيام الوالي الحاج حسن باشا وهذه المدرسة في محلة الميدان وهي ملاصقة للمدرسة الرشدية العسكرية تجاه النادي العسكري اليوم على ساحل دجلة والتي أصبحت تطبيقات دار المعلمين.

مدرسة الجعفرية:

لم يكن لابناء الطائفة الجعفرية غير مدرسة دينية واحدة يرتادها الطلاب لارتشاف مناهل العلم أسسها المرحوم الشيخ شكر في أواخر القرن التاسع عشر في دواخنة السيد حسين السيد حيدر ببغداد وبعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ - يقابلها سنة ١٩٠٨م والمناذات بالحرية والمساواة ونهوض الحكومة في فتح المدارس المختلفة شعر أبناء الجعفرية بضرورة وجود مدرسة خاصة بهم فآخذ يعمل بها جماعة من العلماء والوجهاء منهم المرحوم السيد عبد الكريم الحيدري وال مرحوم الشيخ شكر وال مرحوم الحاج سلمان أبو التمن فعقدوا اجتماعا لهذا الغرض وانتخبت هيئة تتألف من ذوات لهم مكانة سامية وبعد المداولات حرروا طلبا إلى الوالي نجم الدين منلا يطلبون به الإجازة في فتح المدرسة وبعد موافقة الوالي على منح الإجازة فتحت في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦هـ - يقابلها ١٩٠٩م واطلق عليها اسم (المكتب الترقى الجعفري) وهو الاسم الذي أطلقه عليها مؤسسها

المرحوم الشيخ شكر واصبح مديرا لها واتخذ مقرا لها دار مجاورة لمسجد الحاج داود أبو التمن وفي نهاية الحرب الأولى سنة ١٩١٨م فرغ من إنشاء بناية لها وغيّرت إليها اسمها واصبحت (المدرسة الجعفرية) وهي إلى الآن تؤدي رسالتها العلمية بكل جد واخلص حتى أصبحت تضاهي المدارس العالية ببغداد.

مدرسة تحفة المأمورين:

في سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالي جمال باشا أسست مدرسة تحفة المأمورين وقد أجريت مراسيم افتتاحها برعاية جمال باشا وحضر المراسيم القائد سليمان عسكري بك وتقع هذه المدرسة في محلة الميدان وعلق على بابها لوحة كتب عليها باللغة التركية (تحفة مأمورين مكتبي).

مدرسة ابتدائية ثانية:

في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٢هـ يقابلها سنة ١٩١٤م حضر الوالي جاويد باشا ووكيل مدير المعارف الأستاذ حكمت سليمان وقد تولى منصب رئيس الوزراء سنة ١٩٣٦م لوضع الحجر الأساس لتشيد مدرسة ابتدائية بالقرب من جامع الخاتون ببغداد وهي الآن مدرسة دار المعلمات الابتدائية.

ومما يجدر الإشارة إليه أن سبب تأسيس هذه المدرسة هو أن أهالي مدينة النجف تبرعوا بمبلغ أربعة آلاف ليرة ذهب عثمانية بمناسبة تنصيب سادن (كليدار) جديد للروضة الحيدرية في عهد الوالي جاويد باشا فرفضها الوالي خوفا من أن تعتبر رشوة ولما سمع الأستاذ حكمت سليمان وهو يوم ذاك مدير مدرسة الحقوق ووكيل مدير معارف لواء بغداد خف إلى الوالي وفاوضه في قبولها وتقديمها إلى دائرة المعارف لبناء مؤسسات علمية وفي الحال استدعى الوالي الوفد وعرض عليه هذه الفكرة فقدم المبلغ الذي تبرع به وتشكلت هيئة قوامها كل من عبد القادر باشا الخضير والتاجر عبد الوهاب محمد أغا وتحت إشراف هذه الهيئة بنيت هذه المدرسة كما بنى مخفر في جهة الباب الشرقي (البتاوين) اليوم.

مدرسة الاتحاد والترقي:

أسست هذه المدرسة سنة ١٣٣٢هـ يقابلها سنة ١٩١٤م أيام الوالي جاويد باشا من المبلغ الذي تبرع به أهل النجف وقام بتعميرها أوسطه علوان الدوري وكانت هذه المدرسة قبل تعميرها من أشهر المقاهي في الميدان وتسمى (قهوة البلدية) وقد أرخت عام بنائها بقولي:

بشراكم يا أهل بغداد في	مدرسة شيدت بفضل الجواد
رائدها العلم ونبراسها	يهدي الوري إلى طريق الرشاد
قولوا لمن يطلب تاريخها	عنوانها مدرسة الاتحاد

١٣٣٢ هـ

وبعد نزوح العثمانيين من بغداد انتقلت إلى مدرسة ابتدائية باسم المدرسة (المأمونية) ولهذه المدرسة بذل الأستاذ حكمت سليمان قصارى جهده في توسيعها إذ حصل على قسم من حديقة (القلعة) المجاورة لها وضمه إلى فناء المدرسة حتى أصبحت مدرسة فخمة تضم خير الطلاب وأكابر الأستاذة وأخيرا انتقلت إليها مديرية معارف لواء بغداد المركزي ولا زالت تشغلها.

مدرسة التهذيب للبنات:

في سنة ١٢٩٣هـ يقابلها سنة ١٨٧٦م أسست جمعية الاتحاد الإسرائيلي ببغداد مدرسة للبنات أطلق عليها اسم (مدرسة التهذيب للبنات) وعينت لها مدرسات ودامت إلى أن وقع الاحتلال البريطاني في بغداد .

مدرسة الكاثوليك للكلدان:

في سنة ١٢٩٥هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م أسست مدرسة الكاثوليك للكلدان وعرفت باسم (مدرسة الاتفاق الكاثوليك الشرقية).

مدرسة لورا خضوري:

شيد اليغازار مدرسة للإناث الإسرائيليات وكان الانتهاء من تشييدها سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م وأجريت مراسيم افتتاحها برعاية الوالي جمال باشا وجعلها باسم قرينته لورا خضوري ودامت حتى احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني .

المستشفيات

مستشفى المجيدية:

كانت هذه المستشفى في أول أمرها بستانا ويسمى بستان (نجيب باشا) قد اتخذه والي بغداد مدحت باشا متنزا عاما كما ذكرنا واطلق عليه (حديقة البلدية) وفي سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م صدر الأمر من نظارة الداخلية العثمانية (وزارة الداخلية) لاتخاذ هذا المنتزه مستشفى عسكريا وكانت المستشفى العسكري يومذاك في محلة الميدان وهي اليوم نادي الضباط العسكري وبقيت هذه المستشفى وهي تزخر بالمرضى العسكريين إلى آخر العهد العثماني وأهل بغداد يعبرون عنها (بخستخانة المجيدية) وهي اليوم المستشفى الجمهوري يؤمه الأهليون للتداوي به.

مستشفى الغرباء بالكرخ:

لقد شعر مدحت باشا أبان النهضة العراقية التي أخذ على عاتقه أن بغداد خالية من مستشفى للغرباء ولما كانت نفقات تشييد هذه المستشفى تتطلب مبالغ جسيمة تنوء بها ميزانية الدولة شحذ همة الأهليين في بغداد للتبرع لهذا المشروع الإنساني فانهالت التبرعات من الأغنياء والوجهاء فشيّد بها مستشفى للغرباء بجانب الكرخ في الحديقة التابعة إلى وقف

سليمان باشا وقد أرخ بناءها المرحوم العلامة عبد الوهاب النساب ولا
يزال التاريخ بأعلى بنائها وهو:

لله ما أطيب هذا البناء في وضعه ليس له من مثيل
على التقى مذ تم أرخته أطيبه هذا شفاء العليل
١٢٨٦ هـ

ولم تبق هذه المستشفى على ما هي عليه وإنما أصابها تقلبات كثيرة
أدت إلى إهمالها وفي عهد الوالي قدري باشا سنة ١٢٩٥ هـ يقابلها سنة
١٨٧٨م قرر تعمیر هذه المستشفى وإصلاحها وقبول المرضى فيها
وبعد ذلك في سنة ١٩٢٥م اتخذت مقرا للمجلس التأسيسي العراقي الذي
سن القانون الأساسي وصدق على المعاهدة العراقية البريطانية وبعد
ذلك أصبح مقرا لمجلس الأمة مدة غير يسيرة إلى أن أعيدت بصفتها
مستشفى الكرخ وانتقل مجلس الأمة إلى بناية مدرسة الصنائع العثمانية
التي بناها الوالي مدحت باشا وهي بالقرب من دار الضباط العسكري.

مستشفى الغرباء بجانب الرصافة:

في أيام الوالي نامق باشا الصغير شيدت مستشفى ثانية للغرباء في
جانب الرصافة خارج باب المعظم وقد غرست أمامها حديقة غناء وفي
صباح يوم الخميس ١٥ ذي الحجة سنة ١٣١٨ هـ يقابلها سنة ١٩٠٠م
أجريت مراسيم افتتاحها ودامت مدة وهي تزخر بالمرضى ثم انقلبت

مستشفى للأمراض العقلية (المجانين) والآن فيها بناية السجن المركزي
للواء بغداد.

مستشفى مئير الياص:

شيدت هذا المستشفى مئير الياهو الياص وتقع خارج باب المعظم
مقابل ثكنة الخبال (الكرنتينة) بالسابق وفي يوم ٩ شعبان سنة ١٣٢٨هـ
يقابلها سنة ١٩١٠م أجريت مراسيم افتتاحها وقد فتح بابها الوالي ناظم
باشا بيده وهذه المستشفى باقية إلى الآن.

الأطباء:

كان الأطباء قليلين بالنسبة إلى سكان بغداد في ذلك العهد وأهل
بغداد يسمون الطبيب (دكتور) وأشهر الأطباء في الأربعين سنة التي
تسبق عهدنا هذا كل من (مظفر بك) و(نظام الدين بك) و(ادلر) النمساوي
و(أرسطو) و(يانقو) وهذا الطبيب حينما يذهب لفحص المريض
يمتطي (بغلة شهباء) وبعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ يقابلها
سنة ١٩٠٨م جاء إلى بغداد عدد من الأطباء عسكريين ومدنيين
وأشهرهم الطبيب (بلال بك) وهذا نطاسي بارع وعلى جانب عظيم من
حسن الخلق فضلا على زهده وتقواه والطبيب (كاني بك) وهو جراح
ماهر ولم يكن في بغداد قبل مجيء (كاني بك) جراح عليه المعول

غير (عزت بك) وكان في بغداد جراح أهلي يدعى (اوسطه عباس)
وامرأة يهودية اسمها فرحة خاتون تمارس طب العيون.
أما طب الأسنان فهو منوط بالحلاقين في بغداد.

تخطيط بغداد وأحوالها العمرانية

يروى العارفون من طبقة المعمرين في بغداد عن أسلافهم بعد آخر نكبة نكبت بها بغداد من الغزوات كانت على جانب عظيم من الحضارة والعمران ولكن الوباء (الطاعون) الذي فتك بأهلها وطغيان دجلة (الغرق) في عين الوقت كانا في خرابها أكثر من غزوات (هولاكو وتيمورلنك) وكان الوباء يذهب بـ ١٥٠٠ نفس في الأسبوع والذين ينجون منه ذهبوا ضحية الغرق والفيضان وبعد هذه الكارثة أخذ أجداد سكانها الحاليين يعيدون ما خرب منها ويبنونها كل على ذوقه وحسب اقتداره بدون تصميم وبغير اتساق فنشأت معوجة الجدران وعلت السطوح على السطوح ولاذت الأواوين بالغرف واشترأبت الشرفات إلى الشرفات وأمدت بعضها إلى بعض فتوسعت البيوت وضائق الطرق وصارت تدعى بلغة البغداديين (درايين). وما كان الولاة والحكام ليكثرثوا بهذا الحال ما دام أبناء البلد يدفعون الضرائب وهم صاغرون. لقد ظهرت بغداد بهذا المظهر المزري مظهر الفوضى في البناء وصارت الدور متراصة مبعثرة تكتنفها (الدرايين) كما عبروا عنها بادية بضيقها واعوجاجها وفي هذه المظاهر من نشأتها تبدو بوضوح أنها غير ما كانت عليه أولا فهي قديمة جديدة وهي متراصة مبعثرة. لقد كانت الدور يومذاك تتكون على الأغلب من طبقة واحدة وطبقتين فذات الطبقة الواحدة تتألف من قاعة مفتوحة في الوسط بشكل مستطيل أو مربع تحيط بها الأواوين والغرف ، وذات الطبقتين ففي

الطبقة الأولى قاعة وطارمة أو طارمتان وسرداب وغرفة المؤن والمطبخ وفي الطبقة الثانية غرف للنوم متصلة بعضها ببعض بواسطة الطارمات ولغرف الطبقة الفوقانية منافذ للخارج يدخلها الهواء والضوء وبعض نوافذ شبابيك بارزة تسمى (شماشيل) وتشرف على الطريق. والأغلب من دور بغداد تبنى بالطين والآجر ومثل هذا البناء لا يدوم كثيرا فهو سريع الانصداع والانهييار لأن البنائين يومذاك يركمون الحجارة بعضها فوق بعض دون أن يراعوا علم القياس وقاعدة الامتزاج.

وقد أطلق البناؤون أسماء متعددة لأقسام هذه الحجارة منها ما يقال له (وسطاني) و(جبل) و(محير) و(بابلي) نسبة إلى مدينة (بابل) وللشاعر المرحوم عبد الرحمن البناء قصيدة يحث فيها البنائين على إتقان العمل نثبها هنا لعلاقتها ببحثنا واستدلالاتنا على وضع البنائين في بغداد وهي:

أساتذة التعمير أنتم أولي الحزم	كفاكم فخارا أن زففت لكم نظمي
لأنني أنا البناء للشعر والعلى	بنيت لكم مجدا على قمة النجم
أقول لأرباب الصناعة منكم	مقال حكيم لا يروغ عن الحكم
خذوا الصدق أما والآباء لكم أبا	وخلوا أكاذيب التغامر بالعظم
ولا تجعلوا إلا العفاف شعاركم	لأن عفيف النفس خال عن اللؤم
ولا تظلموا العمال منكم برشوة	فإن اغتصاب الحق من أقتل الظلم
فداروا ذوي الأشغال والدور منكم	برفق وأنصاف وحلم على حلم
وراعوا بني دار السلام برأفة	وسلم لأن الحر يجنح للسلم
فإن بني الأوطان سد عليهم	دخيل غريب منبع الرزق والعلم

فرفقا بهم رفقا فان حياتهم
و(رباز) أمسى قارئاً في جيوبهم
سهام رمت قلب التجارة منهم
أقيموا بني أمي القصور مشيدة
أقيموا على الطرز الجديد بناءكم
فعيشتكم دون الصنائع حرة
فحلوا عرى التقليد منكم بعزيمة
ألا وانحتوا فوق الصخور هياكلا
وخطوا بديعات الخرائط وارسموا
وصبوا بإبداع القوالب طوقكم
نعم وانقشوا التاج السليمي زاهرا
وصدوا عن التقليد روحا حديثة
من البؤس باتت وهي في حالة السقم
يغني لهم بالزير طورا وبالبهم
قلله من رام والله من سههم
على أسس التقوى أقيموا بني أمي
بنصب ورفع جل عن عالم الجزم
وغنمكمو في الرزق من أوفر الغنم
يقول لكم إكسيرا يا أولي العزم
حقائقكم فيها تجل عن الوهم
نفيسا إذا ما اعجب الناس بالرسم
وصوغوا أكاليلا من الشرف الفخم
كروض أنيق جاده عارض الوسم
تؤمل أن ترقى إلى عالم النجم

الرصافة والكرخ:

إن الجهة الشرقية في بغداد لا تزال تدعى باسمها القديم (الرصافة)
المخلد في بيت الشاعر علي بن الجهم وهو:
عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
كما تدعى الجهة الغربية باسم (الكرخ) المخلد في بيت الشاعر ابن
زريق البغدادي وهو:

أستودع الله في بغداد لي قمرا بالكرخ من فلك الأزرار مطلعته
ولم يكن آنذاك في هاتين الجهتين شوارع تذكر بل يخرق الرصافة
شارع (رأس القرية) ويسمى شارع (المستنصر) اليوم لوجود بناية
المدرسة المستنصرية في أوائله وقد بنيت مدرسة المستنصرية على عهد
ال خليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٠٢هـ — يقابلها سنة ١٢٣٣م
ووضع لهذا الشارع يومذاك جدران عالية ليس فيها ما يسمى بالفن
العماري وفيه (أزقة) قصيرة و(درايين) تنفذ إلى نهر دجلة وإذا ما
ولجت فيها وسرت بين أبواب ودور عريضة فخمة عليها مطارق
تنوعت أشكالها ومع هذه الدور التي أخنى عليها الزمان فان آثار
الماضي المجيد تتمثل في طراز عمارتها وفخامتها فلا يلبث الناظر إليها
إلا أن يردد قول الشاعر :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وإذا ما دفعك حب الاستطلاع وفتحت لك باب إحداها وأشرقت على
صحن الدار المبلط بالطابوق الأصفر المشوي تعلم بما كان عليها سكان
عاصمة العباسيين من الراحة التامة على ضفاف دجلة الساحر.

أما حوانيت هذا الشارع فهي متباعدة عن بعضها وأصحابها على
اختلاف نحلهم وأديانهم قانعون بما يمن الله عليهم من الرزق الحلال .
إن مظاهر بغداد اليوم تدل على أنها مدينة عربية بطبيعتها شرقية
بمظاهرها ووضعها وقد بدت فيها تباشير نهضة علمية تتصل بماضيها
العلمي الزاهر فقد تأسس فيها عدد من الكليات مثل كلية الحقوق وكلية
الطب وكلية الهندسة وكلية التجارة وكلية الآداب والعلوم كما أن فيها من
التمسك بفضائل الدين الإسلامي والخلق الديني من الورع والتقوى وتجدد

فيها عددا غير قليل من رواد الشغب والنفاق والتمرد إلى جانبهم عددا ممن عرفوا بمزايا الشهامة والبطولة والتغني بها.

أزياء البغداديين:

تستعمل في بغداد قيافات مختلفة عديدة متشعبة تعود إلى عصور مرتحلة من القدم وتمثل أوضاعا مختلفة وإذا ألقيت نظرة رأيت الأسواق المكتضة بالمارين قد تعدى أزياء رؤوسهم فهذا لابس (العقال) فوق يشماغ أزرق أو أحمر اللون ويندر أن يلبسه غير الشيوخ والطاعنين في السن ولهذا العقال صفات أخرى في بغداد فإذا كان ذا لفتين سمي طيتين وإذا كان ذا ثلاث لفات أو أربع لفات عرف (باللف) ولا يلبسونه غسير الكهول ويلبسونه فوق يشماغ أزرق أو أحمر اللون والعقال الأسود الشائع فيدعى (قحطاني) نسبة إلى قحطان ويلبس فوق يشماغ أزرق.

أما اليشماغ فهو عمامة قصيرة لاتزيد لفاتها على الثلاثة لفات مشدودة حسب مزاج صاحبها والذين يرفعونها فوق الجبين هم الفتيان المشهورين بأعمال الشقاوة أي الذين شقوا عصا الطاعة على الحكومة باسم (أبو جاسم لر) أي أبو (الجواسم) جمع جاسم وأداة (لر) الملتحقة تدل على الجمع، ولغة اليشماغ كيف وضعت تسمى (جراوية) نسبة إلى (جرو العبد) وهذا الرجل من محلة الخيدر خانة ، و(عصفورية) توضع في قمة الرأس نسبة إلى رجل اسمه قدوري بن عصفور من محلة الفضلي، وأخرى يقال لها (عدام) أي يعدم شنقا وه ١٥ سنة أي محكوم بهذه المدة

وإن لفها صاحبها على الرأس وتلثم بها (فتدعى بيشماغين) وذات لفة واحدة ويلبسونها على الأكثر بتأدب أصحاب الصناعات.

وأما العمائم فالبيضاء خاصة بالعلماء والشبان المتدينين إذا كانوا من طلاب العلم، والخضراء للسيد الشريف، والعمة من الحرير المقصب تسمى (كشيدة) وهي خاصة بالتجار والوجهاء وجميع هذه العمائم تلف فوق الطربوش ويعبرون عنه باسم (فينة) نسبة إلى مدينة (فينا) عاصمة الدولة (النمساوية) لأنها تصنع في معاملها، أو تلف على (عرقجين) الطاقية. أما العباءة فهي على الأغلب سوداء مطرزة بالحرير الأسود أو بخيوط الذهب والفضة ويسمى (كلبدون) أو (ليهي) وهي تصنع في بغداد من الوبر أو الصوف أو من قماش أوربي والباقي تصنع في بلاد إيران وبلاد الأحساء والعباءة الحسوية من وبر الجمال جمع جمل وهو الحيوان المعروف ويلبسها مشائخ العشائر، والعباءة الإيرانية التي هي من الصوف البني اللون على (الكوبائي) و (النائييني) يلبسها العالم والتاجر، والعباءة (الخاجية) الرقيقة أو (البتية) تلبس في فصل الصيف تصنع في بغداد والعمارة والحلة والنجف، ولعباءات القرنة والنجف شهرة خاصة فالأولى ممتازة برقة نسيجها والأخرى بمتانتها، وإذا أمعنت النظر إلى ما تحت العباءة تجد الملابس مختلفة باختلاف أنواع أصحابها فطبقة علماء الدين يرتدون الزبون والخرقة والجبة والحذاء (اليمني) من النوع الأصفر والحذاء البلدي المسمى (قوندرة)، و (البوتين)، و (الجزمة) ترتديها طبقة العسكريين، وطبقة التجار والأغنياء ترتدي الزبون والدميري والعباءة والحذاء من النوع الجلد الأسود أو الأصفر وطبقة أصحاب الصناعات ترتدي الزبون والدميري

والحذاء (اليمني) من النوع الأحمر، والعمل ترتدي الزبون من نوع (البشت) معمول من غزل الصوف والحذاء (كالة) وهي معمولة من الخيوط القطنية وأغلبها تستورد من إيران وبعضهم يرتدي (دشداشة) من نوع الخام الأسمر و (جينة) أو (جنده) وهم يحملون الأكياس والصناديق على ظهورهم ويقال لهم حاملون والرجل لا يمشي في الأسواق والطرق حاسر الرأس وبغير عباءة.

الحالة الاجتماعية

المجالس الأدبية:

أينما تولي وجهك تجد في أغلب دور أكابر بغداد وخاصة دور العلماء والأفاضل يجتمع بها في ليالي الشتاء أو الصيف أكابر رجال الدولة والوجهاء والأغنياء والشعراء والأدباء يقضون لياليهم في سمر ومنادمة وليس أروع من مجلس يترك به أصحابه الخوض في سير الناس فينصرفون إلى لعب الشطرنج .

لعبة الشطرنج:

الشطرنج لعبة ذاع صيتها وانتشرت في كل بقاع الأرض وإنها تجري بين شخصين لا يجوز لأحدهما أن يستهين بمقدرات الآخر لأن غلطة بسيطة تحدث أثرا كبيرا في نتيجة اللعب، ولكبار اللاعبين حيل بارعة يخفونها وراء نكتة أو تظاهر بالاستهتار أو عدم المبالاة فينتبه خصمه إليها وبذلك يفقد الشرط بسرعة فائقة، وإن لعبة الشطرنج ليست للتسلية أو قضاء وقت بل هي رياضة عقلية ومنهج لتدريب الذهن على التدبير ورسم الخطط وقد قال الأمام الشافعي في حقها إنها تمرين للذهن وترفيه عنه.

ووصفها أحد أبطالها في الزمن الغابر أنها ساحة نزال وميدان قتال
يتنازع فيها الذكاء وحسن التدبير .

وكانت لعبة الشطرنج في بادئ الأمر خاصة بالملوك والأمراء
وعلية القوم ثم شاعت أصولها حتى شملت جميع المدن وكانت بغداد من
ضمن المدن التي شملتها هذه اللعبة وكانت مركزا عظيما للعبة
الشطرنج، وشجع على انتشارها محبة الخلفاء العباسيين لها كهارون
الرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل وغيرهم وعقدوا المباريات في
قصورهم بين اقدر اللاعبين ومنحوا الجوائز الثمينة للفائزين واشتهر في
ذلك القرن بلعبة الشطرنج بين المسلمين فظهر أبطال كبار
مثل (الصولي) و (الماوردي) و (الراضي) و (العادلي) وغيرهم فلذلك
أصبح العرب أبرع وأمهر من الذين جاءوا بعدهم والعرب زعماء
الحضارة والمدنية في العصور الوسطى وهم الذين نقلوا لعبة الشطرنج
إلى الغرب وفي الشطرنج قال الشاعر أمين الجندي:

أقول أن لاعب الشطرنج	كفارس هاج ببحر السرج
ولا يزال ناصب الفخاخ	يصطاد من جاء الرخاخ
كأنه ليث الشرى المفترس	لا شيء إن أرخا عنان الفرس
وصالت الأفيال للأفيال	في حومة القتال والجـدال
وابتدرت أمامها البيارق	تسعى فمنها سابق ولاحق
وبارز الشاه أخوه الفرز	وانتهك الستر وزال العـز
وميز الغالب بتأييد	وبان فضل باعه المديد
واقبل النصر من الإله	وتمت الحرب بموت الشاه

المطارحة والمطاردة:

ولم تقتصر تلك المجالس على لعبة الشطرنج وحدها بل كانت للمطارحة مجالاً واسعاً فيها وتسمى (مطاردة) وهي أن يروي أحد الجالسين بيتاً من الشعر يعقبه الآخر ببيت يكون أول قافية الحرف الأخير من البيت مثل :

فلو سمح الزمان بها لضنت ولو سمحت لضن بها الزمان
فيعمد الآخر إلى النون وهو آخر حرف من قافيته ويروي مبتدئاً
مثل:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
وهكذا يتلقف السامع فيلتمس بيتاً مبدوءاً بها ، ولا يلبث في النزول إلا من كان قوي الحافظة حاضر البديهة وقد يأتي في هذه المطارحة بيت ارتجالاً لا من الغث في الكلام ولكن يأتي فورياً ومقفى هذا كل ما يحتاج إليه الأديب حينما يرتج عليه وكثيراً ما يأتي المرتجل شيئاً خلواً من معنى مملوءاً بالمناقضات المضحكة.

المرأة البغدادية:

إن المرأة البغدادية تمتاز بالسمر والشعر الأسود وتملك خفة الروح والجانبية القوية والحشمة والوقار فضلاً على جمال الخلق وحسن الطباع ولا أظن بين نساء المدن العراقية من هي أفصح لسان وأفضى بياناً من المرأة البغدادية فالمرأة البغدادية هي التي تجاهد في بيتها

لأحلال السعادة فيه وتربية أبنائها وتفتخر بحياة الأمومة والتمسك بالأسرة وما أحلى طفلها الذي تعتز به وهو مطمئن في الصحة والهناء. المرأة العراقية تطير فرحاً عندما تشاهد طفلها وفلذة كبدها وهو ينمو ويرفل بزيه البغدادي تلوح على وجهه الملامح العربية ، مرة يغضب وأخرى يرضى ، ويبكي ويضحك ويتكلم معها بلغة لا يفهمها أحد سواها.

المرأة البغدادية في العهد الذي نؤرخ به أحواله مؤلفة من طبقتين: الأولى هي الطبقة الراقية ويطلق عليها اسم (خواتين) جمع خاتون وتسمى باللغة التركية (خانم) وأنها سيدة بيتها لا تخرج منه إلا بأذن من زوجها وتكون وجهتها بيت أهلها وذوي قرباها وعند خروجها تخرج محجبة يغطي محياها (بوشي) أي برقع من الحرير الأسود وهو خالص بالنساء .

ولا أحد يكاد يصدق أن تلك المرأة المحجبة التي لا تخرج من بيتها إلا والعباءة تلفها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها هي تلك المرأة الأنيقة المعطرة التي نراها في بيتها العامر بهدوء وسكينة وأدب جم، وكثيراً ما كنت أشاهد تلك (الخواتين) وهن محجبات يمشين في الطريق وأمامهم خادم أو عبد يحمل بيده (فانوس) أي مصباح ويضيء لهن الطريق وهن يتهادين بحشمة ووقار.

أما مجتمع المرأة العراقية فهو خال من الرجال حتى من الأزواج والأبناء وأولاد العم ، والمرأة العراقية لا تخصص يوماً معلوماً لزيارتها أي يوم (قبول) كما هو اليوم عندنا وإنما باب دارها مفتوحة على

مصراعها لكل الزائرات ويقدم بها القهوة أولاً ثم يأتي دور الشاي وهو الشراب المفضل فيقدم معه (الكليجة) التي أعدت لمثل هذه الضيافة. وبعد شرب الشاي تقدم المائدة بأطباق شائقة تتفنن في تقديمها وهي أما تقدمها بنفسها ولا تعهد بصنعها إلى الطباخة إذا كانت توجد طباخة أو خادمة مهما كانت مكانتها الاجتماعية.

أما الطبقة الثانية وهي الطبقة الوسطى لا تختلف عن أختها الطبقة الأولى بأدبها وحسن خلقها ويعجبني فيها المرأة التي بلغت العقد الرابع من عمرها خمارها الذي ضربته إلى حد عينيها كما يعجبني ثوبها الفضفاض (الهاشمي) تحت عباءتها التي تغطي قدم رجليها وهي تسير لا تلوي على شيء.

والمرأة البغدادية لا تدخن التوتون (السكائر) والخواتين يدخن توتون (النركيلة) للتفكهة وهذه (النركيلة) من فصيلة (الجوزة) أي جوزة الهند وتكون مزركشة بصورة تجلب النظر .

وأما الفتاة البغدادية فحدث عن حسن مزاياها وأدبها ولا حرج فخرها الأثنب لا تفارقه الابتسامة الحلوة وصوتها الهادي الرزين عنوان الفتوة والأنوثة ، لا تفارقها الدعابة والمرح فهي كما قال فيها الشاعر:

ويصدهن عن الخنا الإسلام
كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام زوانياً
بيض حرائر ما هممن بريية

الطوائف في بغداد:

إن الطوائف في بغداد في عهد الدولة العثمانية وخاصة طائفتي اليهود والنصارى جزء من مجموع السكان فإذا سارت الحكومة في طريق الحضارة وال عمران أخذت تلك الطوائف نصيبها من تلك النهضة وإن الدساتير التي تضعها الدولة وتعين مقدار الأفراد والجماعات فإن قامت على أسس العدالة والمساواة والراحة دامت تلك الجماعات ترفل في بحبوحة العز والرفاه وبذلت المجهودات في سبيل الرقي والمدنية وجرت شوطا كبيرا في ميدان الأعمال، ومن ذلك الوقت فكرت الحكومة العثمانية في إصلاح أنظمتها وقوانينها وشؤون أدارتها وقد نال النصارى واليهود بسبب هذه السياسة كثيرا من الراحة والهناء في العراق عامة وبغداد خاصة فكان حظ النصارى حظا رفع مكانتهم لأنهم اخلصوا النية في أعمالهم وكانوا ادباءا وكتابا ووجهاء وأغنياء عكس اليهود الذين تجردوا من كل هذه الصفات الحميدة ما عدا التجارة وإن أعمالهم السيئة ونواياهم الخبيثة التي جبلوا عليها كانت معلومة عند العثمانيين آنذاك فصاروا يحتقرونهم ويبغضونهم في كل آن، وكانت حالتهم السياسية منحطة كل الانحطاط ومع هذا كله فإنهم يتصلون بأساليب شيطانية إلى دخول سراي الحكومة ودوائر الكمرك والمكوس وبيت الوجهاء حيث يجدون من يستخدمهم في أعمال مهن أكثرها ذات صلة بالمال.

ومن ولاية بغداد الذين استخدموا اليهود في بغداد الوالي مدحت باشا عندما بث روح الحرية والمساواة وتنشيط الأعمال الاقتصادية، ومن

الولاية الذين يذكرهم اليهود بأطبيب الأحاديث المشير رجب باشا قائد الجيش ووالي الولاية فقد ظهر من التساهل والحكم ومراعاة الأشغال ما سر اليهود كل السرور، وقابل اليهود إعلان الدستور في الدولة العثمانية بهتاف الترحيب وأقاموا مظاهرات الارتياح، وبقي إسم ناظم باشا عالقا في أذهانهم لما لاقوا في أيامه من الحرية وحسن المجاملة، وبين جماعة اليهود في بغداد رجال من كل الطبقات منهم التاجر والصيرفي والدلال والمحامي والطبيب وأهل الصنائع كالصائغ والحداد والنجار والإسكافي والموسيقي وغير ذلك، أما مسكنهم في بغداد باستثناء البعض فإنه يقع في زاوية من زوايا بغداد القذرة في بيوت تسكنها عدة عائلات تحسبها كالسفينة تمخر في بحر من الأوساخ والقاذورات.

الصناعات

كان قطر العراق في الأزمنة الماضية قطرا اشتهر في الصناعة وقد برهنت أخبار السياح الذين تجولوا في العراق مثل (ابن بطوطة) و(ابن جبير) وغيرهما على أن أهل العراق كانوا يزرعون كميات كبيرة من القطن وبعد حله وندفه يستعملونه للنسيج كما كانوا ينتجون الحرير والقز وينسجون منها الأقمشة الحريرية وغيرها ومع اندثار معاهد الحضارة في العراق طوال السنين التي انقضت بعد استيلاء (التاتار) عليها لزال محتفظا بتلك الصناعة إلى الآن.

الندافة وخباطة الافرشة:

ولا يستعمل القطن للنسيج فقط بل يستعملونه للافرشة الاعتيادية منها الافرشة الخاصة بالأعراس، فيأتي أصحاب العرس بالنداف حملا معه آلة الندف والخباطة ويقوم بخباطة الافرشة وكل ما يلزم من متمات الافرشة للعرس وغيرها. وجهاز العرس الخاص للمنام يتكون من (اللحف) جمع لحاف و(دواشك) جمع دوشك و(مخايد) جمع مخدة أي وسادة.

صناعة الغزل والنسيج:

إن صناعة الغزل والنسيج كانت شائعة شيوعا عظيما في بغداد كما نوهنا وتدار صناعة الغزل بواسطة الآلات اليدوية وتسمى (دواليب) جمع دولاب يقوم بها رجال ونساء أتقنوا هذه الصناعة وكذلك تدار بواسطة (مغازل) جمع مغزل تقوم به نساء تعودن على الغزل والمرأة البغدادية تسليتها الوحيدة في بيتها الذي لاتخرج منه هو المغزل الذي لايفارق يديها ولو أمعنت النظر في نساء بغداد لوجدت أكثرهن يجيدن صناعة الغزل على اختلاف أنواعه.

أما النسيج فكان يصنع بواسطة الآلات اليدوية أيضا وتسمى (جوم) جمع جومة تنسج بها الأزر المقصبة جمع أزار ولصناعة الأزر ينسب الشاعر البغدادي الشيخ كاظم الأزرى، كما تنسج (الشراشف) جمع شرافف والخمر جمع خمار وهو خاص بالنساء.

وتصنع في بغداد الكوفية وهي منسوبة إلى الكوفة عاصمة العراق الأولى قبل بناء بغداد سنة ١٤٥ هـ ، والنساج يسمى في مدينة بغداد (حايك) والنسيج يسمى حياكة وتنتشر الحياكة في محلات عديدة في بغداد وأشهرها محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني والشواكة والكريمات بجانب الكرخ والكاظمية والاعظمية وبعض المدن العراقية.

صناعة الحدادة:

للحدادين سوق خاصة وللحدادة موسم يعرفه الحدادون ولذلك تراهم يهيئون للفلاح العراقي (المساحي) جمع مسحاة و (المناجل) جمع منجل وهذه كلها من مستلزمات الزراعة الابتدائية قبل أن يحل عصر الآلات (الميكانيكية) كما انهم يعملون القضبان الحديدية للشبابيك في عمارات الدور و (السلاسل) جمع سلسلة لربط جمع الحيوانات كالخيل والبغال والحمير.

صناعة النجارة:

كانت النجارة في بغداد تقتصر على الأعمال الخشبية البسيطة المستعملة في جميع أثاث الدور كالسرر للمنام وصناديق الملابس و (الدواليب) جمع دولاب و (المرافع) جمع مرفع لحفظ الأواني البيتية و (المحاريث) جمع محراث و (الجراجر) جمع جر جر للزراعة، والنجارة الراقية خاصة في عمل صناديق (الاضرحة) جمع ضريح وتصنع هذه الصناديق من الخشب المعمول (بالجرخ) ويقال لصانعها (جراخ) بالجيم الفارسية، وعمل وجهات الغرف المزخرفة بأشكال هندسية منظمة بأسلوب عباسي قديم وأسلوب إيراني وأحسن مثال لذلك شبابيك الخشب في مسجد الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

صناعة السلال:

للبيدادين صناعة خاصة وهي صناعة حياكة السلال على إختلاف أنواعها وأشهر المدن التي تصنع بها السلال هي مدينة بغداد والبصرة وكربلاء وبعقوبة وقد اشتهرت النساء بهذه الصناعة.

ولقد كنا نشاهد بين الآونة والأخرى زمرة من الرجال يحلون في بغداد قادمين من العمادية وزاخو في لواء الموصل لعمل السلال من غصون الأشجار بعد تجريدتها من الورق وبيعها ويقال للواحد من هؤلاء (سبع طلان) وهذا التعبير محرف كليا وأصل هذه الكلمة هي تركية (سبت صاطان) بمعنى بائع السلال.

أسواق بغداد

الأسواق جمع سوق وتتألف من مجموعة الحوانيت المتقابلة يضلها سقف من الأجر والجص على هيئة أقواس أو مسقف بالخشب والحصران على هيئة الجمالي بتشديد الميم ومن تلكم الأسواق:

سوق البزازين:

وهذه السوق معروفة بسوق (الجوخه جية) اليوم وهي خاصة ببيع الأقمشة من نوع الجوخ المستورد من الخارج وفيها الأقمشة الحريرية والقطنية على اختلاف أنواعها.

سوق القزازين:

إن هذه السوق كانت عامرة وتباع بها أنواع الأقمشة من الحرير والقز من صنع بغداد وتباع بها الحزم (الهميان) و(الحيص) جمع حياصة وهي الحزم الخاصة للشبان والصبيان وأحسن نوع يسمى (الحلاوية) نسبة إلى مدينة الحلة.

سوق السراجين:

سوق لها مكانتها بين أسواق بغداد وهي خاصة بعمل السروج جمع سرج للخيل كما تعمل الصناديق المكونة من جلود الغنم الخاصة للسفر وفي محلها اليوم سوق الصاغة المتصلة بسوق السراي والمعروفة اليوم بسوق الشابندر.

سوق الغزل:

وقد كانت هذه السوق من أمهات الأسواق ببغداد يبلغ بها القطن وأنواع الغزل الذي تنسج منه الأقمشة وفي مقدمتها العباءة وتباع بها الأواني النحاسية المعمولة كما يباع بها أنواع الطيور والحمام الزاجل والقماري جمع قمري والعنادل جمع عندليب والقطا والبطة والدجاج وغيرها والحيوانات كالخراف والماعز والغزلان والقرود والأرانب ويبيع أنواع العطور كماء الورد وماء القداح وغيرها.

سوق الصفارين:

إن هذه السوق خاصة للصفارين وهي تكتظ بدكاكينهم، ببضاعة الأواني النحاسية من قدور وأواني وطسوت وأباريق وغيرها، وليس في هذه السوق دكان لغير الصفارين وهذه الدكاكين تعرض بها المصنوعات

النحاسية وتصنع فيها الأواني فهي معامل ومعارض متراصة فلا تسمع إلا طرقا يصم الآذان ولا ترى إلا أعمالا متواصلا ولهيبا متصاعدا.

سوق الهرج:

هي السوق المحاذية لدائرة الكمرك والمكوس (مدرسة المستنصرية) وسميت بالهرج دلالة على كثرة الازدحام فيها وتعالى الأصوات والتهريج للبيع والشراء ومعنى الهرج في معجم اللغة هرج في كلامه أي خلط. وكانت تباع بها الأسلحة النارية والجارحة على ملا من الحكومة والناس.

سوق الصاغة:

تعرف هذه السوق (بخان جغان) وهي محل سوق دانيال الآن وانتشرت بها دكاكين الصاغة وخاصة بصياغة الذهب والفضة وانحصرت هذه الصناعة في العهد الذي نؤرخ فيه باليهود وعدد قليل من المسلمين والمسيحيين والصابئة. وفي أي وقت دخلت في (خان جغان) تجده غاصا بالنساء هذه تطلب أن يصاغ لها (خلخال) وتلك تنتظر إلى (الملاوي) وأخرى تضع أقراطا بأذنيها والصائغ اليهودي يصول ويجول ويخادع ويماطل ولا يترك

المرأة إلا وهي قد اشترت شيئاً، وهذه الصناعة يتقنها اليهود من القديم وقد استولوا عليها بأساليبهم الشيطانية.

سوق الشورجة:

تعرف هذه السوق بسوق العطارين وكانت ضيقة وفي سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٩١٠ أيام الوالي ناظم باشا جرى توسعها. ويبيع بهذه السوق أنواع الأواني البلورية والخزفية فضلاً على المواد العطارية السكر والشاي والصابون وفي قسم منها تباع الحبوب الغذائية الرز والحنطة وسائر الحبوب الصيفية والشتائية.

سوق حنون:

تقع هذه السوق في محلة قنبر علي وكانت هذه السوق ولا تزال قدرة مليئة بالأوساخ وكانت خاصة باليهود قبل إسقاط جنسياتهم وتركهم بغداد تباع بها المواد الغذائية كاللحم والسماك والدجاج والبيض وأنواع الفواكه والخضراوات وكل هذه كان اليهود يرغبون بها ويتنعمون بخيراتها.

سوق اليمنجية:

وتسمى سوق الزنجيل تشاهد فيها الأحذية الوطنية من نوع (اليمني) الأحمر اللماع معروضة للبيع بجميع أنواعها ومنها ما يسمى (قبه

لورطة) و(لركار) بالكاف الفارسية و(كوجك لركار) و(مركوب) وهذه الأسماء جميعها تركية ما عدا المركوب وأحسن يمني هو المعروف بعمل ابن البناء.

أما الأحذية النسائية فهي لاتزيد على نوعين نوع يسمى(سراي لي) وتلبسه(الخواتين) والآخر يسمى(عجمي) وتلبسه بقية النساء.

سوق الميدان:

وهي مؤلفة من عدة أسواق منها سوق الميدان المتصلة بجامع الميدان(الاحمدية). ويبيع بها مختلف الحاجات من لحوم وخضراوات وحبوب وأقمشة كما يوجد بها مخازن الرز والحنطة والشعير. وبضمنها سوق الهرج الصغير يباع بها الأثاث البيتية والمواد الخشبية المستعملة وفيها سوق(الحمير) وتباع في هذه السوق سائر الحيوانات كالخيل والبغال والحمير على اختلاف أنواعها وهي على مقربة من باب بغداد الشمالي المسمى باب المعظم وبمحلها اليوم محطة بيع(البانزين).

سوق السراي:

هي السوق المتصلة بدوائر الحكومة اليوم وتباع فيها الكتب العلمية والأدبية والمدرسية التركية.

وأقدم بائع كتب بها هو ملا خضر والد المرحوم عبد الرحمن خضر المدون القانوني، والمرحوم ملا نعمان الأعظمي صاحب المكتبة العربية المؤسسة سنة ١٣٢٣هـ يقابلها سنة ١٩٠٥م ومحمود حلمي صاحب المكتبة العصرية المؤسسة سنة ١٣٢٣هـ يقابلها سنة ١٩١٤م وهو لا يزال في قيد الحياة وصاحب هذه المكتبة شهيراً بهذا الاسم وتقع مقابل المخبز العسكري.

سوق الجديد:

وهذه السوق اسم محلة في جانب الكرخ معلومة كان يسكنها أو يجتمع فيها جماعة من الأدباء والشعراء كعبد الباقي العمري الشاعر المشهور وعبد الغفار الأخرس وعبد الله الخياط صاحب الظرائف وغيرهم وكانت تباع بهذه السوق أنواع الخشب الذي يجلبه التجار من الموصل لتعمير البيوت وكانت عربات (الترامواي) التي تسير على خط الكاظمية تمر منها، وفي جانب الكرخ سوق الشواكة وسوق العجيمي وسوق حمادة ولا تزال بأسمائها هذه حتى الآن خاصة بالناس.

أشهر المقاهي في بغداد

كان انشمار المقاهي في بغداد أمرا يستلفت النظر ويدعو إلى الاستغراب ولقد أصبحت هذه المقاهي مراحا لذوي الميول المتقاربة والمهن المتشابهة

ويتردد عليها التجار والموظفون والأدباء والعمال يجلسون بها ويدخنون النواركيل والسكاير ويشربون الشاي والقهوة ويلعبون اللعب المسلية كالعبة (الدومينو) أي دومنة والمنقلة وهذه اللعبة خاصة بالبغداديين.

وتأتي في مقدمة هذه الألعاب لعبة (الطاولي) واسمه الصحيح (نود) وفيه قال الشاعر فيمن يحبه:
إني رضيت بأن أكون بكفه
زارا يقلبني بلعبة نرده

مقهى سبع:

وقد عرف هذا المقهى باسم صاحبه سبع وهذا الرجل من القهواتية القدماء وعرف بدمائة أخلاقه وطيب سريرته ومن أعماله التي عرف بها انه كان يعرف المعوزين الذين يترددون إلى مقهاه وهؤلاء من الطبقة التي يقال في أفرادها (يحسبهم الجاهلون أغنياء من التعفف) فلا يطالبهم سبع بأجور المقهى وقد كان موضع احترام رؤساء الحكومة من

عسكريين وملكيين وأصبح محل هذا المقهى مدرسة(المأمونية) التي أصبحت اليوم مديرية معارف لواء بغداد المركز كما نوهنا.

مقهى وهب:

ويأتي بعد مقهى سبع بالميدان مقهى وهب ويقع في باب(القلعة) تكنة المدفعية والمدفع باللغة التركية(طوب) لذلك تسمى تكنة المدفعية(طوبخانة) واليها نسبت محطة(الطوب) في بغداد وبمحل هذا المقهى الآن دائرة مصلحة إسالة الماء بعد أن شيدت.

مقهى عزايبي:

وهذا المقهى كان يعرض فيه الآعيب(خيال الظل) أي(قره كوز) في ليالي رمضان وفي سائر الليالي يشتغل به(تياثرو) بتعبير أهل بغداد وبمحله الآن مقهى(الأوبرا) وقد كان قبل ذلك ملهى ترقص به الراقصات ليلاً.

مقهى كل وزير:

وهذا المقهى مشهور(بشربته وشاية) وهو مرتاد الطبقة الراقية من البغداديين وهو المقهى الوحيد الذي لا يوجد فيه أداة للـهو(كالطاولي والدومينو) وبمحله اليوم معمل أحذية الكاهه جي بجانب باب وزارة الدفاع الحديثة.

مقهى القرائخانة:

وهذا المقهى يقع قرب باب المعظم وقد عرف بـ(عثماني قرائخانه سي) وهي أول مقهى في بغداد نظم تنظيماً عصرياً من حيث المقاعد وشرب القهوة والشاي ويستطيع الجالس أن يقرأ الجرائد التي تصدر في بغداد صباح كل يوم فضلاً على الجرائد التركية الواردة من استانبول. وصاحب هذا المقهى رجل إيراني الجنسية يتكلم باللغة الفارسية والتركية والفرنسية وقد غلب عليه أسم(مسيو) أي أفندي باللغة الفرنسية لكثرة تكلمه بهذه اللغة أي الفرنسية.

مقهى المميز:

يقع مقهى المميز على رأس الجسر القديم ويطل على نهر دجلة محاذياً لدائرة الكمر ك والمكوس القديمة وعلى الأغلب هو جناح من أجنحة مدرسة المستنصرية، وفي ليالي رمضان كان المغني العراقي أحمد زيدان يغني فيه المقام العراقي وهو يموج بالناس يستمعون إليه.

مقهى البيروتي:

وهذا المقهى من مقاهي جانب الكرخ على رأس الجسر القديم وكان مجتمعاً تجارياً يضم تجار الحبوب الغذائية والأخشاب والغنم وكان التجار الجالسون فيه يتداولون البحث في البيع والشراء بهدوء وسكينة كان على رؤوسهم الطير.

مقهى اءكيل:

نسبت هذه المقاهي إلى عشائر (اءكيل) أي عقيل المتعددة وقد نزحت من نجد إلى بغداد في القرن الماضي وهذه المقاهي خاصة بشرب القهوة العربية وتصنع هذه القهوة في (دلال) جمع دلة بتشديد اللام حيث تغلى على النار بعد أن يخلط الماء بطحين القهوة وتمزج ببعض البهار وهناك يطيب شربها. وتقع هذه المقاهي في الجانب الغربي من بغداد أي الكرخ ولا تختلف مقاهي المدن العراقية عن مقاهي بغداد بوضعها المألوف آنذاك.

مقهى العنبار:

يقع هذا المقهى في محلة المصبغة بجانب الرصافة ويتردد إليه أناس من طبقة التجار ويعتبر هذا المقهى المقر التجاري يومذاك (كالبورصة) في هذه الأيام لأن محلة الرواق وخانات مخازن

الجملة قريبة من هذا المقهى وأكثر رواده تجار اليهود الذين بيدهم مقاليد التجارة يومذاك.

مقهى ملا حمادي:

وهذا المقهى واقع في محلة (المربعة) الكائنة الآن بجانبه (سينما الزوراء) وهذا المقهى الآن موجود وإن كان شيد حديثا وكان محاط ببساتين و موقعه كالمنتزه والويل ثم الويل لمن يجتاز تلك البساتين ليلا.

مقهى العبد:

كان هذا المقهى منعزلا في آخر المدينة في الباب الشرقي بمحل ما يسمى الآن (البتاوين) أو (الأورفلية) وبجانب ذلك المقهى (قولغ) مخفر للدرك أي الجندرية يحيط به حقول وبساتين وزرع الحقول (بالخس) حتى سميت بستان الخس ولما شيدت فيها أخيرا دور أصبحت تسمى محلة بستان الخس في شارع العلوية بعد تمثال السعدون ومقهى العبد غير منظم مثل مقاهي المدينة وإذا جئت إليه صباحا أو ظهرا لاتجد أحدا وإنما يؤمه الناس عصر كل يوم يمتطون الخيول لبعده المسافة عن المدينة من جهة الباب الشرقي وكان أحدهم يحمل سلاحه معه خوفا من الاعتداء.

مقهى التبانة:

وهذا المقهى من مقاهي محلة الفضل وقد صار ضمن مدرسة الفضل الابتدائية وكثيرا ما كانت أشاهد في هذا المقهى ليلا (ابن الحجامه) الهزلي المشهور واسمه الحاج جاسم من محلة (العوينه) مع زميله الفكه (منصور) يقومان بشبه تمثليات هزلية لا تخلو من النكات المضحكة على جمهرة من المتفرجين ويسمى ذلك (أخباري).

نظام الكباش وعراك الديكة:

وفي النهار يكتظ مقهى التبانة بالمتفرجين على نطاق (الكبش) جمع كبش وعراك (الديكة جمع ديك) والكبش أسماء مختلفة مثل (خماس) و (ضرغام) و (عنتر) وغيرها وأشهر المعتنين بتربية الكباش هما (أحمد دبي) من محلة الفضل و (علي الحبشي) من الأا عظمية، وعند مبارزة الكباش أو الديكة يعلو هتاف المتفرجين للكبش أو الديك الذي يفوز بهذا المضمار.

تربية الطيور:

في بغداد أنواع كثيرة من الطيور الأليفة اعتاد بعض الناس تربيتها وجعلها ملهاة لهم وأسمأوها كثيرة منها المسكي والعنبري والرمادي

والأصفر والأحمر والفضي والزنكي كما اعتاد أصحاب تلك الطيور
ووجل.

إطلاقها من أوكارها صباح ومساء كل يوم ويستمر تحليقها في
سماء بغداد أكثر من ساعة وتختلط الأسراب في طيرانها بعضها مع
بعض وعيون أصحابها مشرابة أليها ثم تنعزل ويعود كل سرب إلى
حالته الأولى وينزل إلى وكره.

ومن تلك الطيور نوع واحد يرجع إلى فصيلته الحمام ويستوطن
البيوت ويلوذ بالمراقد المقدسة ومآذن الجوامع فيعيش آمناً مطمئناً لا
يناله أذى من أحد ولا يسعى في طلب القوت بل يقتات الحبوب التي
ينثرها له الزائرون فيلتقطها من الأرض من دون خوف ووجل.

عازف الرباب:

أما باقي المقاهي في بغداد فلا تخلو من وجود أساليب واللهم ليلاً
ونهاراً ويوجد في بعض المقاهي عازف (الرباب) يجلس في المقهى
وحوله الناس يستمعون إلى الأنغام المنبعثة من الرباب وهو يشنف
آذانهم بغناء (العتابة والنایل) الشائع آنذاك في بغداد، وهذا الغناء هو غناء
العراق الأصيل.

القصاص:

لم يكن سماع العزف على الرباب قائما وحده بل كان للقصاص مكانة مرموقة في المقهى لأن السواد الأعظم لم يكن لديه ما يلهو به كالملاهي ودور السينما وغيرها فكانت تسليتهم بسماع القصص والأساطير يتلوها عليهم أحد القصاصين ، ويعبرون عنه (قصخون) وأشهر قصاص يومذاك ملا إبراهيم الموصللي توفي سنة ١٣٠٨هـ — يقابلها سنة ١٨٩٠م أيام الوالي سري باشا ومن بعده ملا خضر وهو موصللي أيضا توفي سنة ١٣٣٠هـ — يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا.

ولا زال البغدادي مجبولا على سماع تلك الأساطير ، وقد قيل من يتمتع بطيبات الحياة يضيع الوقت بأحاديثها ومن يحرم منها يسترسل في الأحلام التي تزينها المخيلة وتذهبها الأهواء ، وهكذا أخذ بعض الناس يسمعون إلى القصاص وهو جالس في المقهى تحفه جماعة من السامعين يصغون له وهو ينقل إليهم صورة من وقائع (عنثرة العباسي) التي جمعت في القرن الرابع زمن العزيز بالله الفاطمي، وقصة (أبو زيد الهلالي) وما فيها من الحروب المبالغ فيها ، ومما يروي أن بعض رواد مجلس القصاص الذي تروى فيه تلك المغامرات حزن حزنا شديدا عندما وقف القصاص في موقف وقع فيه (عنثرة العباسي) أسيرا بيد محاربيه فلم يكن من الرجل إلا أن ذهب إلى بيت القصاص وطلب منه أن يطلق سراح (عنثرة العباسي) من الأسر الذي وقع فيه لكي ينام ليلته

مرتاح البال فلم يجد القصاص بدا من أن يطلق سراح عنتره (العبسي).
من الأسر وذهب الرجل شاكرًا له فعله.

الحلاقة والحلاقون:

لم تكن للحلاقة في بغداد صالونات كما هي اليوم وإنما كانت مقتصرة على حوانيت منبثة في الأسواق والمحلات فحانوت الحلاق الشهير يتكون من مرآة كبيرة وكُرسي موضوع أمام المرآة أعدت لمن يحلق لحيته أو يزين شعر رأسه، وفي الحانوت مقعدان طويلان وضعا في جانبي الحانوت لجلوس الزبائن وعلى جدران الحانوت أباريق وأواني نحاسية معلقة تستعمل عند الغسيل والجدار مزين بالواح مخطوط فيها آيات قرآنية ، والحلاق الماهر هو الذي يكسب رضى زبائنه من عسكريين وموظفين وأهلين حسب قواعد الحلاقة المتبعة عندهم يومذاك.

أما أهل بغداد وبضمنهم العلماء والمشائخ والوجهاء فالعلماء والمشائخ يحلقون رؤوسهم ويتركون لحاهم مسترسلة إلى صدورهم ، والوجهاء يحلقون رؤوسهم حسب أنواقهم مع المحافظة على وضع شواربهم ، والعامل يحلق رأسه بالموس مع حفظ شاربيه وجعلها معكوفة إلى الأعلى وكثيرا ما يحلف بها بقوله (وحق هل شارب)، ومن الكلام الشائع عند النساء البغداديات إذا ما أرادت امرأة أن تخاطب رجلا وتستجير به تقول له مستعطفة (أنا تحت شاربك)، والشاب الذي

لا شارب له يجلس في المقهى ولا يتقدم على من هو أكبر منه سناً في كل المناسبات .

وكان بعض الحلاقين يتجولون في الطرق حاملين عدة الحلاقة في شبه محفظة من الجلد ربطت بمحزم الحلاق وسير من الجلد معلق بالحزام من الأمام يمشي عليه الحلاق بالموس بين الآونة والآخر تسهيلاً لأعماله، وفي يديه أنية من النحاس أو الصفيح (تنك) على هيئة إبريق مملوء بالماء لتيسير العمل عند الحلاقة وكثيراً ما يلتقي بعض الفقراء بهؤلاء الحلاقين وهو بحاجة إلى الحلاقة فيقع في الطريق فيبدأ الحلاق بحلق رأسه على أن لا يتعرض لشاربيه مستعيناً بالماء المعد في تلك الأنية، وهكذا كانت الحلاقة عند البغداديين .

الشحاذة والشحاذون:

الشحاذة معروفة في بغداد بأساليبها ونظام مجتمعاتها فمن الشحاذين من يجعل رائده الاستجداء بالتوسل ومنهم من يعتمد على الصياح يستدرون عطف الناس عليهم ومنهم من يصطنع البكاء ويظهر ألواناً من الأمراض والأسقام ويبيدي ما به من نقص في خلقته ومختلف العاهات ويظهر ما يؤيدها من رث الثياب ونحول الأجسام وكلما كانت الأوساخ والقاذورات ظاهرة للعيان كان ذلك أبلغ أثراً لاستدراار الأكف. ومن الشحاذين من استعاض عن التجوال بالوقوف على أبواب الأضرحة المقدسة والجوامع يستجدون فيها ومنهم من يجلس على قارعة الطريق باسطاً كفه للسؤال وهو صامت لا ينبس ببنت شفة.

ومن عادات الشحاذين أن يجلس أحدهم في بعض الأمكنة المكتضة بالمارين يتلو سوراً من القرآن الكريم غير ملتفت إلى الأغلاط في قراءته، وآخر يمشي بالسوق وينشد قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأخرى في مدح آل البيت الأطهار .

الزور خانة والرياضة:

كانت بغداد ميالة إلى الألعاب الرياضية باعتبارها من متممات الحياة اليومية ولكن لم تنظم التنظيم الذي نراه اليوم بل كانت بصورة مختصرة ترمز إلى تغذية الجسم وسيرانه (بالزور خانة) وهي حفرة عميقة مدورة في الأرض يجري فيها اللاعبون مختلف الحركات برفع أشكال متنوعة من قطع الحديد وتجري حركات اللاعبين فيها على ضرب (الدنبك) الكبير وهذا الدنبك يسمى (زرف) باصطلاح اللاعبين، وفي حركات اللاعبين يراعون الوحدة الموسيقية والذي يؤدي الضرب على الدنبك أي (ضابط الإيقاع) رجل له نظرية وعملية في المصارعة في جميع تجاربها ، وأشغالها ويسمى (مرشد).

والحركات التي تؤدي في الزورخانة تستهدف إلى تقوية العضلات كعضلات الرقبة والصدر والساعدين والساقين والأكتاف وقد انتشرت الزورخانة في كثير من محلات بغداد كمحلة (الفضل) و(الحيدر خانة) و(الدهانة) و(الصدرية) و(العوينة) و(باب الشيخ) وجانب الكرخ فضلا على مدينة الكاظمية ومن أشهر أبطال الزورخانة (أسطه غني) الذي أطلق عليه بالحق والاستحقاق (بهلوان) بغداد الأول لخفة حركته

وسرعة جريه داخل الزورخانه وخطف المصارع بحركات لا تخطر على بال وقد صارع أوسطه غني بعض مشاهير أبطال المصارعة في إيران والهند ممن جاءوا إلى بغداد فخرجوا منها يجرون أذيال الخبيبة والخسران وقد تخرج عليه عدة مصارعين ومن أشهر تلاميذه المرحوم الحاج محمد ابريسم العزاوي، والسيد إبراهيم سادن الأمام أبو يوسف وقد تتلمذ عليهما كثير من المصارعين في بغداد وأشهرهم أسطه محمد الخياط.

والغريب في ذلك العهد أن الأطفال والصبية في عهد الزورخانات كانوا محرومين من مشاهدة ما يجري داخل الزورخانات أو حضورها وقد شهدت الزورخانه حضور بعض ولاة بغداد وبعض رجال الحكومة وإن دل هذا على شيء فيدل على مكانة المصارعة في نفوس القوم عندئذ ولا بد من الإشارة إلى هذا أن دعوات التحدي التي كان يتبادلها المصارعون من بغداد وبين زملائهم من المصارعين في إيران والهند كانت تمثل أسمى خلق الخطاب في المراسلات وتبدأ عادة بالبسملة وتنتهي بالدعاء بصيغة المتحدي للمخاطب.

محلات بغداد ورؤساؤها:

إن بغداد على شهرتها ليس بها محلات منظمة كما هي اليوم وليس بها من يقوم بإدارة شئونها وشئون سكانها ولقد مضت عليها مئات السنين وهي لم تزل بعيدة كل البعد عما يحقق لها شهرتها وفي سنة ١٢٥١هـ يقابلها سنة ١٨٣٥م أيام الوالي علي رضا باشا اللاز اجوي

انتخاب المختارين لها فصار لكل محلة مختار أول وثاني مع أمام يقوم بشئون الزواج متفقا مع المختارين، ولضييق المحلات وقلّة المصاييح ومنعا لوقوع جرائم فيها أمر الوالي عبد الرحمن باشا سنة ١٢٦٩هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م بإنارة بعض المحلات في جانب الرصافة فوضعت المصاييح (فوانيس) جمع فانوس وفي عصر كل يوم يجتاز مستخدمو البلدية الطرق ومعهم سلام خشبية يرتقون عليها لإشعال الضوء في المصاييح المعلقة على الجدران، وبذلك انكشف عن بغداد بعض الديجور المخيم في أرجائها وكانت محلات بغداد موحدة مثل الفضل وبضمها محلات العزة وخانلاوند (النائبية) اليوم ومحلة السيد عبد الله ومحلة حمام المالح والقراغول وكان رئيس هذه المحلات العلامة المرحوم الشيخ عبد الوهاب النائب ومحلة الميدان وما جاورها ويترأسها العلامة المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني ومحلة (الحيدرخانة) وما جاورها يترأسها العلامة المرحوم الشيخ داود النقشبندي ومحلة (قنبر علي) وما جاورها يترأسها آل جميل ومحلة (القشل) وما جاورها يترأسها آل كبة ومحلة (باب الشيخ) وما جاورها يترأسها آل النقيب ومحلة (رأس القرية) وما جاورها يترأسها آل الباجة جي وجانب الكرخ يرأسه آل السويدي، وأهل هذه المحلات متمسكون برؤسائهم ويضحون بالغالي في الدفاع عنهم كما أن رؤسائهم بدورهم يراعون مصالحهم ويسهرون على تلبية مطالبهم كما يفعل رب الأسرة بأعضاء أسرته.

الحمامات في بغداد:

كنت في العقد الثاني من عمري وكنت أفرح فرحا لا مزيد عليه حينما أذهب مع رفقائي لنستحم في نهر دجلة، ونهر دجلة في الصيف الحار حمام عام لأهل بغداد حيث تجد الصبيان وهم عراة يلعبون على شاطئيه تارة ويعومون في لجته أخرى. والرجال يستحمون به تاركين جحيم الحمامات بغداد.

والحمامات في بغداد يومذاك عبارة عن دهاليز مظلمة ماءها حار لا يستطيع المستحم بها البقاء أكثر من نصف ساعة فيخرج منها متضايقا بل كان عدد منهم يغمى عليه من شدة الحر.

وفي حمام الفضل قلت بعد أن استحممت به وخرجت:

وحمّام دخلت به صباحا	دخول ذوي الجرائم للجحيم
غسلت الجسم فيه بماء طهر	فكان جحيمه عين النعيم

والذين يدخلون الحمام من الموسرين والأغنياء لابد أن يقوم بواجبات غسلهم (دلاك) والدلاك رجل اتخذ غسل الأبدان مهنة له يقوم بواجبات المستحم أحسن قيام، فتري في يده الكيس المصنوع خصيصا للتدليك يمرره على الجلد ويستخرج منه فتिला من الأوساخ .

ومن أشهر الحمامات في بغداد حمام (الباشا) وحمام (السراي) وهما في محلة الميدان وحمام (عيفان) وحمام (المالح) في محلة الفضل وحمام (كجو) بالجيم الفارسية وحمام (بنجه علي) بالبهاء الفارسية وحمام (الكمرك) في محلة باب الأغا وحمام (القاضي) وحمام (حيدر) في محلة رأس القرية وحمام (الشورجة) في سوق الشورجة وحمام (السيد) فسي

محلة سراج الدين وحمام (آل جميل) في محلة قنبر علي وحمام علي وحمام (تاجه) في محلة الحاج فتحي وحمام (الراعي) في محلة رأس الساقية وحمام (عويد) في محلة الربعة وحمام (فضوة عرب) في محلة باب الشيخ وحمام (الجسر) في محلة رأس الجسر القديم بجانب الرصافة وحمام (أيوب) وحمام (شامي) وحمام (اليتيم) بالتصغير في جانب الكرخ ، وهذه الحمامات أغلبها انقرضت وحلت مكانها حمامات عصرية منظمة تشتغل (بالغاز) النفط بعد أن كانت تلك الحمامات يحمى مأوها (بالزبل) القاذورات المجموعة في اصطبلات الخيل والبغال والحمير.

الأرواء وإسالة الماء :

لا زال أهل بغداد يذكرون ما عانوه من قلة الماء قبل أن يتم ضخ الماء بواسطة المكائن على الرغم من أن نهر دجلة يخترق بغداد والسقائين الذين كانوا ينقلون الماء على ظهورهم وعلى ظهور الحمير في (القرب) جمع قربة وهي معمولة من جلد الغنم بعد دبغها. والسقاء الذي يبيع الماء ينادي عند تجواله (هوي هي) ولم أدر ما معناهما ولدى التحري الدقيق علمت أنه يريد بهما (هذي هي) أي القربة المملوءة ماء وكان السقا ينقل الماء من شرائع جمع شريعة خاصة في نهر دجلة.

ولم يكن الماء طاهرا ولا يعتنى بأمر نظافته وظلت بغداد تشرب تلك المياه الموبوءة إلى أن من الله عليها وبعث لها من ينقذها وفي سنة

١٣٠٧ هـ يقابلها سنة ١٨٨٩ م أيام الوالي سري باشا فقد أنشأ في ساحة (خانلاوند) النائية اليوم بعد غرسها بالنخيل والأشجار حوضا كبيرا للماء لارواء الناس فأخذ سكان محلة الفضل وما جاورها من النساء يوفدن على ذلك الحوض ويأخذن منه الماء شاكرات الوالي سري باشا على عمله هذا.

فترى البيوت وفيها الأواني المعدة لحفظ الماء (حباب) جمع حب طافحة بالماء المعين، بعد الظما الشديد الذي كانت تعانيه تلك العوائل والمحلات النائية ولقد أصبحت شرفات الدور في الصيف وعلى حافاتها (تنك).

ولم يكن عمل الوالي المشار إليه مقتصرا على مشروع الماء فقد تعداه إلى ما هو أهم من ذلك إذ أصدر أوامره بإعطاء الأرامل والأيتام ما تستحقه من المخصصات الشاهانية مما دفع المرحوم العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب أن يثني على أعمال الوالي بقصيدة وهي:

ياوالي الزوراء دمت وزيرها	إذ قد شرحت من الأنام صدورها
وبقيت مأوى للعفاة يأسرها	إذ قد جبرت من الضعاف كسيرها
ومنحتهم منك العطاء تقضلا	فاستكملت في ذا الزمان شهورها
ولطالما لبت فلم ينتج لها	ألا وعمرك ما أهاج زفيرها
تغدو وتذهب بالرجاء ولم يكن	مما يسر مرادها وجورها
حتى أنيت وللعادلة حاملا	فهناك قد ساوى الغني فقيرها
سعدت أناس في حماك مقيلهم	نعم الهصور إذا دعوك هصورها
هذي العدالة لأعدمتك منصفاً	تسقي العطاش إذا أتوك نميرها
أما النفوس لمثل ذاتك ترتجى	لتكون في وقت الاياس بشيرها

أني لا شكر عن لسان أراميل وجدتكَ يا عين الزمان نصيرها
لا زلت يا بدر السعادة ساطعا لتشاهد الزوراء منك مشيرها

وفي سنة ١٣٢٥هـ يقابلها سنة ١٩٠٧م أيام الوالي حازم بك أنشئت ماكنة إسالة الماء في بغداد بواسطة مضخة نصبت في شريعة الميدان واجري الماء بواسطة أنابيب وكانت أجور الماء الشهرية لكل دار شيّ زهيد وهي عشرة قروش صحيحة تساوي اليوم مئة فلس وبهذا ارتاحت بغداد من عناء الأرواء ونجت الجوامع والحمامات من مياه الآبار المالحة، ولقد كان جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وجامع الشيخ عمر السهروردي قبل مشروع إسالة الماء يجهز لهما الماء من ساقية يجري فيها بواسطة (كرد) الأول نصب في شريعة الشيخ والثاني في شريعة الميدان فالكرد يصب الماء بواسطة (دلو) في حوض اعد له فيذهب الماء بالساقية المحفورة تحت الأرض والمزففة تزفيتاً متقنا. وقد سميت محلة رأس الساقية نسبة إلى تلك الساقية الممتدة من نهر دجلة إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، أما ارواء البساتين والحدائق المحيطة ببغداد فكانت تسقى بواسطة (النواعير) جمع ناعور وتسحبها الخيول والبغال.

ماكنة الثلج:

وفي سنة ١٢٩٩هـ يقابلها سنة ١٨٨١م أسست في بغداد ماكنة ثلج ونصبت في شريعة الميدان ولم يكن ذلك الثلج كالثلج الذي عندنا اليوم وإنما كان شبه الزجاج السميك (جام) ويوضع داخل (التبن) علف الحيوانات خشية ذوبانه ويباع بالوزن الكيلو بقرش صاغ.

المواد الغذائية وأسعارها:

كانت بغداد في العهد الغابر لا تعرف السوق السوداء وهي بعيدة كل البعد عن الغلاء والتلاعب بالأسعار لأن في بعض السنين تكون الأمطار وحدها كافية لإنتاج محصول عظيم من الحنطة والشعير والأعشاب والأوراد الطبيعية لتكسي الأرض العراقية حلاً سندسية لإعاشة ملايين من المواشي كالأغنام وغيرها، وفي سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي محمد زكي باشا عم الرخاء في جميع أنحاء العراق وبضمنه بغداد فكان رخاءاً منقطع النظير حتى بلغ سعر مائة كيلو الحنطة (الداودية) مائة قرش رايج وحنطة (القنطرة) التي تجلب (بالكلاك) جمع كلك تسعين قرش رايج والحنطة التي تسمى (عراكية) أي عراقية بثمانين قرش رايج، ولم يكن في ذلك العهد آلات (مكائن) تقوم بواجبات الطحن كما هو اليوم وإنما كانت بواسطة (المدر) جمع مدار وفي البيت (رحى) جمع رحاة وأهل بغداد يسمونها (رحية) أو (رحا) ومن النادر أن تشاهد بيتاً خالياً من هذه الآلة.

أما الرز فهو متيسر بجميع أنواعه ورخيص جدا وأهل بغداد يعبرون عنه باسم (تمن) ويقولون تمن عنبر وتمن شنبه وتمن نكازه بالكاف الفارسية ولم تكن يومذاك واسطة لهبش الرز كما هي اليوم وإنما كان الهبش بواسطة (الدنك) بالكاف الفارسية والدنك آلة خشبية اخترعها أهل بغداد لهبش الرز واتخذت سوق (البلاجية) بولنجية شارع المأمون اليوم لها ويسمى سوق الدنكية نسبة للدنك وقد كان هبش الرز في بيوت بواسطة (الجاون والميجنة) وهي آلة خشبية تعمل في سوق خاصة مزدحمة بالنجارين بجانب الكرخ.

أما أسعار اللحم فهو رخيص جدا فالكيلو الواحد يباع بسبعة قروش رايج وكذلك الخبز الفاخر يباع الكيلو بثلاثة قروش رايج والمثل المتعابر عند أهل بغداد عن الشيء الرخيص إذ يقال: (مثل خبز باب الآغا حار ومكسب ورخيص) وأكثر أهل بغداد يخبزون في بيوتهم بواسطة التتور.

ومما يلفت النظر إلى المرأة التي تخبز في بيتها وهي مرتدية عبائتها دلالة على أنها تخشى دخول أحد أقربائها إلى الدار وهي سلفرة هذا هو حجاب المرأة البغدادية حتى في بيتها.

الأطعمة الناضجة:

كانت بغداد يومذاك تزخر بالأطعمة الناضجة وهي (الكباب) وأحسنه كباب (الصابونجية) في الميدان و (الباجة) وأحسنها باجة (طوبان) في جانب الكرخ محطة خضر الياس و (الكاهي) وأحسنه كاهي سوق الميدان

و(الهريسة) وأحسنها هريسة باب الآغا بسوق الصفارين و(الكبة) وأحسنها كبة الحاج مرعي في جانب الكرخ وتعمل هذه الكبة من العجين والسمن محشاة بالحم وتخبز في(التتور) وتباع في علبة من الخشب مع العلم أن هذه الكبة غير كبة البرغل المشهورة. ومما يجدر الإشارة إليه بيع(الباجلة) باقلاء وقد تعود أهل بغداد أكلها صباحا وجعلها لهم غذاء لذلك تشاهد في بعض محلات بغداد نساء جالسات في قارعة الطريق وأمامهن قدور الباقلاء معدة للبيع. وكنت أشاهد رجلا اسمه(مهدي بن صالح الكردي) يحمل فوق رأسه الباقلاء ويتجول في محلة الميدان وما جاورها وينادي باللغة التركية.(كل ون يهون جاي ابيجمه ون) والمعنى - تعالوا كلوا باقلاء لا تشربون شاي.

الأطعمة غير الناضجة:

ولا تخلو بغداد من الأطعمة غير الناضجة وهي السمك والبيض والجبن والقشطة (الكيمر) واللبن وكلها تباع بأسعار زهيدة لا تخطر على بال واللبن تجلبه نساء عربيات من ضواحي بغداد وقد تعودن الدخول إلى المدينة سافرات.

وما أحلى تلك المرأة التي فوق رأسها(علب) اللبن وما أظرفها وهي تتهادى بقامتها الممشوقة يسترها جلبات أسود تتصل أطرافه إلى الكعبين وقد شد في وسطها حزام حيك من الصوف الملون بالأصباغ ووجهها مستدير في سمرة مشوبة بحمرة خفيفة وعينان سوداوان في ذبول خلاب

تبسم عن أسنان صغيرة متساوية كأنها اللؤلؤ والوشم ظاهر على الذقن وتحت الأنف وقد زاد وجهها رونقاً وجمالاً.

وفي بغداد طعام لذيذ من نوع المخضرات ومن فصيلة المخللات أي (الطرشي) يقال له (كبر) يبيعه بائع يتجول في الطرق وينادي بنغم مطرب وكلام مسجع يجلب الأنظار، (أكلك منافع يا كبر، يكتل الدود ويحمر الخدود بمتن الزنود) هكذا ومع الأسف المرير أن هذا الطعام قد أهمل ولم نر له أثر يذكر في بغداد رغماً على أن الطرشي لازال في بغداد وأحسنه طرشي (حنانش) في جانب الكرخ وخان جغان كما ذكرنا أصبح اليوم سوق تباع فيها الأقمشة الحريرية والقطنية والصوفية.

باب المعظم:

هذا الباب الشمالي لمدينة بغداد وقد سمي بهذا الاسم أخيراً دلالة على أن الطريق يؤدي إلى بلدة الأمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه.

والذي يقف عند هذا الباب يرى بعض السابلة وبائعات اللبن والنخيل الباسقة تلوح على البعد ويرى (قشلة السواريه) تكنة الخيالة واغلب أهل بغداد يسمونها (كرنتينة) والكرنتينة محلة الحجر الصحي لمكافحة الأمراض المعدية ثم يرى مستشفى الغرباء التي نوهنا عنها وعند باب المعظم يرى عربات او عربائن جمع عربية من الخشب على غرار العربائن التي تسير بين بغداد والحلة وكربلاء وبعقوبة تسحبها

البغال تسير ذهابا وإيابا بين بغداد وناحية الاعظمية والكراء أي الأجوة
عن الرجل الواحد عشرة بارات.

معرض حيواني:

وعلى مقربة من باب المعظم شيد المرحوم محمد فاضل باشا
الداغستاني داره وللموما إليه ولع شديد بتربية الخيول العربية الأصيلة
وقد اتخذ لها اصطبلا واسعا أمام داره ووضعها فيه وهناك تشاهد
الخيول من أنسال (الأعبيان) و(الحمداني) و(الكحيلة) و(الصقلاوية)
وغيرها وجمع في الأصطبل بعض الحيوانات منها (السبع) و(الضبع)
و(النمر) و(الفهد) و(الدب) و(الذئب) و(الثعلب) و(حمار الوحش)
و(الإبل) وبعض الطيور منها (النسر) و(الصقر) و(النعامة) و(الطاوس)
و(البط) على اختلاف أنواعه وجعل للحيوانات مروضات رجلا من
الأرمن اسمه (كوستي) وفي عصر كل يوم خميس يسمح لأهل بغداد
بالتفرج على هذا المعرض الحيواني الوحيد في بغداد.

منتزه الميدان:

وأول محلة تبتدى من باب المعظم إلى داخل بغداد محلة الميدان ولم
يكن الميدان حديثا في بغداد فقد ذكره أبو الفرج الأصفهاني في
كتابه (الأغانى) حيث قال: ومن الضراب المحترفين (عمر الميداني) وهو
رجل من أهل بغداد يسكن محلة الميدان معروف بها، وفيه يقول (ابن

الرقاق) سمعت (أبا حشيشة) و(المستورد) ومن قبلهما من الطنبوريين فما سمعت منهم غناء وأكثر تصرفاً من (عمر الميداني)، فيستبان مما قاله الأصفهاني أن محلة الميدان قديمة في بغداد وتضم جملة من الموسيقيين . والميدان في العهد العثماني شارع واحد يمتد من باب المعظم حتى السوق المحاذية إلى جامع الأحمدية جامع الميدان.

وفي الميدان حديقة واسعة غرست سنة ١٣٠٧هـ — يقابلها سنة ١٨٨٩م أيام الوالي سري باشا ووضع وسطها حوض يحتوي على شذروان يقذف الماء بشكل يستهوي الأنظار فبواسطة هذه الحديقة والمقاهي الممتدة على جانب الطريق كان الميدان خير متنزه لأهل بغداد فضلاً على أنه كان فيه دوائر الحكومة السراي الحالية والقلعة ثكنة المدفعية وكانت معروفة في العهد العباسي وفيها أثر يسمى (القصر العباسي) والذي يلفت النظر إلى باب القلعة تمثالان لأسدين وضعا على يمين الباب وشماله.

طوب أبو خزامة:

ويشاهد أمام باب القلعة مدفع كبير طوله أربعة أمتار وقطر فوهته نصف متر مصنوع من نحاس ويسمى (طوب أبي خزامة) وقد كتب على ظهره مما يلي الفوهة ما نصه: (مما عمل برسم السلطان مرادخان بن السلطان أحمد خان) وعلى مؤخره أيضاً ما نصه: (عمل على كتحداي جنود بردركاه عالي سنة ١٠٤٧) أي عمل على الذي هو رئيس الجنود في باب السلطان، والشائع عند السذج من البغداديين والبغداديات

أن (طوب أبو خزيمة) كان صاحب معجزات باهرة والمساعد الأكبر لفتح بغداد ونزعها من أيدي الفرس الذين استولوا على بغداد وأضحى بعد ذلك وليا من أولياء الله ومنهم من يزورونه ويتبركون به ويعقدون الخرق بسلسلة من الحديد التي تطوق قاعدته ويشعلون الشموع حوله كل ليلة جمعة وأكثر زواره من النساء والمرأة البغدادية تعتقد انه ولي قلماً يخيب زواره.

فالقابلة الجدة تأتي بالمولود في يومه السابع وتدخله في فوخته وتخرجه ثلاث مرات تيمنا وتبركا، ومن عقائد الجدات والقابلات أن كل مولود يولد بعد مرور ثلاثة أيام لولادته تأتي الجدة القابلة وتأخذه وتضع على وجهه قطعة بيضاء من القماش القطني الخفيف وتذهب به أولا إلى الجامع ثم إلى (طوب أبو خزيمة) وتدخله في فوخته ثلاث مرات ثم تذهب به إلى الصباغ الذي يصبغ الألبسة فتتقده من الدراهم فيضع الصباغ من جميع ما لديه من الألوان على تلك القطعة القطنية ومن هناك تذهب به إلى محل السجناء وإلى المدبغة التي يدبغ بها الجلود ثم إلى الثكنة العسكرية ثم إلى الجوبة محل بيع الأغنام فتتخطا بين الأغنام المنبثة في الجوبة، وبعد ذلك تعود إلى دار أهله وهي فرحة مسرورة.

ليلة النصف من شعبان:

ومن العوائد المتبعة عند أهل بغداد فانهم يقيمون في ليلة النصف من شهر شعبان في كل عام مهرجانا عاما ويسمون (المحيا) ويسهرون طول الليل ويتجولون نساء ورجالا في الطرق، فالرجال يقضون تلك

الليلة بالألعاب النارية وبتفجير المفرقات وهي تحتوي على (الزنابير)
جمع زنبور وهي لفائف من الورق محشاة بالبارود ونوع آخر
يسمى (طكاك) بالكاف الفارسية وهو من (البوناس) وتنابط كل واحدة من
النساء (دونبك) تضرب به وتغني غناء خاصا الليلة ومنه:

غمج علي يلنايمه هي فرد هل ليلة

والعبارة محرفة الصحيح هي (همج علي يلنايمه) والمعنى أيتها
المرأة النائمة إن كان حصل عندك هم فليكن ذلك علي وتعالى معنا فلن
هذه الليلة ليلة وحيدة. ومن غناء تلك الليلة هو الأغنية المشهورة:

ماجينه ماجينه حل الجيس وانطينه

وكثيرا ما تقع في تلك الليلة من جراء الألعاب النارية خسائر في
النفوس والأرواح والأموال وكلما حاولت الحكومة العثمانية منع تلك
الألعاب النارية لم تفلح ولا زالت هذه العادة باقية إلى يومنا هذا.

ليالي رمضان المبارك:

رمضان شهر مبارك فضلة الله على سائر الشهور فمن أدرك
حكمته وأحسن صيامه وقيامه ظفر بخير الدنيا والدين وحاز الرضا
والقبول وخرج منه صحيح البدن نقي النفس منتقعا بحكمة الصيام ولهذا
ترى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يحتفلون بهذا الشهر
المبارك احتفالات متنوعة تشمل النواحي الدينية والدنيوية وقد ابتدعوا
بها مأكولات لذيذة ومشروبات طيبة خاصة لا تكاد الموائد تعرفها إلا
في هذا الشهر المنعوت بالخيرات وفي هذا الشهر ترى الناس تتوافد

على الجوامع في بغداد لأداء الصلاة المفروضة مع صلاة التراويح وبعد الفراغ من الصلاة منهم من يذهب لزيارة أصدقائه في بيوتهم ومنهم من يذهب إلى القاهي المنبثة في بغداد يقضون الليل في الألعاب المسلية وأحسن لعبة عندهم في ليالي رمضان هي لعبة الصينية والمحبيس.

الصينية والمحبيس:

للبيغاديين ولع شديد بلعبة الصينية والمحبيس تصغير محبس ولعبتها يستغرق وقتا طويلا وقد يكون إلى وقت إطلاق مدفع السحور ومن قواعد اللاعبين بهما مثلا أن أهل محلة الفضل يدعون أهل محلة باب الشيخ وبالعكس فيستقبلونهم بكل حفاوة وتقدير وقد يجوز إفساح المجال للمدعوين التغلب على الداعين في اللعب تقديرا لهم وبانتهائه يقدمون لهم حلويات رمضان ثم يودعونهم بمثل ما استقبلوا به وهذه الألعاب باقية إلى الآن في بغداد ولا تلعب هذه الألعاب إلا في شهر رمضان.

ألعاب القره كوز:

أما الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشرة يذهبون في ليالي رمضان إلى مقهى (عزاوي) في الميدان لمشاهدة ألعاب (القره كوز) وهذه الألعاب ليست حديثة العهد في ذلك الزمن فقد

وصفها العلامة (ابن خلكان) بحفلات المولد النبوي على عهد المظفر صاحب (أربيل) إذ قال: كان مظفر الدين يعقد لكل طبقة في قباب الزينة للاحتفال بهذا اليوم المبارك جوق من الأغاني وجوق من أرباب (الخيال) وقد علمنا انه (خيال الظل) وهو تماثيل من الورق يحركونها بخيوط من وراء ستار نسيج أبيض يشعلون من ورائه شموعا فترسم صورها على الستارة بحركاتها التي تمثل بلسان محركها رواية مضحكة يتخللها أشياء من الهزل والفكاهة، وفي خيال الظل قال الشاعر المناوي:

وجارية ممشوقة القد أقبلت	بحسن كزهر الروض تحت كمام
إذا ما تغنت قلت شكوى صباية	وإن رقصت قلنا حباب مدام
ترينا خيال الظل والستر دونها	فأبدت خيال الشمس خلف غمام
تلاعب بالأشخاص من خلف سترها	كما لعبت أفعالها بأنام

وكانت هذه الألعاب معروفة إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، وأعتقد أن بعض أهل بغداد الأحياء يتذكرون (راشد أفندي) وما كان يقوم به من هذه الألعاب، وهل العاب (خيال الظل) هذه كانت مقدمة لاختراع السينما التي هي اليوم منتشرة في الأنحاء.

أيام الأعياد:

وللأعياد البغدادية صفحات رائعة من صفحات الحياة فهي موضوع الاحترام والإجلال يؤدي الأهلون فيها ما تفرضه الشعائر الدينية والمناسبات العامة ويعظمونها ويظهرون فيها شعورهم نحوها ويتخذون

فيها وسيلة لاطهار البهجة والرضا والتحابب وأهم تلك الأعياد (عيد الفطر) و(عيد الكبير) أي عيد الأضحى وبمناسبة حلول عيد الفطر تشاهد الناس في أيام العشرة الأخيرة من رمضان المبارك والأسواق خاصة بهم لشراء الأقمشة الحريرية والأحذية الجديدة وترى أغلب أهل بغداد مشغولين بعمل أقراص (الكليجة) بالجيم الفارسية وهي خاصة بأهل العراق، وفي صباح يوم العيد يخرج الناس مبكرين من بيوتهم مستصحبين أولادهم الصغار إلى الجامع وكان الآباء يعلمون أولادهم الصغار الصلاة ويحملونهم على أداؤها قبل العاشرة من أعمارهم وكذلك النساء يخرجن إلى زيارة قبور أمواتهن وقرائه ما يتيسر من أي الذكر الحكيم والشائع في القراءات في العيد سورة (يسن)، وللأعياد مواقف خاصة للأفراح منها ساحة الشيخ عمر السهروردي وساحة الشيخ معروف الكرخي وساحة الشيخ عبد القادر الكيلاني وتسمى هذه الساحات (فرجة) وتنصب فيها الأراجيح ويقال لها مراجيح ودواليب الهواء لتسلية الصغار من الفتيان والفتيات، وتراهم يمتطون الحمير عند الذهاب إلى إحدى الساحات (الفرجة) وأحسن (فرجة) هي في ساحة الشيخ عمر السهروردي حيث تقام فيها من جهة الباب (الوسطاني) مسابقة خيل شبه (ريسز) وتسمى (منطرد) تقام تحت إشراف المرحوم محمد باشا الداغستاني وكان يعطي جائزة من خالص ماله إلى صاحب الحصان أو الفرس الفائز لقصب السبق وبعد الانتهاء من السباق تدق الطبول والمزامير ويرقصون رقص (الجوبي) ابتهاجا بيوم العيد السعيد وفرحا بهذا السباق.

حفلات المولد النبوي

كثيرا ما كان أهل بغداد يعتنون بإقامة حفلات ليلية تتلى خلالها تلاوة منقبة المولد النبوي الشريف وباصطلاح أهل بغداد يسمونها (مولود) كما أن الحكومة كانت تقيم في كل عام من يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول بجامع الإمام أبي حنيفة احتفالا بيوم مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وقد جعل ذلك عطلة رسمية لا زالت إلى الآن وتقوم دائرة الأوقاف بنفقات طبخ الأطعمة وتوزيعها على الفقراء كما أنها توزع الدراهم على الأرمال والأيتام ولا تخلو هذه الحفلات في جميع أدوارها من ضروب الفرح والابتهاج والقارئ يتلو المنقبة النبوية المباركة على مسامع الناس وتشرع بطانته بتنزيله من النغم الذي يأتي به القارئ.

واحسن قارئ يجيد تلاوة المنقبة النبوية هو الشيخ عثمان الموصلي. ولد رحمه الله سنة ١٢٨١هـ وكان عالما فاضلا وموسيقيا مبدعا وله نباهة وشهرة في استانبول ومصر وسوريا والعراق واليمن والحجاز وسائر الأقطار العربية التي ساح فيها وله عدة مؤلفات في الشعر والنثر كما كان وحيد عصره في التجويد وقد كادت تنقرض بموته شعبة عظيمة من الفنون الجميلة الإسلامية في العراق.

إن هذا الشيخ الضريع قد بلغ من العمر عتيا وبقي على ذلك أعجوبة الزمن في الذكاء والفطنة وله نواذر عديدة منها انه إذا سمع

صوت واحد عرف أوصافه من طول وقصر وبياض وسواد وحسن ودمامة وعرف عمره وكم له من السنين ومن تكلم معه فلن ينساه أبدا ولو بعد سنين وله القدح المعلى في الموسيقى وكان يضرب العود ويلعب (الدامة) و(الشطرنج) وهو أعمى وهذه إحدى العجائب وله يد في العلوم الفلكية يتفوق بها على علماء عصره، وكان حسن البدانة لطيف النواذر حاضر البديهة مع شراسة طبع وشدة في الأخلاق وقد نفاه الوالي تقي الدين باشا سنة ١٣٠٤هـ يقابلها سنة ١٨٨٦م إلى سيواس لأنه دعا في حفلة لسلطان العجم على رؤوس الأشهاد وهو عثماني وبعد منفاه ذهب إلى استانبول وقد ذهب إليها مرتين نصب في واحدة معلما للموسيقى في مدارس استانبول وذهب إلى مصر وتعلم القراءات العشر وطبع ديوان (الفاروقي) وأحبه المصريون وذاع أسمه وطبع عدة قصائد مخمسه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ولما عاد إلى بغداد عكف إلى ما كان عليه، وقد كانت بطانته مؤلفة من أناس اشتهروا بإجادة (التنازل) ويقال لهم (شغالة) وفي طليعتهم المرحوم عبد الرزاق القبانجي والد الأستاذ محمد القبانجي والمرحوم محمد علي خيول والد المغني حسن خيوكة والمرحوم رشيد أبو ندر والمرحومين شهاب وأحمد ولي شعبان والمرحوم محمود الملقب (ابن الطحانة). وظل ملا عثمان يشنف آذان مستمعيه بتنازله المبدعة ويثج صدورهم بسيره وأحاديثه إلى عام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠م وأخذ يخطب بالناس في جامع الحيدرخانة ويحثهم على المطالبة بالاستقلال، وفي عام ١٣٤١هـ لبى نداء ربه وقضى نحبه وقد أرخ وفاته الشاعر عبد الرحمن البناء بقصيدة عدد فيها مناقبه ومزاياه الحميدة وهي:

رحلت والصدر بالا يمان مـالـن
قضيت نحبا ولم تبلغ منى أمل
وغبت عنا وفي الأحشاء نار أسي
كنت الوحيد بما أوتيت من سدد
على المنابر تدعو أمة عجزت
كأنما القوم قد ماتت عواطفهم
كملت عهد شروط المجد في أدب
وبعدك المولد اختلت قواعده
يا من على الدين قد جلت مصيبيته
بغداد بعدك يا عثمان شاكية
كنت المبرز في ميدان صنعته
بك المحافل والتجويد حافلة
قد عشت تسعين والأفكار منك لها
وهبت لله عمرا منك شيعه
عزم وحلم وآداب ومعرفه
أهل العلوم وأرباب الفنون همو
فقه ونحو وتأليف ولمع حجا
مدحت أحمد طه المصطفى مدحا
ورحت في حلل الرضوان مندرجا
في روضة الخلد قد أمسى نورخه

في نمة الله شيخ العلم عثمان
في النفس إذ شفاها وجد وأشجان
وعن عيون الوري ما غاب إنسان
فقصرت عنك في الآداب أقران
عن شرح قصتها شيب وشبان
حيث المنابر بعد اليوم عيدان
جم ولم يبق في الآداب نقصان
وبات طرف هداه وهو وسان
عليك مولد منشي الدين حزان
خسرانها وممات العلم خسران
والصناعة والآداب ميدان
تصغي إليك من الأشهاد آذان
أدراك كهل له دين وأيمان
ذكر وصوم وتسبيح وقرآن
ونعمة وأهازيج والحنان
صحف وأنت لتلك الصحف عنوان
ونظم شعر به العلياء تزدان
كأنما أنت يا (عثمان) حسان
نادى لك الفوز في الجنات رضوان
مع ابن عفاف وسط الورد عثمان

١٣٤١هـ

مجالس الفواتح والتعازي:

للبيداديين عادات خاصة في حياتهم الاجتماعية وتقاليدهم الدينية فقد ظلوا متمسكين بها منذ مئات السنين ولم تزل متغلغلة في أعماق نفوسهم لا يقوى تقادم الزمن على تغيير أهون القواعد منها ومن تلك العادات الطيبة إقامة مجالس (الفاحة) على أرواح الأموات في البيوت وأحيانا في الجوامع لمدة ثلاثة أيام بلياليها يتلى فيها القرآن الكريم من قبل حفاظ مجودين وتنحرف فيها الذبائح وتطبخ فيها الأطعمة وتوزع على الفقراء والمساكين.

وعند أخواتنا الجعفرية مثل تلك المجالس والتعازي في البيوت و(الحسينيات) وهي الحسينية مفرد الحسينيات وتشيد تبركا باسم سيدنا الحسين الشهيد ابن سيدنا علي بن أبي طالب عليهما السلام وتنشد فيها القصائد أثناء إقامة المآتم ولم تفتني المساهمة في هذا الحفل المحزن فقد ساعدني الحظ على نظم عدة قصائد منها قصيدة (ذكرى عاشوراء) وهي:

أي رزء بكت عليه السماء	ومصاب قد دام فيه الرثاء
ذاك رزء وذاك خطب عظيم	فقدت ابنها به الزهراء
فقدته بكربلا وهي اليوم	عليه حزينة ثكلاء
جمعوا رأيهم إلى الحرب لما	لعبت في عقولهم صهباء
واستعانوا بخائنين لئام	رب قوم خانوا وهم نصراء
قابلوه بأوجه وقلوب	شأنها الغدر ملؤها البغضاء

والتقتهم من آل هاشم شوس
فتية في الوغى بهم كل ليث
ملئوا واسع الفضا بزئير
بذلوا النفس والنفيس بعزم
وقضوا واجب الدفاع إلى أن
ظهروا أنجما وغابوا بدورا
ظل ملقى له التراب فراش
يرمق الطرف ماله من معين
وعلى السجاد أضحى عليلا
إن شر الأفعال فعل طغاة
ما رعوا ذمة بكشف نقاب
نسوة للشام سيقن سبايا
صرخت زينب بصوت وقالت
فلماذا منعتم الماء عنا
لهف نفسي على اسود عرين
لهف نفسي على بنات خدور
لهف قلبي على خيام تداعت
لهف قلبي على بدور أضاعت
بعد رزء الحسين بالله قل لي

حين غصت بخيلها الهيجاء
طلق الوجه واضح وضاء
منه دكت لهولها الأرجاء
فلتلك النفوس روعي الفداء
نفذ الحكم فيها والفضاء
بينهم طلعة الحسين نكباء
وصريعنا له القتام غطاء
غير أطفاله وهم ضعفاء
ومريضا أعياء ذاك الداء
بيني المصطفى البشير أسأوا
من نساء قد ضمنهن الخباء
ومن العار أن تساق النساء
ويلكم هكذا يكون الجزاء
وأبونا لديه ثم المـاء
ورجال أعضاءهم أشلاء
زانهن العفاف بل والحياء
حول أستارها أريقن دماء
ثم غابت فطاب فيها الرثاء
أي رزء بكت عليه السماء

واقدم حسينية في بغداد حسينية آل السيد حيدر في محلة الدهانة
شيدت بعد أن كانت (دواخانة) لهم سنة ١٣٤١هـ وقد أرخ عام بنائها
السيد صادق الاعرجي بقوله:

ذئ جنة طابت مغارسها	فلذا روائح طيبها نفحت
وحديقة للعلم زاهرة	للواردين حياضها طفحت
عبد الكريم الطهر أسسها	وبما حوته كفه سمحت
رام التجارة عند بارئسه	فزكت تجارته بما ربحت
مذ يوم مولد جده كملت	نادى المؤرخ جنة فتحت
	١٣٤١هـ

وهي إلى الآن تقام فيها التعازي. وأشهر قراء التعازي يومذاك
المرحوم السيد عباس الموسوي والمرحوم الشيخ عباس قوزي
والمرحوم الشيخ كاظم سبتي وينعت على الواحد من هؤلاء
بـ(روضخون).

وفي محلة الشيخ بشار بالكرخ حسينية أخرى وهي الدار التي
استولى عليها (البهائيون) البابيون ولكن بنتيجة إقامة الدعوى والمرافعة
في المحاكم رجعت إلى أصحابها حيث تبرعوا بها وجعلوها وقفا خيريا
وهي إلى الآن تقام فيها الصلاة والتعازي هذا وأن التعازي تقام في
العادة المتبعة في شهر رمضان المبارك والأيام العشرة الأولى من
المحرم من كل عام وفي يوم العاشر من المحرم تقام حفلة كبرى في
صحن الإمام موسى الكاظم عليه السلام تمثل فيها واقعة الطف تسير

فيها المواكب وبضمنها تماثيل جثث القتلى و(المحامل) جمع محمل فيها النساء والأطفال تخترق الأسواق والمحاليل وأهل بغداد يعبرون عن ذلك اليوم(الطبك) بالكاف الفارسية وكثيرا ما حاولت الحكومة العثمانية منع إقامة هذه الحفلات فلم تفلح وفي أيام الوالي مدحت باشا صدر بيان نشرته جريدة الزوراء بالعدد ٤١ الصادر في ٤ المحرم سنة ١٢٨٦هـ في منعها واتخذت التجاهر به ازدراء وتشويشا على الناس وهددت من يقوم بأي عمل مخالف بالعقوبات.

القراء والمقرؤون المجودون

قبل مائة سنة اتخذ الولاة والأمراء وأهل السعة في بغداد قراءات القرآن في بيوتهم إلى نزوح العثمانيين عن بغداد وعلى ضوء هذا الاهتمام نبغ في ذلك الوقت قراء كثيرون. منهم المقرئ صاحب الصوت الحسن:

الخواجه محمد سعيد:

كان هذا المقرئ يقرأ في زاوية (الخضر) المعروفة الآن بمسجد خضر الياس ولحسن صوته وأدائه في القراءة، كان المسجد يخصص بالمصلين وكان يعلم القرآن في جامع (الازبك) قرب باب المعظم وقد تخرج عليه جمع كبير من الحفاظ وبقي يدرس وعليه إقبال عظيم إلى أن توفي سنة ١٢٧٥هـ - يقابلها سنة ١٨٤١م أيام الوالي علي رضا باشا ودفن في جامع (الازبك) وقبره ظاهر فيه.

الحاج محمد كنبار:

كان شجي الصوت حسن الأداء متقنا وقد تخرج عليه كثيرون من أرباب القراءة وقد اختاره علي رضا باشا الوالي لقراءة القرآن في

حرمه أيام رمضان المبارك وتوفي غريقاً في نهر ديالى سنة ١٢٧٥هـ
يقابلها سنة ١٨٥٨م أيام الوالي السردار عمر باشا.

الحاج أحمد الأفغاني:

كان يدرس علم القرآن وقراءته في الحضرة الكيلانية وتوفي سنة
يقابلها سنة ١٨٥٢م أيام الوالي محمد رشيد الكوزلكي ودفن في مقبرة
الغزالي.

ملا خليل المظفر:

تخرج على ملا أحمد الأفغاني وعلى الحاج محمد كنبار وكان شجي
الصوت متقن الأداء يدرس علم التجويد في جامع حسين باشا وله وظيفة
إمام في جامع الشيخ سراج الدين توفي سنة ١٣٠٩هـ — يقابلها سنة
١٨٩١م أيام الوالي الحاج حسن باشا ودفن في جامع الشيخ سراج الدين
في محلة الصدرية.

الشيخ عبد الرزاق الحلاوية:

كان فقيها حسن الصوت متقن الأداء اجتمع فيه العلم والقراءة توفي
سنة ١٢٧٢هـ يقابلها سنة ١٨٥٥م أيام الوالي محمد رشيد الكوزلكي
ودفن في مقبرة الغزالي.

الشيخ إسماعيل أمام الباشا:

والمراد بالباشا سليمان باشا الكبير والي بغداد وكان حسن الأداء
توفي سنة ١٢٤١هـ أيام الوالي داود باشا ودفن في الاعظمية.

الحاج عيسى روجي:

كان مديرا لمعارف بغداد وكان مدرسا في جامع الحيدر خانة وكان
متقنا شجي الصوت توفي سنة ١٣٣٧هـ يقابلها سنة ١٩١٩م بعد
احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

السيد جعفر الواعظ:

كان يدرس علوم القرآن والقراءات السبع في جامع (نازدة خاتون)
في محلة الحيدر خانة وهو من العلماء الأعلام وقد تخرج على الملا
خليل المظفر توفي سنة ١٣٢٠هـ يقابلها ١٩٠٢م أيام الوالي عبد
الوهاب باشا.

الشيخ عبد السلام:

كان إماما وخطيبا في جامع الشيخ سراج الدين وكان حافظا للقوآن
الكريم وقد تخرج على الملا خليل المظفر وتوفي سنة ١٣٥٥هـ بعد
احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

الملا عمر خطاب الخضيرى:

تخرج على الملا خليل المظفر وأجازه إجازة عامة في القراءات السبع وقد كف بصره أخيراً، توفي سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م أيام الوالى حسين جلال بك ودفن قرب مقام الشيخ عبد القادر الكيلانى باتصال سور بغداد.

الشيخ عثمان الموطلى:

كان هذا الشيخ علامة في علم التجويد وعلم الموسيقى وكان شجى الصوت وقد تولى تدريس علم التجويد والقراءات السبع فى جامع الخفافين، توفي سنة ١٣٤١ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

الشيخ حسين الافرىدونى:

كان إماماً وخطيباً فى جامع الحاج فتحى وقد تخرج على الملا خليل المظفر وأجازه إجازة عامة بالقراءات السبع، توفي سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالى جمال باشا.

السيد محمود حموش الموصلي:

كان إماما في جامع مرجان وكان حسن الصوت ومشهورا في الأداء وقد اختاره (البرزنلي) لقراءة القرآن المجيد في داره أيام رمضان في كل سنة توفي سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٦م أيام الوالي خليل باشا.

الشيخ عبد الله الوسواسي الموصلي:

كان مدرسا في جامع الخلفاء في بغداد وكان من أرباب القراءات السبع والصوت الجميل توفي سنة ١٣٣٧هـ بعد احتلال بغداد بيد الجيش البريطاني.

الشيخ عبد المجيد ملوكي:

كان مدرسا في جامع الحاج أمين في محلة رأس القرية وإماما وخطيبا في جامع الخاصكي وقد أجز من قبل الملا خليل المظفر، توفي سنة ١٣٢٠هـ يقابلها ١٩٠٢م أيام الوالي نامق باشا الصغير.

الشيخ إبراهيم الرومي:

كان حسن الصوت وقد تخرج على الملا خليل المظفر. توفي في بغداد سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م أيام الوالي خليل باشا.

الشيخ محمد أمين الأنصاري:

كان مديراً لمكتب الصنائع وكان شجي الصوت يجيد القراءات السبع وكان يقرأ القرآن في أيام رمضان في ديوان رجب باشا والتي بغداد، توفي سنة ١٣٥٧هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

السيد أحمد المشهور بابن (جمانة):

كان حافظاً للقرآن الكريم وكان حسن الأداء والترتيل تخرج على الملا خليل المظفر، توفي سنة ١٩٥٤هـ بعد احتلال بغداد.

ملا محمد الحاج فليح:

كان شيخاً لقراء الحضرة الكيلانية وكان حافظاً للقرآن أبج الصوت حسن الأداء والترتيل تخرج على الملا خليل المظفر، توفي سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي حسين جلال بك.

الحافظ الشيخ عبد الوهاب:

كان شيخاً لقراء تكية الخالدية وكان حسن الأداء وهو والد الحاج محمود عبد الوهاب وقد تخرج على الملا خليل المظفر وأجازه

بالقراءات السبع، توفي سنة ١٣٣٩هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

ملا عبد الوهاب الحافظ:

كان حافظاً للقرآن حسن الأداء والترتيل وهو والد الزعيم المتقاعد شاعر عبد الوهاب وقد تخرج على الملا خليل المظفر ، توفي سنة ١٣٣٧هـ بعد احتلال بغداد.

ملا علي الدرويش:

كان إماماً لجامع آل جميل في محلة قنبر علي، حسن الصوت والأداء تخرج على الشيخ عبد السلام وتوفي سنة ١٣٦٢هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

السيد محمد صالح:

كان خطيباً لجامع قنبر علي وكان حسن الصوت وشجيه متقناً للقراءة والأداء، توفي سنة ١٣٣٩هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

الحاج محيي الدين مكي:

كان إماماً لمسجد الشيخ صدر الدين وقد تخرج على الملا عمر الخضيرى والشيخ عبد السلام، توفي سنة ١٣٦٢هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطانى.

السيد إسماعيل السيد إبراهيم الراوى:

كان حسن الصوت يجيد القراءات السبع وقد تخرج على الشيخ عبد السلام توفي سنة ١٣٤٠هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطانى.

ملا جاسم الضير:

هو من أهالى الجانب الغربى (الكرخ) وكان حافظاً للقرآن حسن الصوت والأداء توفي سنة ١٣٦٥هـ بعد احتلال بغداد، وقد بقى من هذه الطبقة الأخيرة الأستاذان الحاج محمود عبد الوهاب وحافظ مهدي وهما اللذان حفظا القرآن والقراءة البغدادية بلهجة خاصة مع أتقان الأداء ومعرفة المقامات العراقية وقد أمتازا على سائر القراء المحدثين فى بغداد.

حفلات الأعراس:

كانت بغداد في العهد الذي نؤرخ فيه تقام فيها فعلا حفلات أعراس في كل حي من أحيائها بمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية لما كان للزواج من أهمية كبرى ومنافع شاملة وقبل الشروع بهذه الاحتفالات تذهب أم العريس للتحري على بنت تكون عروسا لابنها وبعد التحري والسؤال الدقيق عن البنت والتأكد تتم الخطوبة وتحصل على الموافقة من الجانبين وتعطي الهدية المعتادة ويقال لها (نیشان) وهي قطعة من الذهب والأغلب تكون (محبس) أي خاتم تحلى به البنت المخطوبة ويوم إجراء مراسيم العقد (أي المهر) يدعون الأقرباء والأصدقاء ووجوه المحلة للاشتراك فيه وبعد أن يكمل النصاب يتقدم أمام المحلة بأجراء صيغة العقد بالاشتراك مع مختاري المحلة ثم توزع على الحاضرين أقذاح (الشربات) ومناديل السكر وينصرف المدعوون بعد تهنئة والد العريس بزواج ولده الذي حتمت عليه التقاليد والعادات بعدم حضوره في حفلة العقد وقبل زفاف العروس إلى بيت العريس تشاهد جماعة من الحمالين يحملون جهاز العرس يتقدمهم وفد العريس ويسمى ذلك (حملة) وبعد أيام تزف العروس بموكب من النساء إلى بيت العريس بالهتاف والزغاريد (هلاهل) تمشيا على العادات المتبعة.

وفي يوم الخميس ليلة الجمعة يأتي موكب العريس تحفه جماعة من أصدقائه وعارفيه وأبناء محله تتقدمهم (الهوسة الشعبية) يرددون فيها (شايخ خير أو مستاهلها) و(زوجناه واخلصنا منه) ويعقب الهوسة جماعة يحملون عشرات (الفوانيس) جمع فانوس أي مصباح ثم ضاربو

الدمام والطبلة ويبدأ هذا الموكب من المسجد(الجامع) الذي أدى العريس فيه صلاة العشاء ويحف العريس(سردوجان) واحد عن يمينه والأخر عن شماله وقد شحذ فوق رأس كل واحد منهم سيف للمحافظة وهكذا حتى يصل الموكب إلى بيت العريس وهناك يسودع العريس الذين شاركوه بهذا الاحتفال فيدخل إلى الحياة الجديدة من باب ما دخله من قبل.

حفلات الختان:

كان الوجهاء والمؤسرون في بغداد يومذاك يقيمون حفلات أفراح بمناسبة ختان أولادهم وتسمى (زفة أم سلاح) يتجولون فيها على ظهور الخيل ويشد على الخيل التي يمتطونها الأولاد الذين يختتنون أزهى الحلبي من الذهب والفضة وفي اليوم المعين لاقامة الحفلة يجتمع الناس في ساحة باب المعظم أو ساحة (خانلاوند) قبل بنائها ثم يشرعون بالتجوال بالطرق الرئيسية في بغداد وهم على ظهور الخيل معتقلين الرماح والسيوف يتقدمهم(الدمامات) والموسيقى والطبول والمزامير رافعين الأعلام الملونة. وما كان يطيب لهم إلا أن يملأوا أجواء بغداد بالأهازيج الشعبية بأصواتهم المملوءة فرحا وسرورا وبعد تجوالهم يرجعون إلى البيت صاحب الحفلة يهنئونه بختان أولاده ويتناولون طعام الغداء عنده.

لعبة الساس:

ومن متممات أعراسهم وأفراحهم كانوا يقيمون حفلات أخرى نهائية تقام عصر كل يوم لمدة سبعة أيام تجري فيها لعبة شعبية يقال لها (ساس) وهذه اللعبة قديمة عرفت في بغداد من زمن قديم وهي رمز الشجاعة والفروسية. أما كيفية اللعب فبعد أن تجتمع الناس في بيت صاحب العرس أو الختان والطبول تضرب والمزامير تعزف، وأشهر عازف على المزمارة يومذاك خضير ابن كصب والد الأستاذ إسماعيل كصب المحرر بجريدة الزمان وعلى صوت ضرب الطبل يبرز رجلان بيد كل واحد منهما سيف مسلول يلعبان به على وقع الطبل مراعيان الوحدة الموسيقية إلى أن يحمي الوطيس وهناك يهجم الواحد على الآخر فيتضاربان بالسيف ويتقيان الضربات بدرقة بيد كل واحد منهما والدركة معلومة هي آلة من آلات الحرب القديمة وتسمى جنة وبعد الفراغ من اللعب يتصافحان اللاعبان ويتعانقان لئلا تبقى حزازة بينهما، ومع الأسف المرير أن هذه اللعبة تركت وأهملت بل بادت ولم يبق لها أثر يذكر في بغداد.

مجالس الأنس والطرب

ما أحلى ليالي الأنس والطرب وأن كانت مقتصرة في بغداد يومذاك على السباحة في نهر دجلة بواسطة القوارب البلام جمع البلم لاسيما إذا كانت الليالي مقمرة والذهاب إلى (الجزرة) الكاويرية وعلى الجلوس في مزارع الباقلاء (باجلة) وأحسن مزارع للباقلاء هي أرض (المميز) وتقع في طريق الاعظمية وأصبحت الآن دوراً ومدارس، والجلوس في مزارع الباقلاء خاص بأناس تعودوا أحتساء الخمر بها أذ تشاهدهم منبثين بها منتشرين في جوانبها وجلوسهم عصر كل يوم الوقت العشاء ولا تخلو هذه المجتمعات من غناء المقام العراقي وأغلبه مقام (البهرزاوي) وكثيراً ما كان المغني العراقي أحمد زيدان يجلس مع أصدقائه في هذه المزارع رافعا عقيرته يغني والناس يستمعون إليه.

المقام العراقي والمغنين:

المقامات العراقية تقسم إلى خمسة فصول تغنى تباعاً: الفصل الأول يسمى (فصل البيات) والثاني (فصل الحجاز) والثالث (فصل الرست) والرابع (فصل النوى) والخامس (فصل الحسيني):
أما الفصل الأول وهو (فصل البيات) يتكون من المقامات الآتية:

أولاً: (بيات) و(ناري) و(طاهر) و(محمودي) و(سيكاه) و(مخالف) و(حليلاوي).

الفصل الثاني وهو(فصل الحجاز) يتكون من المقامات الآتية:
أولاً: (حجاز ديوان) و(قوريات) و(عريبون عجم) و(عريبون عرب) و(إبراهيمي) و(حديدي).

الفصل الثالث وهو(فصل الرست) يتكون من المقامات الآتية:
أولاً: (رست) و(منصوري) و(حجاز آجغ) و(جبوري) و(خنابات) و(شرقي).

الفصل الرابع وهو(فصل النوى) يتكون من المقامات الآتية:
أولاً: (نوى) و(مسجين) و(عجم) و(صبا) و(راشدي) و(مدمي).
الفصل الخامس وهو(فصل الحسيني) ويتكون من المقامات الآتية:
أولاً: (حسيني) و(دشت) و(أرواح) و(أوج) و(حكيمي) و(بنجكاه).
هذه هي المقامات العراقية نثبتها ما عدا(الشعب) و(البردات) التي تدخل ضمن هذه المقامات. وغير مستحسن أن تغنى على غير آلتى(الكمان والسنطور). ولا يغرب عن البال أن كثيراً من المغنين العراقيين اشتهروا بغناء المقامات العراقية أولهم(شلتاغ) و(أبو حميد) وقد نبغ بعدهما المغني(أحمد زيدان) فكان نادرة زمانه.وعاصر المغني أحمد زيدان مغنون كثيرون منهم خليل الملقب(رباز) و(صالح أبو دمير) و(روبيل رجوان) و(رحمن نفطار) و(حسن الشكرجي) و(ساسون زعرور) و(ابن الشيخ الليل)(وشماي) و(حسقل بيبي) و(سيد جميل) .

الجالغي البغدادي:

يتألف (جالغي) بغداد وهو الجوق الموسيقي البغدادي من فرقتين تحتوي على (الكمان) و (السنطور) و (دف) و (دنبك).

الفرقة الأولى: تشغل ليلاً في مقهى (المميز) في رأس الجسر القديم وقوامها كل من (القارئ) أي المغني المرحوم (أحمد زيدان) و (نسيم بصون) عازف على (الكمان) و (شاؤل بصون) عازف على (السنطور) و (حسقل شاؤل) ضارب على (الدف) و (شاؤل زنكي) ضارب على (الدنبك).

والفرقة الثانية تشغل عصر كل يوم في مقهى سبع بالميدان وقوامها كل من (القارئ) أي المغني (حسن الشكرجي) مرة و (السيد جميل) مرة أخرى. و (صالح شميل) عازف على (الكمان) و (حوكي بتو) ضارب على (السنطور) و (يوسف حمو) ضارب على (الدف) و (عبودي امعاطو) ضارب على (الدنبك).

وعندما يغني المغني تشاهد الجالسين وعلى رؤوسهم الطير وكلهم آذان صاغية لاستماع ما يلقيه أولئك المغنون الذين حفظوا ألحان الغناء بالروايات والتدريس الشفوي المستمر.

البستات البغدادية القديمة:

ولم تكن المقامات العراقية تغنى يومذاك وحدها في (جالغي بغداد) بل يتخللها أغاني البستات عند نهاية كل مقام الذي يغني، ويأبى القارئ

أن يغني البسته مع المغنين ومن أشهر تلك الأغاني أغنية (ما دار حسنه
ابشمر) و (لابس ضريبي) و (امسلم ولا امفارج هله) و (كمره وربيعه)
و (لولا الشعر ينباع) و (يلزارع البزرنكوش) و (حول خيال الشكره)
وغيرها ومن الأغاني التركية أغنية (عربي فلاهي) أي فلاحى
وأغنية (نريه كدرسن يا بيك) بمعنى أين ذاهب يا بيك وغيرها وهذه
الأغاني بادت وكأنها لم تكن.

رشيد القوندرجي:

وبعد ممات أولئك الذين كانوا يشنفون آذان المستمعين بأغانيهم لم
يمت المقام العراقي فقد قىض الله له من يعتزون به ويجيدون غناءه
ومنهم (رشيد القوندرجي) فقد كان حسن الأداء ومن فطاحل المغنين
المشهورين في بغداد الذين شهد لهم المقام العراقي. أخذ رشيد
القوندرجي غناء المقام العراقي عن الأستاذ المرحوم أحمد زيدان
وقبض على زمام أصوله بيد من حديد فيستطيع أن يسمعك المقام
العراقي من الفه إلى يائه بدون تكلف ويشهد له غناؤه المسجل
بالاسطوانات الذي نسمعه بين الآونة والأخرى والذي سيبقى خالدًا خلود
الدهر. توفي في شهر صفر س ١٣٦٤هـ يقابلها سنة ١٩٤٥م.

يوسف حوريش:

وعلى ضوء كتابة هذه الأسطر يجب أن لا ننسى المغني (يوسف حوريش) الذي لم يجعل الغناء مهنة له إلا في أيامه الأخيرة وهو مغني مجيد أخذ الغناء عن أحمد زيدان وعن روبيل رجوان وأتقن أدائه حتى أصبح من المغنين المعدودين اشتهر بمقام واحد هو مقام (الخنابات) بعد أن سجله باسطوانة لاقت إقبالا عظيما عند هواة المقام العراقي. ومن سوء حظه لم يرق له المقام في بغداد بل أسقط جنسيته العراقية وذهب مع من ذهب إلى فلسطين وفيه يصح قول القائل:

ما زاد حوريش في الإسلام خردلة ولا النصارى لهم شغل بحوريش

نجم الشيكلي:

كان مغنيا جهوري الصوت وفي أول أمره انخرط مع زمرة الشغالة في حفلات المنقبة النبوية الشريفة وقد أخذ يصول ويجول فيها مستعينا بصوته حتى اشتهر وبعد احتلال بغداد اعتلى كرسي الغناء في مقهى عزاي بالميدان فكان الإقبال عليه منقطع النظير وحينما وردت مائدة تسجيل الأسطوانات على الحاكي إلى بغداد كان في طليعة من دعوا إليها وسجلت له اسطوانات عديدة لا زلنا نسمعها بين الآونة والأخرى.

محمد القبانجي:

لم تعرف بغداد في تاريخها الحديث والقديم مغنيا ومطربا كالمطرب الأستاذ محمد القبانجي، لقد حفلت سيرته بأعاجيب فنية وامتلات حياته بمواقف موسيقية ملاً صداها ألا ندية فارتفع بها إلى مستوى فن المقام العراقي.

كان الأستاذ القبانجي هبة من مواهب الفن وفرحة من فرحات الموسيقى الشرقية.

لم يأخذ الأستاذ القبانجي الغناء العراقي عن أحد (كما قيل) بل استولى عليه بفطرته الغنائية وذكائه العراقي فكان مطربا بارعا ومغنيا فصيحاً سمعته لأول مرة فقلت له: أشهد أنك خاتم المغنين يا محمد.

نبذة وجيزة عن مقام البهرزاوي:

إن كل عراقي أو بغدادي يشعر بلذة الغناء يستطيع أن يغني شيئاً من المقام البهرزاوي، وبهذه المناسبة أذكر نبذة وجيزة عن تاريخ هذا المقام الذي تضاربت فيه الآراء وتكاثرت فيه الأقاويل فمن قائل يقول إنه غناء دخيل أي جاء من بلد آخر، وآخر يقول إنه فارسي الأصل، وأنا على يقين لو أن الذين تقولوا فيه فكروا جيداً لعلموا أنه مقام عراقي عريق بطابعه ونبرته بهرزأوي بوضعه. وأقرب دليل على ذلك أنه لا يغنى فيه شعر فصيح عربياً كان أو فارسياً أو تركياً وإنما يغنى به (الموال) العربي أي (زهيري) بتعبير البغداديين والموال من وضع

العراقيين بلا تنازع بشهادة الشيخ شهاب صاحب كتاب (السفينة) حيث قال: أول من نطق بالموال أهل (واسط) وواسط (الحي) مدينة عراقية بناها الحجاج بن يوسف الثقفي بالبطينة سنة ٨٣هـ وفرغ منها سنة ٨٦هـ.

أما كيفية وجود هذا المقام وتسميته (بهرزاوي) هي إن في قرية بهرز جماعة من هواة المقام العراقي كانوا يجتمعون في بيت رجل اسمه (صالح القدري) وهذا البيت من البيوت القديمة في تلك القرية وقد اتخذ ندوة سمر لأولئك الهواة وفي ذات ليلة اجتمعوا فيه كعادتهم واخذوا يتحدثون عن المقام العراقي كما هو شأنهم حتى انتهى بهم الحديث إلى المقام (الإبراهيمي) المشهور هل هو من وضع المغني إبراهيم الموصلي أو وضع إبراهيم بن المهدي الخليفة العباسي فاختلّفوا فيه فشرع أحدهم بغنائه والجماعة يصغون إليه بكل جارحة من جوارحهم وطبعاً أن مقام (الإبراهيمي) هو من نغم (البيات) كما هو مثبت في كتابي المسمى (نيل المرام في قاموس الأنغام) المعد للطبع وحينما توغل به المغني إذا بالمستمعين يسمعون غير مقام (الإبراهيمي) المؤلف عندهم فاعترتهم الدهشة وطربوا له وقالوا هذا مقام جديد ما سمعناه من قبل ولما سألوا المغني عنه قال لا أعلم (هكذا طلع معي) واتفقوا على أن يكون ما غناه المغني مقام جديد وطالما هو من نفس نغم (الإبراهيمي) (البيات) يجب أن يطلق عليه اسم (بهرزاوي) نسبة إلى واضعه الذي هو من قرية بهرز.

ولقد كانت حكاية المقام (الحويزاوي) قبله وهي أن أحد المغنين من أهل الحويزة أراد أن يغني مقام (المثنوي) المشهور ولما غناه طلع عنده

غيره فسمي ذلك المقام (حويزاوي) نسبة إلى الحويزة، والمثنوي مقام له شهرة واسعة في جميع الأقطار العربية والفارسية والتركية. ومن النادر أن يوجد مغني عراقي في بغداد يغني مقام (المثنوي) تماما! وكان المغني أحمد زيدان مع شهرته الفاتكة بغناء المقام العراقي يذهب إلى الميدان ويجلس في (جاوخانة) صغيرة لرجل اسمه (أمين دأبي) يسمع منه غناء مقام (المثنوي) وحينما يسمعه يهز رأسه دلالة على إعجابه به وأحيانا يبكي لحسن الأداء وعذوبة الصوت. ولنعد إلى مقام (البهرزاوي) وقد كان تسليية لكل بغدادي ولذلك ترى جماعة من البغداديين يجيدون غناؤه إجابة تامة ومنهم:

مجيد كركر:

مهنته قهواني ومقهاه يقع في محلة الفضل وهذا المقهى كان ندوة فن يختلف إليه عشاق المقام العراقي يترأسهم المغني أحمد زيدان وكثيرا ما كان يخاطب مجيد كركر: أنك وإن لم تغن جميع المقامات العراقية فمقام البهرزاوي يغنيك عنها، وبعد وفاة المرحوم أحمد زيدان سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٩٠٢م إلى مجيد كركر على نفسه أن لا يغني طول حياته ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى أخذ جنديا وذهب مع الجيش العثماني إلى جهة (أرضروم) ولم يعد إلى بغداد.

حسنون مصطاف:

هو والد المغني عبد القادر حسنون كان مغنيا فحلا حسن الصوت قوي الحنجرة وكان ملازما لاحمد زيدان لايفك عنه ليلا ونهارا حتى أتقن الغناء فصار من المغنين الذين يشار إليهم بالبنان ولم يمتحن الغناء طول حياته، وإذا ما دعي أحمد زيدان إلى حفلة عرس يستصحبه وعندما يطلب من أحمد زيدان غناء مقام (البهرزاوي) جريا على العادة يفسح المجال إلى حسنون لغنائه ويقول إلى من طلبه (حسنون يغنيه أحسن مني) وناهيك في المباريات التي كانت تجري في مقهى مجيد كركر كان حسنون أول الفائزين.

الحاج سبع القصاب:

هو من محلة المهدية ببغداد ومهنته (جزار) قصاب وكان شجي الصوت أعذبه وكان يجيد غناء المقام (البهرزاوي) وإذا أراد أن يغنيه يجلس في مقهى (حمدي النهر) في سوق الفضل تجاه النافذة المطلّة على ساحة جامع الفضل وبعد أن تتم صلاة العشاء يشرع بالغناء وكان المرحوم العلامة عبد الوهاب النائب يجلس في الجامع بعد الصلاة يسمع غناؤه وهو معجب به غاية الإعجاب.

أحمد ملا علي:

له ولع بالغناء العراقي ويجيد غناء المقام (البهرزاوي) وهذا الرجل من بيت جاه ونعمة في قرية (الهويدر) التابعة إلى مدينة بعقوبة. اتصل أحمد ملا علي بالمغنين البغداديين وأخذ الغناء عنهم ويدعي أنه أخذ المقام (البهرزاوي) عن المغني الشهير (خليل رباذ) وإذا غناه لا يغادر كبيرة ولا صغيرة من (شعبه ومياناته) إلا ويأتي بها.

السيد شاكر البناء:

كان السيد شاكر البناء مغنيا شجي الصوت أخذ الغناء عن المغني الشهير الحاج محمود البصري في مدينة البصرة وأصبح من المغنيين المبرزين ولم يحترف مهنة الغناء إلا في أواخر أيامه بعد أن كف بصره.

وكان يجيد غناء المقام البهرزاوي وكثيرا ما كان يغنيه في محطة الإذاعة ببغداد ويبيكي.

البسنتات العراقية الحديثة:

لقد ظهرت أغان عديدة في بغداد وكانت لا تظهر إلا بالمناسبات ومنها في سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩١٨ م ظهرت في مدينة الموصل أغنية (علروزنه) ولرقة نغمها وحسن معانيها التي لا تخلو من

عواطف الحب انتشرت في بغداد انتشارا عظيما ومناسبتها أن فتاة في الموصل كانت مخطوبة لاحد أقربائها وكانا يتبادلان الحب النزيه ويتحادثان بواسطة كوة صغيرة في الجدار الذي يفصل بين داريهما، وأهل الموصل يعبرون عن الكوة باسم (روزنه) وأهل بغداد (رازونه)، ولما علمت أم الفتاة أن ابنتها تتحدث مع خطيبها بواسطة تلك الكوة أغلقتها منعا للاتصال بينهما قبل عقد الزواج ولم تكتف الأم بهذا العمل بل قالت ((علوزنه الروزنه كل البلايها) وعلى الفور أجبتها ابنتها: (واشعملت كمتي سديتها) وبهذه الكلمات أصبحت أغنية. ومثال تلك المناسبات أن بعض من تعود على احتساء الخمر الجلوس في الحانات أي (المايخانات) لأن بغداد لم يكن فيها يومذاك فنادق وبارات كما هي اليوم وهذه (المايخانات) عبارة عن مواخير مظلمة لا يدخلها شمس ولا هواء ولهذه الحالة التعيسة قال بعض الجالسين لرفقائه وهو ثمل (سكران) اسمعوا يا جماعة:

فتح ورد الباجله عيشة كدر وامذله
ومعنى كلامه أن وقت الربيع قد حل وورد الباقلاء قد تفتح قوموا بنا لنذهب إلى هناك يريد بذلك مزارع الباقلاء فهذه المناسبة كانت هذه الأغنية .

ومناسبة أخرى: إن شابا من أهل بغداد كان يذهب مع بعض أقاربه إلى الجزيرة (الكاوورية) والجزيرة تظهر في نهر دجلة بعد انخفاض الماء في الصيف وكان ذهاب الشاب إلى الجزيرة بعلم من صديق له وكثيرا ما كان صديقه يطلب منه أن يرافقه والشاب لا يقبل فقال له صديقه يوما وهو يلاطفه:

يعجبني نزله اويالك للكاورية تعطش وشربك ماي بجفوف ايديه

والمعنى ظاهرة فأصبح هذا أغنية والناس يغنون بها.

ومناسبة أخرى: إن فتاة زوجها أهلها بمن لا تهواه وكان صداقها بالعملة التركية (نوط) ورق في وقت كان هذا (النوط) في غاية التدهور وكانت الليرة الورق يومذاك تساوي ربع دينار، فقالت الفتاة:

أنا المظليمة أنا!

أنا المسجينة أنا

بالنوط والوعده سنة

أنا الباعوني هلي

أما الوعدة سنة فقد كتب على النوط التركي بعد مرور سنة من

انتهاء الحرب يعطى بدله ليرة ذهب!

ومناسبة أخرى: أن فتاة زوجها أهلها دون رغبتها ولحسن حظها لم يمض على زواجها مدة من الزمن حتى توفي زوجها وبعد وفاته بمدة أعاد أهلها عليها الكرة وأرادوا زواجها مرة أخرى طمعا في صداقها وكلما حاولوا إقناعها فلم يفلحوا وأخيرا وسطوا أحد السادة من أقربائهم لإقناعها وقد خابت وساطته رغما عن نصائحه وإرشاداته وبعد هذا ظهرت أغنية:

صادوني وانحليت ما بعد أوالف حجي الحجينه اوياي كله سوالف

مظلومة يسيد آني مظلومة يمظلومه

ومناسبة أخرى: إن فتاة كانت مخطوبة لابن عمها وكانا يتبادلان الحب وقد تعود ابن عمها عبور نهر دجلة والذهاب لمقابلتها وصادف أن فاض نهر دجلة كعادته في كل عام وانقطع الجسر وقد تعذر عليه عبور نهر دجلة بواسطة (القفف) جمع قفة ودام ذلك الفيضان أيام فخرجت الفتاة تشاهد النهر والفيضان على أشده فقالت:

ميك لحد الساك يا شط عسك محرمني شوف اهواي يلكلها منك
والمعنى: أن الفتاة حينما شاهدت النهر وأواجه تتلاطم أخذت
تدعي عليه على أن يكون مأوه منخفضا إلى الكعبين.
ومناسبة أخرى: في أول إعلان الحرب العالمية الأولى أن جنديا
جاء ليودع أهله ليلتحق بالجيش المحارب فخاطبته ابنته وقالت:
يمسافر الله وياك او كف دحاجيك خاف الفراك يطول ما بعد الاجيك
يا باباه خذني اويـاك مـكـر على فركـاك
تواعدني جاوين الكاك روي العز يزه تفـداك
فصار كلامها أغنية وهكذا كانت تظهر الأغاني ولا تتلاشى الأغنية
حتى تظهر غيرها.

أغاني اليهود:

ولليهود في بغداد أغاني خاصة تغنى في حفلات أفراحهم ويغنيها
جماعة من النساء على آلة (الدف) و (الذبك) و (النقارة) وهكذا الجوق
يسمى (الدقات).

وكثيرا ما كنا نسمعها في بعض الليالي ومنها:
عفاكي عفاكي على فند العملتينو
أنا اتعبتو أنا اشقيتو على الحاضر أخذتينو
وأشهر مغنية ودقاقة امرأة أسمها (مسعودة البمبيلية) نسبة إلى
مدينة (بمبي).

ميدان العبيد:

الشائع عن ناظم باشا والي بغداد انه كان يتجول في بغداد وأطرافها وفي ذات يوم أثناء تجواله في الجهة الشرقية في محلة الفضل شاهد على البعد علما قائما في وسط ساحة كبيرة مسورة ببناء من طين(طوف) جمع طوفة وهذا هو البناء الذي كانت تقيمه الطبقة الفقيرة في بغداد يومذاك، وهذا العلم كان أحمر اللون تتوسطه نجمة وهلال من لون أبيض لا يختلف عن علم الدولة العثمانية وتساءل ناظم باشا عن وجود هذا العلم في الساحة النائية عن عمارات بغداد فأجابته مرافقه هذا(ميدان العبيد) فاغتاط الوالي وأمر بإنزال هذا العلم ومن ذلك الوقت لم تقم له قائمة ولم يستعض غيره. وإيضاحا لما نحن بصدده يجب أن يعرف القارئ من هم(العبيد) وما هو ميدانهم؟ أما العبيد هم الزنوج ويقال لهم(نوبيون) وان أجدادهم نقلوا إلى الجزيرة العربية وبيعوا بسوق النخاسة وانتشروا في أنحاء بغداد ويسكن بعضهم بغداد في الجهة الشرقية في محلة الفضل، ومن عقائد هؤلاء الزنوج التي يتمسكون بها أنهم ينقادون إلى رؤسائهم وآخر رئيس لهم عرفته هو الشيخ(مبروك) الذي كان يكنى أبا غريب.

أما(ميدان العبيد) هو الذي يؤدي فيه أولئك الزنوج شعائرهم وطقوسهم الدينية وهذه المراسيم لاتجري في البيوت وإنما تجري في الساحات ومن هذه جاءت تسمية(ميدان العبيد)، وكيفية تلك المراسيم أنها تقام في ليالي الجمع تمشيا على عاداتهم، والفرقة الموسيقية التي تشترك في المراسيم مؤلفة من عازف على(الطنبور) وتسمى

باصطلاحهم (طنبورة) وضاربين على الطبول وهي الطبول غير المعروفة عندنا وقبل البدء بالعزف والرقص يقرأون سورة (الفاتحة) تبركا بها ثم يتقدم الزنوج والزنجيات ويدخلون الحلقة المعدة للرقص وينشدون أولا أنشودة (التوبة) على نغم الطنبور وهي: (يا الله يا الله ياربى توبة) ويستمررون بترداد هذه الأنشودة حتى يبلغ الحماس أشده ثم يبرز زنجي يرتدي ملابس خاصة وقد ربط بوسطه قطعة جلد معلق بها (أظلاف) مواشي كالغنم والماعز يسمى (حبوب) ويقف بوسط الحلقة متكئا على عصا ويبدأ بالرقص فيهتز ويرتجف فتحدث تلك (الأظلاف) خششة، ويشترك معه في الرقص جماعة من الزنوج والزنجيات ويتحركون كما يتحرك وتشتد أقدامهم في الضرب على الأرض مع اهتزاز أجسامهم ويميلون إلى الخلف والأمام ويسمى هذا الرقص (هنكيمة) ويشتد الرقص حتى يبلغ ذروته فينهار رجل أو رجلان ويسحبان من داخل الحلقة إلى خارجها يرتعشان ولم تهدأ حالتهم مالم يكف العازفون عن العزف وبعد أن تهدأ حالة هؤلاء يرددون جميعهم بينهم وبين أنفسهم: الحمد لله ثلاث مرات.

الملاهي وأثرها:

ومن حسنات ذلك العهد الغابر أن لا يوجد فيه للسفور أثر فالبنت التي عمرها عشر سنين لاتخرج من بيتها بدون عباءتين و(بوشي) برقع حرير أسود يغطى به الوجه، ومن النادر أن تشاهد امرأة تخرج إلى السوق لشراء الحاجيات الغذائية حتى أن الملهى لا يوجد فيه نساء يغنين

ويرقصن بل كنا نشاهد غلمانا يرتدون أردية نسائية ويتشبهون بهن على المسرح والمسرح يسمونه أهل بغداد (شانو) والملهى الوحيد هو ملهى سبع في الميدان.

مقتل نعيم:

وأذكر أن حادثة مؤلمة وقعت في ملهى سبع سنة ١٣٢٥ هـ يقابلها سنة ١٩٠٧م وفحواها أن رجلا يهوديا اسمه (سليم) قد خدع غلاما مسيحيا اسمه (نعيم) وكان الغلام في غاية الحسن والجمال أتى به إلى بغداد ليشغل في الملهى وفي كل ليلة يتهافت الناس على الملهى للتمتع بذلك الجمال الباهر فأحبه بعض أهل بغداد وأراد به المنكر فأبت نفس الغلام الزكية وكثيرا ما كان يغريه بالمال ويسترضيه بالوعود الخلابه فلم يفلح فجاءه ليلا وهو (سكران) والملهى يضم المئات من الناس وأطلق عليه الرصاص فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض مخضبا بدمائه فحمل إلى مستشفى الغرباء وهناك ظل ملقى على فراش الألم الممض يعاني البؤس الذي أحاط به حتى قضى نحبه، وقد أرخ المرحوم معروف الرصافي عام وفاة ذلك القتل بقصيدة عنوانها: (اليتيم المخدوع) وهي:-

قضى والليل معتكر بهيم	ولا أهل لديه ولاحميم
قضى في غير موطنه قتيلا	تمج دم الحياة به الكلوم
قضى من غير باكية وبالك	ومن يبكي إذا قتل اليتيم
قضى غض الشبيبة وهو عف	مطهرة مآزره كريمة

سقاء من الردى كأسا دهاقا
تجرعها على طرب ولكن
على حين الربابة في نواح
بحيث رقائق الألحان كانت
كان ترنم الأوتار نعي
فجاء الموت ملتفعا بخزي
وأطلق من مسدسه رصاصا
فخر إلى الجبين به (نعيم)
فبات مودعا بعد ارتئاب
لئن لم تبك من أسف عليه
ولو درت النجوم له مصابا
عسى الشهباء تتأره فتبدي
فلم يقتله إبراهيم فيما
أليس سليم الملعون أغوى
وأخرجه من الشهباء غرا
وجاء به إلى بغداد حتى
سأبكيه ولم أعبأ بـلاح
ولما أن ثوى ناديت أرخ

عفاف النفس والعرض السليم
بكف اليتيم ليس له نديم
يساجلها بها العود الرخيم
بها الأجفان طافية تعموم
وصمت السامعين بها وجوم
وملء إهابه سفه ولوم
به في الرمي تخترق الجسوم
كما أنقضت من الشهب الرجوم
حياة لا تناط بها الرسوم
سفاهتنا فقد بكت الحـوم
بكته على ترفعها النجوم
إلى الزوراء ما يبدي الخصيم
أرى بل أن قاتله سليم
نعيمًا فهو شيطان رجيـم
يتيما ما له أبدا زعيم
تخرمه به قتل أليـم
وأندبه وإن سخط العموم
ثوى قتلا بلا مهل نعيم

الراقصات في بغداد:

وعندما بزغت شمس الحرية سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م صارت بغداد تمرح في عهد جديد من الأنس والطرب وفسح المجال للراقصات أن يدخلن إلى بغداد وأول راقصة حلت ببغداد (رحلو) الملقبة (جرادة) جاءت من مدينة حلب وعند وصولها إلى بغداد وقع الناس في سورة من العجب لهذا الشيء الذي ما كانت تألفه بغداد من قبل وتهافت الناس على المرقص (المهوى) تهافتا يخشى منه على فساد الأخلاق فضلا على ابتزاز ثروة الأهلين وأخذت الجرائد تنقد هذه الحالة فلم يكن هناك من سامع أو ملتفت وللشاعر معروف الرصافي مقطوعة نظمها بعد أن شاهد هذه الحالة وكانت بعنوان (بغداد بعد الدستور) وهي:-

أرى بغداد تسبح في الملاهي	وتعبت في الأوامر والنواهي
رمت حملانها الأرياف حتى	تناطحت الكباش مع الشياه
فيا بغداد أن الأمر جد	فحلي بعض هزل في الملاهي
جميع الناس قد نفضت كراها	وأبدت للعلی نظر انتباهي
وفيك معاهد الدستور تشقى	بغفلة غافل أو سهو ساهي

وظلت بغداد تسبح في هذه الموبقات وأعقبت الراقصة رحلو (جرادة) جماعة من الراقصات أذكر منهن (طيرة المصرية) و (فريدة استيتيه) و (حسنی دنسكور) و (فريدة العراطة) و (بهية الانطاكية) و (شفقة الشامية) و (طيرة بنت الخائم) و (ملكة المصرية) و (فيروز أرمني) و (زكية السدية) و بنات حارة (ثريا وماري ورحلو)

و(بهية سميكة) و(سمحة العوادة) و(ثريا الجمل) و(جميلة خاتونة)
و(حسنى الشامية) و(نحلية شحادة) و(نحلية فوزي) وبنات لاطي(خانم
وبديعة وشفيفة) و(زكية زلط) و(سرينة) و(ملكة) و(عيشة إبراهيم)
و(التركية ألن) و(ماري الرومية) و(ماريكة دميتري) و(حسيبة مكنسو)
و(منيرة المصرية) وغيرها. وظلت هذه الراقصات ضاربة كابوس
إغوائها على السذج من أبناء بغداد إلى أن فرغت الجيوب وتفسخت
الأخلاق من جراء إغوائهن والرقص الخليع الذي يستهوي القلوب
ويستفز الأفئدة، والبغدادى الذي ما تعود على مشاهدة هذا الأغراء
والنساء العاريات واقفات على خشبة المسرح منهنكات في الاهتزاز
والرجرجات لابد أن يقع في سورة من العجب ويحسب هذا فنا جديدا
أبدعته حرية العثمانيين وناهيك عن الأغاني التي جئن بها والتي هي
بعيدة كل البعد عن الذوق البغدادى.ومن تلكم الأغاني: أغنية(حنا يا حنا
يا عطر النداء) و(يا طيرة طيري يا حمامة انزلي) و(طلعت يا محلا
نورها شمس الشموسة) و(وعلى الببية والببية خذه رز ابحابية) و(يا
نخلة بالعلا لي كل أثنين شبكو سوا) و(ويلي واويلي سمسمه أكلي
وشربي سمسمه) و(يامنتسه يامنتسه يم اعيون الناعسة) و(يلطير
الأخضر تسبح بالمية) و(بنت الجابية اعيونك لوزيه) و(ياميمتي آه
يايمة) و(قدك المياس يا عمري) و(زوروني بالسنة مرة حرام) و(يلنايمة
على غصون يا عيني) و(يا غزالي كيف عني ابعووك) و(علزينو زينو
أسمر وامكحلة عينو) و(آه يا اسمر اللون حياتي الاسمراني) و(مرمر
زمانى يا زمانى مرمر) و(على دلعونة على دلعونة) و(علي يا علي
بياع الزيت) و(زوالف يابوزلوف عيني زلوفية) و(يا محلا الفسحة).

وكل هذه الأغاني لم تلق رواجاً لدى البغدادي مثل أغانيه التي تعود على سماعها بشوق وتلهف وهو لا يزال يذكرها بشوق شديد، وبعد أن شعر أصحاب الملاهي أن أهل بغداد سئموا ذلك الرقص الخليع وتلك الأغاني الرخيصة وأن سير الملاهي أخذ بالتقهقر الشنيع مما يؤدي إلى الخسارة المادية فضموا إلى جوق الرقص جوق تمثيلي هزلي مؤلف من عدة أشخاص يقيمون بدوره آخر الليل ويسمى هذا الجوق (إخباري).

وان مثل هذا الجوق التمثيلي وسيلة من وسائل تهديم الأخلاق إذ لا ينفك ممثلوه من إرسال الألفاظ البذيئة والحركات القبيحة دون أن يشعروا ما قاموا به على مشهد من الجمهور المتفرج، ولم يكن هذا الأخباري حديث العهد آنذاك فهو على غرار الفصول الهزلية التي كان يقوم بها الهزلي البغدادي المشهور (ابن الحجامه) وزميله الفكاهة (منصور) غير أنه منظم بملابس مزركشة فضلاً عن إظهار الخناجر والسيوف ومشاركة النساء في هذا العرض والبغدادي المرح بطبيعته يترقب لكل شيء ينعش خاطره ولذلك تشاهد الناس يلتفون حول رقص القرد في الطرق وهم فرحون مسرورون لما يأتي به القرد من الحركات المضحكة، والقرد يسمى باصطلاح أهل بغداد (شادي) وهذا الاسم ليس اسم القرد وإنما صفة لصاحب القرد لأنه يشدو والقرد يرقص على شدوه.

السجون في بغداد

للحكومة العثمانية ثلاثة سجون ببغداد، الأول يسمى:

حبس الأوردي:

ومقره في (قشلة البيادة) أي ثكنة المشاة وبمحله اليوم مديرية طابو بغداد الرصافة.

وكان الشروع في بناية هذه القشلة سنة ١٢٧٨هـ - يقابلها ١٨٦١م أيام الوالي نامق باشا الكبير وفي عهده لم يكمل بناؤها وقد أكمله الوالي مدحت باشا وأقام في ساحتها ساعة كبيرة وهي إلى الآن موجودة غير أن قمتها قد تبدلت والغرض من وجود هذه الساعة في القشلة هو أيقاظ الجنود إلى أوقات التدريب العسكري، وهذا السجن يضم الجنود الذين يفرون من الجندية وبضمنهم الذين يرتكبون الجرائم وهم تحت السلاح. أما سبب تسميته (حبس الأوردي) نسبة إلى آلتجن أوردي أي الفيلق السادس للحكومة العثمانية وللحكومة العثمانية إذ ذاك سبع اورديات الأولى (أستانبول) والثاني (ادرنة) والثالث (سلانيك) وهي المنينة التي اتخذت مقرا للسلطان عبد الحميد بعد خلعه من عرش السلطنة العثمانية والرابع (الشام) والخامس (ارضروم) والسادس (بغداد) والسابع (اليمن). والذي يشرف على هذا الحبس (مركز قومندان) أي آمر انضباط وقد تولى هذا المنصب أتراك وعرب وأعرف منهم (زكي بك) العزراوي

و(محمود سامي بك) و(عبد الجبار بك) وآخرهم(محمود بك) الذي أمر أن يكتب على باب(إلا كمكخانة) أي مخبز الجيش الحالي الآية الشريفة قوله تعالى(إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وقد غضب قائد الجيش بعد الاطلاع عليها وأمر بسوقه إلى جبهة الحرب ورفع هذه الآية الكريمة عن الباب.

و(المركز قومندانى) معاونون عرب وأتراك منهم(محرم) أفندي و(يونس) أفندي و(ججان) و(نوزاد) وهو تركي شرس الأخلاق سيئ الطباع وأعرف المرحوم الحاج(رشيد) الشبلاوي والد الأستاذ حقي الشبلي كان برتبة(قانون ضابطي) أي ضابط الانضباط والحاج(جاسم) البياتي برتبة(قانون جاوشي) أي عريف انضباط وهؤلاء مقرهم في (قشلة البيادة) أي ثكنة المشاة.

حبس القلعة:

وبعد سجن الاوردي يأتي سجن القلعة ويضم هذا السجن المجرمين الأهليين الذين يحكم عليهم بمدد مختلفة من الثمان سنين إلى العشرين سنة، وسجناء القلعة أكثرهم يزاولون مهنة خياطة(العبي) جمع عباية وهي من متممات الأزياء العراقية كما نوهنا عنها وكان مديرا لهذا السجن رجل تركي.

حبس السراي:

ويأتي بعد سجن القلعة سجن السراي مديره (محمد أفندي) المشهور (ابن كردة) وهو والد السيد مصطفى الموظف بدائرة الري ببغداد، ومحل السجن اليوم وزارة الداخلية ويضم هذا السجن من يحكم عليهم من الشهر إلى ما فوق، وهذه السجون الثلاث ليست كالسجون التي عندنا اليوم فالحكومة العثمانية لاتعطي للسجين أكثر من ثلاث صمونات يوميا وقد أثارت هذه الحالة في السجون نفسية الشاعر معروف الرصافي وما كان يعانيه السجناء فنظم قصيدة بعنوان (السجن في بغداد) وهي:-

سكنا ولم نسكن حراك التبدد	مواطن فيها اليوم أيمن من غد
عفى رسم معنى العز فيها كما عفت	(الخولة أطلال برقة ثمهد)
بلاد أناخ الذل فيها بكالكـل	على كل مقتول السابليـن أصيد
معاهد فيها ضل سابق عزها	فهل هو من بعد الضلالة مهتد
أحاطت بها الأرزاء من كل جانب	إلى أن محتها معهدا بعد معهد
وحلق في آفاقها الجور بازيسا	مطلا عليها صامتا بالتهدد
وينقض أحيانا عليها فتسار	يروح وفي بعض الأحيـين يغتدي
فيخطف أشلاء من القوم حية	ولم يقد المقتول فيها ولم يد
ويرمي بها في قعر أظلم موحش	بها أين تسقط جنوة الروح تخمد
هو السجن ما أدراك ما السجن انه	جلاد المنايا في مضيق التجلد
بناء محيط بالتعاسة والشقا	لظلم بريء أو عقوبة معتد
زر السجن في بغداد زورة راحم	لتشهد للانكاد أفجع مشهد

محل به تهفو القلوب من الأسى
 مربع سور قد أحاط بمثلـــــــــــــــــه
 وقد وصلوا ما بين ثان وثالثـــــــــــــــــث
 وفي ثالث الأسوار تشجيك ساحة
 وفي وسط السور الشمالي تنتهي
 هي الساحة النكراء فيها تلاعبت
 ثلاثون مترا في جدار يحيطها
 توصلت الأحزان في جنباتها
 تصعد من جوف المراحيض فوقها
 هناك يود المرء لو قاء نفســـــــــــــــــه
 فقف وسطها وأنظر حواليك دائرا
 مقابر بالأحياء غصت لحودها
 وقد عميت منها النوافذ والكوى
 تظن إذا صدر النهار دخلتها
 فلو كان للعباد فيها إقامــــــــــــــــة
 يزور هبوب الريح إلا فناءها
 تضيق بها الأنفاس حتى كأنها
 وحتى كأن القوم شددت رقابهم
 بها كل مخطوم الخشام مذلل
 يبیت بها والهم ملء إهابـــــــــــــــــه
 يمیت بمكذوب العزاء نهــــــــــــــــاره
 ينوء بأعباء الهوان مقيــــــــــــــــدا
 فان زرتة فاربط على القلب باليد
 محيط بأعلى منه شيد بقرمــــــــــــــــد
 بمعقود سقف بالصخور مشيد
 تمرور بتيار من الخسف مزيد
 إليها بمسدود الرتاجين موصــــــــــــــــد
 مخاريق ضيم تخط الجد بالدد
 بسمك زها بالعشر في الجو مصعد
 بحيث متى يبلى الأسى يتجدد
 بخار إذا تمرر به الريح تفسد
 وأطلقها من أسر عيش منكــــــــــــــــد
 إلى حجر قامت على كل مقعد
 بخمس مئين أنفاس أو بازيــــــــــــــــد
 فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
 كأنك في قطع من الليل أسود
 لصلوا بها ظهرا صلاة التهجد
 ولم تحظ من وصل النسيم بموعد
 على كل حيزوم صفائح جلمــــــــــــــــد
 بحبل اختناق محكم الفتل محصــــــــــــــــد
 متى قيد مجرورا إلى الضيم ينقد
 بليلة متبول الحشا غير مقصــــــــــــــــد
 ويحيي الليالي غير نوم مشرــــــــــــــــد
 ويكفيه أن لو كان غير مقيــــــــــــــــد

وتقذفهم تلك القبور بضغطها
فيرجع في بعض حصير ظلاله
وليست تقيه الحر إلا تعلية
وبالثوب بعض يستظل وبعضهم
فمن كان منهم بالحصير مظلاً
تراهم نهار الصيف سفعا كأنهم
وجوه عليها للشحوب ملامح
وقد عمهم قيد التعاسة موثقاً
فيسدهم في عيشة مثل خادام
يخوضون في مستنقع من روائح
تدور رؤوس القوم من شم ننتها
تراهم سكارى من عذاب وما هم
وتحسبهم دودا يعيش بحماسة
إلا رب حر شاهد الحكم جاثرا
فقال ولم بجهر ونحن بمنتدي
على أي حكم أم لأية حكمية
فأدريت للنجوى فمي نحو سمعه
رعى الله حيا مستباحا كأنه
وما صاحب البيت الحقير بناؤه
وما ذاك إلا أنهم قد تخانلوا
فناموا على الجلى ونمت كنومهم
وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا

عليهم لحر الساحة المتوقد
ويجلس فيها جلسة المتعبد
لنفس خلت منصبرها المتبدد
بنسج لعاب الشمس في القبط يرتدي
يعدونه رب الطران الممدد
أثاني أصلاها الطهارة بموقد
(تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد)
قلم يتميز مطلق من مقيدد
وخادمهم في ذلة مثل سيد
خبائث مهما يزدد الحر تزدد
فمن يك منهم عادم الشم يحسد
سكارى ولكن من عذاب مشدد
وما هو من دود بها متولد
يقود بنا قود الذلول المعبد
به غير مأمون الوشاية تبتدي
بيغداد ضاع الحق من غير منشد
وقلت لأن العدل لم يتبغدد
من الذعر أسراب النعام المطرد
بافزع من رب البلاط الممرد
قلم ينهضوا للخصم نهضة ملبد
سوى نومة مني بشعر مغرد
مشيت وإن تقعد أولئك أقعد

وكم رمت إيقاظا فأعيا هبوبهم فكيف وعزم القوم شارب مرقد
نهوضا نهوضا أيها القوم للعلی لتبنوا لكم بنيان مجد موطد
وسد علينا الاعتساف طريقنا فأجحف بالغوري والمتجدد
فيا رب نفس من كرب عزيمة ويارب ضعف من عذاب مشدد

المخافر ورجال الأمن:

كانت ببغداد (قولغات) جمع قولغ أي مخفر منبثة في محلات بغداد يشغلها رجال البوليس والدرك (الجندرمة) وأذكر منها مخفر محلة الفضل وقد صار ضمن مدرسة الفضل الابتدائية ومخفر محلة السور وقد صار دارا وهو قرب دار المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني ومخفر محلة حمام المالح وقد تهدم ومخفر محلة قنبر على وقد صار ضمن الشارع ومخفر محلة أبي سيفين وقد صار دارا ومخفر محلة الشورجة ولا زال إلى الآن ومخفر محلة رأس القرية وقد صار حوانيت ومخفر محلة الحيدرخانة وقد صار حوانيت ومخفر محلة السنك وقد انمحي ومخفر محلة باب الشيخ ولا زال إلى الآن ومخفر باب الشرقي وقد انمحي ومخفر الشيخ عمر مقابل جامع الشيخ عمر وقد تهدم في غرق بغداد سنة ١٣٣٣هـ وصرف النظر عن تعميره. وفي الكرخ مخفر محلة الشيخ بشار ومخفر محلة الجعيفر ومخفر محلة علاوي الحلة ومخفر (المنطقة) وسط الطريق بين بغداد والكاظمة، وهذه المخافر لم يبق لها أثر وكان يشغلها رجال البوليس والجندرمة، فمن مشاهير رجال الجندرمة أعرف منهم عبد الرحمن آغا والد السيد عبد المجيد

الموظف في دائرة الكمرك ومكوس ببغداد، وسلمان أفندي المشهور بابن (ابليد)، وعلى سور، ورجال الجندرية أمراؤهم (آلاي بيكي) و(آلاي أميني) ومقرهم في جناح السراي محل مديرية شرطة لواء بغداد اليوم، ورجال البوليس أعرف منهم صالح أفندي والد السيد محمد الموظف في أمانة العاصمة واشتغل صالح أفندي مفتشا في دائرة بلدية بغداد ولما شوهده فيه الجدارة التي تؤهله أن يكون بوليسيا نقل من دائرة البلدية إلى دائرة البوليس برتبة (قومسير) ثم رفع إلى رتبة (سر قومسير) أي قومسير أول وقد اشتهر صالح أفندي بقوة بأسه وكان الرجل الوحيد لتعقيب الجناة ومطاردة الأشقياء، توفي سنة ١٣٣٦هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

ويأتي بعد صالح أفندي رفعت أفندي المشهور (برفعت البوليس) وهو برتبة (سر قومسير) ومن عجائب هذا الرجل انه كان ضخمة الجثة بطينا والذي يشاهده لأول مرة يعتقد انه لا يتمكن من السعي على قدميه إلا بتكلف وإنما هو خلاف ذلك فإذا ما عقب الجناة والأشقياء وركض خلفهم تراه يركض بخفة الغزال وقد لعب دورا كبيرا ما لعبه أحد من قبله، توفي سنة ١٩١٩م.

مشاهير الأشرقياء

الأشقياء الذين قاموا بوجه الحكومة العثمانية كثيرون منهم من قضى نحبه قتلا ومنهم من لاقى حتفه طريدا.

وكيف لا يكونون أشقياء وعصاة بوجه الحكومة والسياسة الخرقاء والاضطهاد المستمر هما السبب الفعال لتذمرهم الأمر الذي دفعهم إلى شق عصا الطاعة والنظر إلى الحكومة بعين الازدراء والاحتقار فأطلقت عليهم اسم أشقياء مجرمين، كيف لا يكونون مجرمين ويرون أمام أعينهم سابقينهم من إخوانهم وأبناء جلدتهم يرسفون في قيد الحرمان المادي ولم يجدوا إلى نيل مآربهم غير السطو على الناس وأخذ ما في البيوت والمنازل عنوة وسلبا ولو أنها فكرت قليلا لعلمت أنها شريكة أولئك المجرمين لأنها غرست بذور الشر في نفوسهم منذ نشأتهم ولو أنها تعهدت بتربيتهم وفتحت بوجوههم أبواب المعاهد العلمية والمعامل الصناعية ما آل أمرهم إلى هذا الحد ووصل إليه ما وصل، أما كان باستطاعتها أن تنظر إليهم نظر الأب الشفوق لأبنائه، وتغدق أصناف النعم عليهم ولكنها نامت عنهم نوما طويلا حتى إذا استيقظت على أزيز الرصاص شمرت عن ساعدها لتمثل منظر من مناظر الشجاعة الجوفاء فاعزت إلى جندها بالضرب على أيدي أولئك الذين أسمتهم أشقياء مجرمين. ما ضرها لو صفحت الصفح الجميل عنهم بدلا من الفتك بهم وقد قال (لامرتين) إن كان من العدل عقاب المجرم فمن الرحمة الإشفاق

عليه ولكنها ويا للأسف أخذت تعاملهم بالعكس وتزحهم في السجون فقضت على بعض والبعض الآخر ظل يهددها بوقائعه فلم تتمكن من ردعه، ومن مشاهيرهم:

عباس السبع:

كان بطلا لا يهاب سطوة الحكام ولا يخشى قوة الجنود وكثيرا ما كان يدحرهم عند اصطدامه معهم، وفي آخر سنة ١٣٢٧هـ من ليلة ساد فيها السكون ونامت العيون وقد هب نسيم الصيف العليل وأرسل القمر أشعته الفضية في سماء الجانب الغربي (الكرخ) سمعت طلقات رصاص متوالية وصراخا حادا فحواه (ثبت ثبت) بالتشديد مصدرها من بستان (المتولية) قرب (المنطقة) أي المنطقة وعند الصباح شاهد فلاحو البستان الذين قبعوا في أكوأخهم عند وقوع الحادثة ثلاث جثث من رجال الجندرية ملقاة بين أحرش البستان وقد أصيبوا برصاص (عباس السبع) الرجل الذي كان يأخذ (الخاوة) من التجار بمجرد إرسال خبر إليهم ولذلك خاصمه جماعة من جانب الكرخ فلم يتمكنوا عليه، والمشهور عن عباس السبع هو الذي قتل (كدرون جاوش) وهذا الرجل من سلك الجندرية ومن الرجال الأشداء وكان جميع أشقياء بغداد يأخذون الحذر منه لئلا يبطش بهم.

أما كيفية وقوع عباس السبع في فخ الحكومة هو أن زميله ومعتمه الشقي خماس المشهور (ابن شاله) اقترح عليه أن يسطو على دار أحد الأغنياء المسيحيين في (عقد النصاري) بمحلة رأس القرية وبعد أن اتفقا

شربا الخمرة وسارا وقد مد الليل رواقه وفي الطريق التقيا
بجماعة (الدورية) من رجال البوليس والجندرمة فتصادما معهم وقد
تألبت قوة الدورية عليهما ولما نفذ عتادهم وضافت بهما الحيلة دخلا
مسجدا يقال له (مسجد فرج الله) في محلة بني سعيد وقد لاذا به وهناك
قبض عليهما وبعد الفراغ من قتلتهما مثلوا بهما تمثيلا شنيعا وقد شد كل
واحد منهما بحبل وحصان يسحبه والناس ينظرون إليهما وقد شاهدت
وراء جثة عباس السبع جماعة من الناس يهوسون قائلين: (عباس السبع
يمطيع التجار) ومن خلفها جثة خماس ابن شاله تحيطها جمهرة من
النساء يلطمن ويندبن قائلات: (يهل الزود اطلعوا ثارت الجيلات) والناس
يكون لهذا الحادث الذي تقشعر له الأبدان حتى وصلت إلى ساحة
السراي وبقيتا مطروحتين في الشمس إلى وقت الظهر ثم سلمتا إلى
أهلها لدفنها.

صالح ابن الدهان:

من لم يعرف صالح ابن الدهان فليعرف انه كان من الأشقياء
المعدودين فلقد أقلق رجال الحكومة وأوقعهم في مازق حرج وأشتغل
بالهم طول حياته وله معهم مواقف عديدة وأعنفها موقفه الذي تصادم به
مع (السر قومسير) صالح أفندي وجماعته في (القراغول) محلة الفضل
وقد دام أكثر من ساعة واحدة سمع خلال أكثر من مئة طلقة والناس
فرعون في بيوتهم وقد استحوذ عليهم الخوف والفرع وبعد أن نفذ عتاد
الشقي صالح ابن الدهان وظل اعزل فر من تلك الملحمة يريد العبور

إلى جانب الكرخ وعند وصوله إلى الجسر لم يكن يعلم انه يقطع ليلاً برفع بابين عنه من الجانب الشرقي والغربي فسقط في النهر وذلك سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م وفي اليوم الثاني أخرجت جثته من النهر وبعد التفتيش عليها وجد في جيبه عشرين ليرة عثمانية ذهب وشمعة ومسندان و(قائمة) صغيرة.

طه ابن الخبازة:

إذا نظرت إلى طه ابن الخبازة تجده رجلاً أسمر اللون وسيم الطلعة بها عينان سوداوان تتألق بها الجراءة والأقدام متوسط القامة إذا مشى يمشي بهدوء ورزانة وإذا غضب يتطاير الشرر من عينه، شقي شريف يغض النظر عن أموال الناس وأول عمل من أعماله الذي عرف بها إصراره على عدم إطاعة الحكومة وفراره من (العسكرية) الجندية ومن ذلك الوقت أخذ رجال الجندرية يطاردونه من مكان إلى مكان وهو لا يكثر بهم.

أخذ ابن الخبازة الشقاوة عن صهره محمود الملقب (ممودي) الذي سيأتي ذكره. لقد كان ابن الخبازة كله أعين ساهرة لحماية أبناء محلته (الفضل) وحراسة دورهم من الذين تعودوا السلب والنهب، ومن أعماله ما رواه لي الحاج جابر الله الكراذي قال لي: إن ابن الخبازة لم يكن شقياً جسوراً فقط بل كان حارساً أميناً للبساتين التي كانت تحت تصرفنا وكان يقضي أكثر أيامه في البستان المسمى (الربع) الصرافية بعيداً عن أنظار الحكومة وفي ذات يوم دعوته لتناول طعام الغداء معي

قال لي بلهجته البغدادية: (خليها غير وكت) لأن الشط في حالة ازدياد ولا بد من العسكر يأتي لمحافظة السداد وذهب ماشيا على السدة وهناك شاهد امرأة عائمة في الشط وقابضة على صبي صغير وهي تصارع الأمواج الصاخبة فلم يكن منه إلا وألقى نفسه في الشط وأنقذ المرأة والصبي ونجاهما من الغرق وفي تلك الساعة داهمه رجال الانضباط وتصادم معهم وتوغل في البساتين ونجا منهم، أما كيفية الفتك به أن جماعة من رجال البوليس والجندرية تقابلوا معه ليلا قرب (الطلسم) والطلسم على مقربة من الباب الوسطاني وهو حصن من حصون بغداد التي جدها الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦١٨هـ يقابلها سنة ١٢٢١م وهذا الحصن على طراز الباب الوسطاني أحد أبواب بغداد وأستمر قائما حتى الحرب العالمية الأولى وقد أتخذته الحكومة العثمانية مدخلا للأسلحة والعتاد فاضطرت إلى نسفه أثناء تخلية بغداد، وكان وكرا للأشقياء وعلى مقربة منه تقابل رجال البوليس والجندرية مع ابن الخبازة ودامت المقاتلة زهاء نصف ساعة وقع بها ابن الخبازة قتيلا بعد أن قتل جنديا واحدا وذلك في سنة ١٣٣٠هـ يقابلها ١٩١٢م.

عمران الشبلاوي:

الشقي الذي عاش في عهد الظلم والطغيان، الشقي الذي عاش في وقت كانت القوة الغاشمة تسجن الأحرار وتبعدهم عن الأنظار، الشقي الذي أقام من نفسه على نفسه حارسا يقظا طول حياته، الشقي الذي بات معانقا بندقيته متوسدا مسدسه، الشقي الذي مزق بصوته ظلام الليل

الحالك وأرهب مناوئيه من رجال البوليس والجندرمة، الشقي الذي نجا من صولة الأسد الكاسر وأفلت من بين أنياب الذئب الغادر، هذا هو عمران وهذا هو فتى البوشبل، لقد كان عمراننا شقيا مقداما ارتكب عدة جرائم وأخيرا قبض عليه وزج في سجن القلعة ببغداد وبقي سجيناً حتى احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية ولما خرج من السجن أخذ يقاوم حكومة الاحتلال بكل قواه فقبض عليه وسجن في (خان دله) نسبة إلى مالكة عبد القادر دله ثم فر وبقيت السلطة المحتلة تطارده وتقتفي أثره حتى ألقت القبض عليه في مدينة النجف فنقلته منها وسجنته فسي مدينة الحلة ولم يبق في مدينة الحلة إلا بضعة أيام وفر منها وتصادم مع رجال الشرطة فقتل منهم شرطيان وظلت الحكومة تطارده وهو يتغلب عليها الأمر الذي دفعها أن تدفع جائزة مكافآت عشرة آلاف ربية لمن يقبض عليه ولما علم بذلك توجه إلى مدينة الموصل والتحق بالحكومة العثمانية وبعد أن أعلن أطاعته عفيت عنه وعينته موظفاً في دائرة الاستخبارات وبقي فيها حتى نزوح العثمانيين عن الموصل فلم يلتحق بهم بل ذهب إلى عشيرته (الكروية) القاطنة في سفح (جبل حميرين) ولما علم به الشيخ خلف الجاسم شيخ مشايخ عشيرة الكروية استقبله استقبالا باهرا ورحب به وأحسن وفادته وبعد مدة من أقامته بين أقربائه وأفراد عشيرته اعتراه مرض وقد اشتد عليه وظل يعاني الآلام من ذلك المرض وأنشد بيت (زهيري) موال وهو:

لمين جفن سوا عيد المجد مني يقنت بمر الجرا واكريت يالمني
ناديت يا منزل السلوى مع المنى والدهر ياما جيوشه بالمراتب عجب
حتى عجبهم عن طريق الموده عجب يارفكتي لو طحت ما هو علي عجب

خلي التقادير تأخذ حكمها مني
وبعد أيام قليلة توفي وذلك سنة ١٩١٩م.

محمود الملقب (ممودي):

هو أول الأشقياء المبرزين وزعيمهم الذائع الصيت وقد عاصر الشقي (سمرمد) وقتله لخلص الناس من شره ولا عجب إذا ما قلت إن (ممودي) شقيا أبيا وبطلا جسورا وقد سمعت ممن أثق به حكاية طريفة عنه وفحواها أن أحد رفقاءه جاءه يوما وأسرده أن تاجرا يهوديا قد تزوج حديثا وإن بداره الواقعة في محلة (قاضي الحاجات) الشورجة اليوم حلي كثيرة فهل توافق على أخذها وظل رفيقه يغريه بمثل هذه الأساليب الخلابة إلى أن قال له (عليها) وهذه الكلمة باصطلاح الأشقياء موافق ولكن على شرط أن أرى التاجر وتدلني على داره وفي هذه الليلة تكون هناك وبعد أن شاهد التاجر اليهودي وعرف موقع داره وجاء الليل سطوا عليها وأول من قدم على باب غرفة الدار (ممودي) ولما فتحها شاهد التاجر اليهودي وزوجته نائمين متعانقين وهناك وقف وخاطب نفسه: (خس عليك أبو شكر لا تسويها) وقال والله لا أنغص عيشهما والتفت يمينا وشمالا فرأى منضدة (ميز) وعليها التحافيات من ذهب وفضة ورأى فوقها كتابا مغلفا بقطعة من حرير علم منه انه كتاب مقدس فأخذه ولسان حاله يقول: في أي كتاب من كتب الله المنزلة وفي أي سنة من سنن أنبيائه أن يعمد الرجال إلى رجل قابع في بيته فينتزع

روحه من بين جنبيه ويفجع فيه أهله وقومه لأنه لا يدين بدينه وفي سطح الدار قال لرفيقه أسرع وانزل قبل أن يداهمنا (القول) والقول جماعة من رجال الأمن كما نوهنا وبعد أن نزلنا سارا بأمان وفي الصباح الباكر ذهب (ممودي) إلى التاجر اليهودي بمحله وبعد أن ألقى التحية جلس والتفت التاجر اليهودي إليه وقال له (أمر) وهذه الكلمة مستعملة في بغداد إلى الآن فأخرج (ممودي) الكتاب الذي أخذه من بيت التاجر ووضعه أمامه فما أن وقعت عين التاجر عليه حتى أخذه الوجوم وقال بلهجة الخائف الوجل: (إيدالك هذا اتفليم مالنا مني جابو عندك) فتقدم (ممودي) إليه وحكى له كيف أنه سطا على داره ليلا وكيف وجده نائما مع زوجته وقال له لقد اكتفيت بأخذ هذا الكتاب وقد جئت إليك لتشتريه بعشرين ليرة ذهب وإلا أرجعه إلى مكانه وانك إذا اشتريته بهذا المبلغ تبقى أصدقاء مدى الحياة فسكت التاجر قليلا ولم يكن منه إلا أن أنقذه المبلغ فأنصرف إلى رفيقه وأخبره بما حدث ودفع له عشر ليرات.

الشقي ممودي يتسلب:

ومن غريب ما يحكى عن هذا الشقي أنه بعد أن أعلن توبته وسكنت دورته هدأت حالته في بعض الليالي ذهب لزيارة صديق له في محلة باب الشيخ وعند عودته رجع متأخرا من الطريق المحاذي (للجول) والذي يمر بمقبرة اليهود داهمه رجلان بيد كل واحد منهما مسدس يرومان سلب ما لديه من دراهم وملابس ولما أدرك ما يقصدان أخذ عبايته من كتفه وفرشها على الأرض وأخذ ينزع ملابسه ويطرحها فيها

وقال وهو يضحك: (هذا هو شأن الدنيا يوم لك ويوم عليك) وبعد أن عرفاه من صوته أخذوا يعتذران له ويقبلان يديه.
وظل (ممودي) على ما هو عليه من حسن السيرة مع الناس مشفوعة بالتقدير والاحترام وفي أواخر أيامه كف بصره وبقي ملازما داره في محلة الفضل لا يخرج منها حتى وافاه الأجل المحتوم وذلك في سنة ١٣٣٦هـ - يقابلها سنة ١٩١٨م بعد احتلال بغداد من قبل البريطانيين.

إبراهيم ابن عبدكّة :

لم يكن ابن عبدكّة يعرف الشقاوة والجرائم قبل الفتك بأخيه المدعو (عبد حسن) ولا كان يدور بخلده أن يأتي يوم يكون فيه مضربا للأمثال وأول جريمة اقترفها انه ثار لأخيه الذي قتل في قرية (المواشق) إحدى قرى شهربان ومن ذلك الوقت بدأ يتحين الفرص على قاتل أخيه وأخيرا تم له ما أراد وفي ظهيرة كان الحر فيها شديدا وابن عبدكّة جالس في مقهى بمحلة باب الشيخ يراقب الطريق بكل دقة وامعان وما إن علم أن الوقت قد حان وأن الفرصة قد سنحت نهض كالأسد الكاسر وهو قابض على مسدسه وقد وقف شعر شاربه وصرخ بالرجل القادم خذ هذا ثار (أبو نجم) يقصد أخوه وانطلقت من مسدسه عدة طلقات استقرت في صدره أردته قتيلًا ثم خف إلى جواد أعد له وامتطاه وانطلق الجواد ينهب الأرض نهبا متوجها إلى مدينة بعقوبة، وهذا القتل هو (جواد) الذي قتل شقيق ابن عبدكّة ومن هذه الحادثة شاع صيت ابن

عبدكه ودوى صوته في فضاء لواء ديالى وبساتين(خرنابات)
وأحراش(العبارة) قرية قرب خرنابات.

وبعد مرور أيام قلائل وردت الأنباء من بعقوبة أن ستة من رجال
الجندرية قتلوا بنتيجة اصطدام وقع بينهم وبين ابن عبدكه وبهذه
الجريمة النكراء أصبح ابن عبدكه غريم الحكومة وطريد الجندرية
والبوليس وكل اصطدام يقع ترجع منه رجال الحكومة خاسرة وفي يوم
قائض داهم ابن عبدكه بقرية(العيارة) أشخاص متكرين ولم يكن من ابن
عبدكه إلا أن صوب نحوهم بندقيته وانهاى عليهم بإطلاق الرصاص
فدحروهم بعد أن قتل منهم اثنين وهما(نجم الزهو العزاوي)
ورفيقه(علوان) ولما علم ابن عبدكه بقتل نجم الزهو العزاوي عض على
إصبعه وقال(قتل رجل يسوه عشيرة) لأن نجم الزهو كان صديقا
حميما لأبن عبدكه وكان يضاهيه بشجاعته وجراته، وعلى أثر هذه
الحادثة اهتمت الحكومة العثمانية لها لأنها فقدت رجلا من خيرة رجالها
الأقوياء واتخذت الإجراءات الصارمة وأرصدت مكافآت مالية كبرى
لمن يلقي القبض على ابن عبدكه حيا أو ميتا وقد أخذ الرجال يسعون
للفتك به طمعا في الجائزة فلم يظفروا به وقد نسي عبدكه أن القضاء
والقدر لا مفر منهما وبين عيشة وضحاها اعتري ابن عبدكه مرض
أقعه عن الحركة وأخبر أحد سكان قرية(خرنابات) الحكومة بما طرأ
على ابن عبدكه فألقى القبض عليه وزج في سجن بعقوبة انتظارا
لمحاكمته لينال جزائه وقضى في سجنه عشرة أشهر استطاع بعدها أن
يفلت منه وظل ملتبسا بجرائمه يسطو على هذا ويفتك في ذاك غير
هياب ولا وجل إلى أن احتلت بغداد من قبل الجيوش البريطانية وفي

الاحتلال كانت قوة إنكليزية يقلها قطار كركوك قاصدة بغداد وعند وصول القطار إلى مدينة شهربان هاجمها رجال من العرب وكان في القطار السياسية الإنكليزية (مس بل) وفي ذلك الوقت يستطيع المهاجمون العرب أن يتغلبوا على القوة الإنكليزية ويأسروا (مس بل) وعلى حين غرة جاء ابن عبدكـه ورأت (مس بل) مبلغ الاحترام له من الذين هاجموا القطار وظنته رئيسهم فاحتمت به وحماها وأوصلها إلى بغداد بدون أن يمسه بأذى ولهذا العمل الإنساني طلبت منه اسمه وعنوانه لتجاريه على عمله هذا معها ومرت الأيام والأشهر وابن عبدكـه يتجول في بساتين (العيارة) وقد أخذ الحذر التام من أقرباء (نجم الزهو العزاوي) لأنه على علم منهم لابد أن يثاروا لقتيلهم ولو بعد حين وفجأة جاءتـه الأخبار إن ابن عمه المدعو (محمد دارا) قد قتل لثأر قديم فتألم لهذا الخبر وعلى أثر سماعه له اعترته حمى شديدة سقط من جرائها طريح الفراش وبقيت الحمى ملازمة له ورجال الحكومة تضيق عليه الخناق فاضطر إلى مغادرة لواء ديالى إلى لواء الحلة وسكن ناحية (المحاويل) وكان الحكم العربي قد استقر في العراق وفي ١٤ حزيران سنة ١٩٢٤م كان ابن عبدكـه طريحا في فراشه من الحمى التي اعترته وفي صباح الباكر شاهد ثمانية من رجال الشرطة قد أحاطوا به من كل جانب شاهرين أسلحتهم بوجهه فلم يستطع مقاومتهم فقبضوا عليه وأرسل مخفورا إلى بغداد وبعد المرافعة صدر عليه الحكم بالإعدام شنقا حتى الموت وما أن سمعت (مس بل) محاكمة الرجل الذي حماها وأنقذها خفت إلى بغداد وتوسطت له لدى الجهات المسؤولة لتخفيف حكمه وبالنسبة نقض قرار الحكم تمييزا وبطل الحكم الشنق بالحبس لمدة

عشرين عاماً بالأشغال الشاقة فقضى منها اثني عشر عاماً وخرج من السجن سنة ١٩٣٦م وعند خروجه عطف عليه الحكومة وعينته مراقباً للآثار في بابل ونسي (ابن عبدك) أيام جبروته وشقاوته وظل قابلاً في داره يتقاعس من عظم الأمراض التي ألمت به والشلل الذي أصابه النصف الأيسر من جسمه بعد الثمانين من عمره وإذا كان ابن عبدك غفل أو تغافل فإن الله ليس بغافل.

مقتل ابن عبدك:

إن الفتى الصغير الذي وقف عند رأس أبيه المحتضر نجم الزهو العزاوي يسمع لحشرجته الأخيرة وهو يقول له قتلني إبراهيم واغرورقت عين الفتى من رهبة الموت وألم اليتيم هاهو اليوم يأتي وذكرى تلك الواقعة الرهيبة ماثلة أمام عينيه ويحل مدينة الحلة يكيل لابن عبدك الصاع بالصاع ويأخذ بثأر أبيه نجم الزهو العزاوي، وفي مساء يوم الأحد (٥) أيلول سنة ١٩٥٤ تنطلق رصاصتان بزقاق ضيق ويستقران في جوف ابن عبدك فيسقط مخرجاً بدمائه فينقل إلى المستشفى وأول شيء يسأل عنه ابن عبدك من الذي أطلق عليه الرصاص فيقولون له سهيل بن نجم الزهو العزاوي فيصرخ قائلاً (ليش احنه ما توافينا أني قتلت أبوه وعمامه قتلوا ابن عمي) وهكذا انطوت صحيفة رجل كان يضرب المثل بشقاوته (قابل أنت ابن عبدك) فسبحان القهار وبعد محاكمة سهيل بن نجم الزهو العزاوي حكم عليه بالسجن

لمدة عشرين سنة وهو الآن يقضها بين جدران السجن المركزي ببغداد وهو فخور بهذا الحكم.

سلام الأشقياء :

كانت الحكومة العثمانية لا تملك من الأسلحة في عهد الوالي مدحت باشا غير (الطواب) جمع طوب أي مدفع و(شيشخاني تفنك) أي بندق شيشخان وهي سلاح الجندرية والجنود، أما سلاح الأهالي كان من الأسلحة النارية (بشتاوه) و (قره بينه) وفرد وهذه الأسلحة تحشى بالبارود والصجم وهو نوع من الحديد معمول قطع صغار للدخول في فوهة هذه الأسلحة وبتوالي الأيام زودت الحكومة جيشها ببنادق (القباعلي) وبالأخير أضافت إلى هذه البنادق بنادق (مارتينلي) وأهل بغداد يسمونها (ماطلي) وحينما أعلن الدستور العثماني (الحرية) انهالت أنواع الأسلحة النارية وأغلبها مسدسات جمع مسدس وأينما تسير في أسواق بغداد ومحلاتها تجدها ظاهرة للعيان حتى أصبحت الأسواق شبه معرض لأنواع الأسلحة وتباع على ملاء من الحكومة وأنواع تلك الأسلحة منها (مسدس كسر) و (قره داغ) نسبة إلى حكومة (الجبل الأسود) أي يوغسلافيا اليوم و (بلدك) وهو مسدس صغير يوضع في الجيب والمسدس يسمى في بغداد (ورور) و (تك)، ومن الآلات الجارحة (خنجر دبان) وهو أحسن أنواع الخناجر و (قريبين) أو قزوين نسبة إلى بلدة في إيران و (أر ويلي) نسبة إلى بلدة (أربيل) وهذا الخنجر طويل الحجم وفيه قليل من الانحناء و (أكاديمي) بالكاف الفارسية وهو صغير كثير الانحناء و (قامة) و (سيف) و (جلتيانة) و (قليج) وهو سيف خاص بضباط الجيش، وإذا كانت هذه الأسلحة متوفرة في بغداد

كيف لا يقتتئها الشقي ويقوم بها في وجه الحكومة ناهيك عن البنادق
التي تباع للعشائر بأبخس ثمن لغرض سياسي كان لا يخفى على
الحكومة العثمانية يومئذ.

الجسور في بغداد

لم يكن في بغداد في العهد العثماني جسور عامرة لها مكانتها بين الجسور ولقد كان أهل بغداد يقاسون أشد المتاعب في عبور شط دجلة من جانب إلى الجانب الآخر في مواسم الفيضان ولم تكن هناك واسطة غير القفف جمع قفة والقوارب جمع قارب أي (بلم).

جسر قراره (كراره):

وفي أيام الوالي مصطفى عاصم باشا سنة ١٣٠٧هـ — يقابلها سنة ١٨٨٩م أنشأ جسر ونصب في معبر (قراره) وهو مكون من عوامات خشبية، وقد أرخ عام نصبه الشاعر جميل الزهاوي بقوله:

فوق دجلة بالمهارة
يقال لها (قراره)
والرزانة والنضارة
تزهر بطلعته الوزارة
جسر تمدد في قراره

هو ذاك جسر قد تمدد
في قرب بغداد بمعبرة
جمع المتانة والصيانة
أنشأه عاصم الذي
إذ تم قلت مؤرخا

جسر الخر أو المسعودي:

في يوم الخميس ٢٨ شعبان سنة ١٣١٥هـ يقابلها سنة ١٨٩٧م أجري افتتاح جسر الخر بحضور الوالي عطا باشا والمشير رجب باشا وأكابر رجال الدولة من عسكريين وملكيين وقد سمي الجسر (الحميدي) ولكن الناس لا زالوا يسمونه جسر (الخر) وهو إلى الآن قائم وصالح للمرور.

جسرا بغداد والاعظمية:

كان في بغداد جسران: جسر في الاعظمية وجسر في بغداد، الأول يسمى جسر الاعظمية والثاني جسر بغداد وكلاهما مصنوعان من الألواح الخشبية بشكل عوامات ويقال لها (جساريات) جمع جسارية مربوطة بسلاسل غلاظ وقد مدد الجسر على ضفتي الشرقية والغربية وتحت جسر بغداد مجال واسع للمقاهي وبائعي المأكولات والسكاير وكلما انقطع الجسر عن العبور بمناسبة الفيزان وأعيد اتصاله احتفلوا بذلك احتفالا عظيما (شبه زفة) فيخرج الأهالي بالمزامير والطبول فرحون باتصال الجسر والعبور عليه وقد دام جسر بغداد على هذه الحالة حتى أيام الوالي نامق باشا الصغير، ثم تخرّب واصبح لا يصلح المرور عليه ولما وقعت عين نامق باشا عليه وجده غير لائق ببغداد

فأمر بإنشاء جسر من الطراز الحديث وقامت بعمله مدرسة الصنائع
فكان على جانب عظيم من الأبهة والزينة.

يحتوي على مقاهي عصرية فكانت أبهى منظر على نهر دجلة،
وفي ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٢٠هـ يقابلها سنة ١٩٠٢م نصب
الجسر وقد أرخ عام نصبه الشاعر عبد القادر شنون بقصيدة:

هي الحضارة ما تعلو به الرتب	وما سوى العدل في الدنيا هي السبب
واليوم أضحت بملك ساسه ملك	من آل عثمان مضروبا له الطنب
عبد الحميد الذي دامت فما اقتدرت	تحصي مناقبه الكتاب والكتب
هو المليك فلا تعدل به ملكا	سواه إذ ما تساوى النبع والغرب
أيام دولته الغراء تحسبها	عقدا تحلى به أجيادها الحق
ملك تود نزولا عند مربعه	لتأثم الكف منه سبعة الشهب
مؤيد بجنود من مهابتها	أسيافه الرأي لا الهندية القضب
تقلد العدل سيفا في الأنام وكم	له من الحزم فيهم عسكر نجب
أحسن به سيف عدل في تقلده	دامت له الروم والاعجام والعرب
أدام سيب الندى حتى لقد حسدت	ندى يديه بحار الأرض والسحب
وكيف تنهل سحب قطرها مطر	وليس بحسدن سحب قطرها ذهب
فأصبح الملك مطلول الرياض بسه	تود من أرضه الخضراء تقترب
هذا العراق أجل طرفا بخطته	يبدو لعينيك فيه ما هو العجب
وانظر إلى ساحة الزوراء تلق بها	لنامق همما زالت بها الكرب
ذاك الوزير الذي دار السلام به	ماست من الفخر عطا هزه الطرب
كانت مريضة جسم قبله فأتى	وهو الطبيب وفيها الداء منتشب
حتى تتبع أقصى دائها فبدا	فيها الشفاء وزال السقم والوصب
فكم له من أياد في مرابعها	وكم من مساع شكرها يجب

سعى بتجديد جسر من تكـرره
فعاد جسرا على العشري العبور لمن
كل البدائع جاءت في صنائعه
كأنه ووضوح من طرائقه
كأنما كل فلك من محاسنه
تستوقف العابر العجلان صنعته
إذ قال واصفه فاق الحديد فلا
فقلت مذ مد منصوبا أورخه
كانت سفائنه كالماء تضطرب
رام العبور عليه النيه والعجب
مستبدع الصنع مامونا به العطب
مهند منتضى في منته شطب
فريدة وشيت أثوابها القشـب
فيقصر الخطو فيه وهو مرتقب
تعجب قرب حديد فاقه الخشب
جسرا لدجلة في الزوراء قد نصبوا
١٣٢٠هـ

وقد أرخه الأستاذ فهمي المدرس وهو من أعجب التواريخ حيث
قال

وبمعجم الألفاظ أرخ قائلا مروا عليه ذا صراط مستقيم

عزل نامق باشا:

ومما يروى والعهدة على الراي أن والي بغداد نامق باشا بلغ
بعزله عن ولاية بغداد يوم أفتتاح الجسر والمرور عليه حسب القواعد
المتبعة وقد أفتتجه قاضي بغداد بصفته وكيلا للوالي وهو الذي أجرى
مراسيم افتتاحه وقد أرخ عام عزل الوالي نامق باشا شاعر مجهول
بقوله:

قوموا بنا يا بني الزوراء نبتهل
الله أكبر زال الشك وارتحلت
فمن قريب جميع الخزي يرتحل
عنا الهموم وزال الخوف والوجل

قد جاءكم خير فال من مؤرخه بشرى فنامق بعد الجسر ينعزل
١٣٢٠هـ

وفي يوم الاثنين ٢٥ صفر سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٦م أبان
الحرب العالمية الأولى نقل هذا الجسر إلى جهة سلمان باك وعند نزوح
العثمانيين من بغداد احرق وظل يشتعل طول النهار والليل.

الحرب بين ابن الرشيد وأبن سعود

ومن المصائب التي حلت ببغداد والتي لم يزل يذكرها أهلها بكل حزن وأسى مصيبة الحرب التي وقعت بين ابن الرشيد وأبن سعود وأهل بغداد يسمونها (وقعة ابن رشيد) وأنهم فقدوا فيها خيرة أبنائهم الذين ذهبوا ضحية العطش والجوع فقد كانت الحكومة العثمانية مؤيدة لابن الرشيد رأت وجوب معاضدته فأمرت بتجهيز الجيش يوم كان أحمد فيضي باشا وكيلا لولاية بغداد ويعرف هذا ببغداد ب(الكوسه) وهو وأن كان ذا شوكة وعقل راجح فانه كان غير عفيف ولقد انتهر فرصة تجهيز هذه الحملة المشؤومة فجمع بواسطتها أموال كثيرة.

وفي سنة ١٩٢٢هـ يقابلها سنة ١٩٠٤م تحرك الجيش من بغداد قاصدا (الرياض) عاصمة المملكة السعودية اليوم وبعد الخوض في غمار الحرب أياما وشهورا أنفل جمع الجند وتشتت شمله لعدم وصول المؤونة والإعاشة إليه ومات أكثره جوعا وعطشا وفي ذلك نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (أيقاظ الرقود) يصف بها حالة الجند وما حل به في هذه الوقعة المشؤومة وهي:

إلى كم أنت تهتف بالنشيد	وقد أعيالك أيقاظ الرقود
فلست وان شددت عرى القصيد	بمجد في نشيدك أو مفيد
لأن القوم في غي بعيد	
إذا أيقظتهم زادوا رقـادا	وإن أنهضتهم قعدوا وآدا

فسبحان الذي خلق العبادا كان القوم قد خلقوا جمادا
 وهل يخلو الجماد من الجمود
 أطلت وكاد يعينني الكلام ملاما دون وقعته الحسام
 فما انتبهوا ولا نفع الملام كان القوم أطفال نيام
 تهز من الجهالة في مهود
 إليك إليك يا بغداد عني فأنى لست منك ولست مني
 ولكني وإن كبر التجني يعز علي يا بغداد أني
 أراك على شفا هول شديد
 تتابعث الخطوب عليك تترى وبدل منك حلو العيش مرا
 فهلا تنجيبين فتى أغرا أراك عقت لا تلدين حرا
 وكنت لمثله أزكى ولود
 أقام الجهل منك له شهودا وسامك بالهوان له السجودا
 متى تبدين منسك له جحودا فهلا عدت ذاكرة عهدا
 بهن رشدت أيام الرشيد
 زمان نفوذ حكمك مستمر زمان سحاب فضلك مستدر
 زمان العلم أنت له مقرر زمان بناء عزك مشمخر
 وبدر علاك في سعد السعود
 برحت الاوج ميلا للحضيض وضقت وكنت ذات علا عريض
 وقد أصبحت في جسم مريض وكنت بأوجه للعز بيض
 فصرت بأوجه للذل سود
 ترقى العالمون وقد هبطنا وفي درك الهوان قد انحططنا
 وعن سنن الحضارة قد شحطنا فقطنا يا بني بغداد قطنا

إلى كم نحن في عيش القرود

الم تك قبلنا الأجداد تبني
بناء للعلوم بكل فني
لماذا نحن يا أسر التمني
أخذنا بالتقهقر والتدني
وصرنا عاجزين عن الصعود

كان زحل يشاهد ما لدينا
لذاك أحمر من حنق علينا
فقال موجهها لوما إلينا
لو أني مثلكم أمسيت هينا
إذن لنضوت جلاباب الوعود

ركدتم في الجهالة وهي تعشي
وعشتم كالوحوش أخس عيش
أما فيكم فتى للعز يمشي
تبارك من أدار بنات نعش
وصفدكم بأصفاد الركود

حكيتم في توقفكم جديا
فصرتم كالصها شعبا خفيا
ألا تجرون في مجرى الثريا
تؤم بدورها فلكا قصيا
فتبرز منه في وضع جديد

حكومتنا تميل لباخسيها
مجانية طريق مؤسسيها
فلا يغرك لين ملامسيها
فهم كالنار تحرق لامسيها
وتحسن للنواظر من بعيد

لقد غص القصيم بكل نذل
وأمسى من تخاصمهم بشغل
فريقا خطتي غي وجهل
فلا الخصمين ليس له بأهل
ولكن من لتكيل المرید

إليهم أرسلت بغداد جنـدا
ليهلك فيه من عبث ويفدي
لقصد ابن الرشيد أضاع قصدا
فلا يابن الرشيد بلغت رشدا
ولا بلغ السعود ابن السعود

مشوا يتحركون بعزم ساكن ورثة حالهم تبكي الأماكن
وقد تركوا الحلائل والمساكن جنود أرسلت للموت لكن

بفتك الجوع لا فتك الحديد

قد التفعوا بأسمال بوال مشاة في السهول وفي الجبال
يجدون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حال

وزي غير ما زي الجنود

مشوا في منهج جهلوه نهجا يجوبون الفلا فجا ففجا
إلى حيث السلامة لا ترجى فيا لهفي على الشبان ترجى

على عبث إلى الموت المبيد

وكل مذ غدا للبيت أما فودع أهله زوجا وأما
وضم وليده بيد وشمما بكى الولد الوحيد عليه لما

غدا يبكي على الولد الوحيد

تقول له الحليمة وهو ماش رويدك لأبرحت أخا انتعاش
فبعدك من يحصل لي معاش فقال ودمعه بادي الرشاش

وكلتكم إلى رب ودود

عساكر قد قضوا عريا وجوعا بحيث الأرض تبتلع الجموعا
إلى أن صار أغناهم ربوعا لفرط الجوع مرتضيا قنوعا

لقد لو أصاب من الجلود

هناك قضوا وما فتحوا البلادا هناك بأسرهم نقدوا نفاذا
هناك بحيرة عدموا الرشادا هناك لردعهم فقدوا الرقادا

هناك عروا هناك من البرود

أناديهم ولي شجن مهيج وأذكرهم فينبعث النشيج

ودمع محاجري دمع مزيج ألا يا هالكين لكم أجيج

ذكا بحشاي محتدم الوقود

سكنا من جهالتنا بقاعا يجور بها المؤتمر ما استطاعا
فكدنا أن نموت بها ارتياعا وهبنا أمة هلكت ضياعا

تولى أمرها عبد الحميد

أيا حرية الصحف ارحمينا فأنا لم نزل لك عاشقين
متى تصلين كيما تطلقينا عدينا في وصالك وامطلينا

فأنا منك نقنع بالوعود

فأنت الروح تشفين الجروحا يخرج ففدك البلد الفسيحا
وليس لبلدة لم تحو روحا وإن حوت القصور أو الصروحا

حياة تستفيد لمستفيد

أقول وليس بعض القول جدا لسلطان تجبر واستبدا
تعدا في الأمور وما استعدا ألا يا أيها الملك المفدى

ومن لولاه لم نك بالوجود

انم عن أن تسوس الملك طرفا أقم ما تشتهي زمرا وعزفا
أطل نكر الرعية خل عرفا سم البلدان مهما شئت خسفا

وأرسل من تشاء إلى اللحد

فدتك النفس من ملك مطاع ابن ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخش الآله ولا تراعي فهل هذي البلاد سوى ضياع

ملكيت أو العباد سوى عبيد

تنعم في قصورك غير دار أعاش الناس أم هم في بوار
فأنك لم تطالب باعتذار وهب أن الممالك في دمار

أليس بناء يلدز بالمشيد
جميع ملوك هذي الأرض فلك
وأنت البحر فيك ندى وهلك
فأنى يبلغون وذاك إفسك
لئن وهبوا النقود فأنت ملك
وهوب للبلاد والنقود

تأسيس دائرة الطابو:

بعد أن جرى تسجيل الأراضي الأميرية أيام الوالي مدحت باشا في بعض أنحاء العراق شرع في تسجيل الأملاك وكانت تسجيلات البيوع تجري آنذاك في المحكمة الشرعية للمسلمين وفي الكنائس لغير المسلمين وتصدر الوثيقة (سند التملك) من تلك المحاكم. وفي أيام الوالي محمد رؤوف باشا سنة ١٢٨٩هـ يقابلها ١٨٧٢م تشكلت دائرة الطابو في بغداد واستمرت في تسجيل الأملاك غير أنه لم يجر بوجه صحيح كما هو اليوم إلا في أيام الوالي عبد الرحمن باشا بنفس السنة فتهافت الناس عليها وأخذوا يسجلون أملاكهم بعد أن كانوا يجهلون فوائد الطابو ومزاياه والمحاذير الناتجة عن عدم التسجيل.

البريد والبرق:

كان البريد في بغداد يسمى (بوسته) ومحله يسمى (بوسته خانه) ولم يكن منظما وكثيرا ما كنت أشاهد صاحب البريد يأتي من باب المعظم ممطيا جواده وبيده (قمجي) سوط يلوح به في الهواء وأمامه عدد من

الخيـل تحمل البريد وتركض وهو ينادي بصوته الجهوري (بوسته كلدي) أي جاء البريد تنبيهـا للناس، والناس حينما يسمعون يذهبون إلى دائرة البريد يجتمعون في ساحتها ودائرة البريد تقع في محلة الميدان وقد ذهبت ضمن شارع حسان بن ثابت الآن وبعد اجتماع الناس بضمنهم التجار وأصحاب المراسلات يأتي الموظف المختص بتوزيع الرسائل ويقف يتلو عناوين الرسائل الواردة من الخارج ويعطيها إلى أصحابها الحاضرين والرسائل التي لم يحضر أصحابها توزع عليهم بمحلاتهم بواسطة (بوسته جيه) أي موزعين والموزع الذي يوزع الرسائل الواردة إلى أصحابها في محلاتهم يتناول عن كل رسالة عشرة بارات (بخشيش) أي هدية.

أما البرق فكان يسمى (تلغراف) ومحله يسمى (تلغرافخانه) وفي سنة ١٣٢٠هـ يقابلها سنة ١٩١١م وضع حجر أساسي لبناية دائرة للبريد والبرق جديدة في محلة الميدان مقابل مدرسة الإعدادية المركزية للبنين الآن وتم بناؤها سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م وقد أجريت مراسيم افتتاحها بحضور الوالي حسين جلال بك وأكابر الموظفين وهي باقية إلى الآن وتسمى دائرة البريد المركزي.

مطبعة دار السلام:

وأول مطبعة أسست في بغداد بعد مطبعة الحكومة هي مطبعة (دار السلام) ومحلها في سوق السراي وقد بدأت أعمالها في ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٩هـ يقابلها سنة ١٨٩١م أيام الوالي الحاج حسن باشا وقد طبع

بها الخط السلطاني ودستور قانون الأساسي باللغة العربية
سنة ١٣٢٦هـ.

إعلان الدستور العثماني

(الحرية)

في ١٠ تموز سنة ١٣٢٤ رومية قابلهما ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ هـ يقابلها ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ م أعلن الدستور العثماني أي الحرية وخرج الناس من نورهم زرافات ووحداً قاصدين سراي الحكومة رافعين أعلام الفرح والسرور ووجوههم ضاحكة مستبشرة وقد كتب على الأعلام بالقلم العريض هذه العبارة: (حرية عدالت مساوات أخوت) وعقدت الاجتماعات وتليت الخطب والقصائد وأحس الناس أن قيود الذل والعبودية التي كبلوا بها منذ ٣٣ سنة قد تحطمت وانهم أصبحوا أحراراً في تصرفاتهم ومقدراتهم وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (تموز الحرية) يشيد بهذا الشهر الأغر وذلك الحدث التاريخي وهي:

إذا انقضى مارت فاكسر بعده الكوزا	وأحفل بتموز إن أدركت تموزا
أكرم بتموز شهرا إن عاشـره	قد كان للشرق تكريما وتعزيزا
شهر به الناس قد أضحت محررة	من رق من كان يقفو أثر جنكيزا
سل أهل باريز عن تموز تلق لهم	يوما به كان مشهودا لباريزا
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم	بسالة هدت البستيل مبروزا
وأن تموز شهر قام فيه لنا	على البقاع لواء العز مركوزا
في شهر تموز صادفنا لما وعدت	بيض الصوارم بالدستور تنجيزا
هي المساوات عممتنا فما تركت	فضلا لبعض على بعض وتميزا

أمست لنا قسمة في الملك عادلة حكما وكانت على علانها ظيزى
 كنا من الجور عميانا وليس لنا من قائدين ولم نملك عكاكيزا
 حتى نهضنا إلى العليا تقدمنا عصابة برزت في المجد تبريزا
 إن تلقهم تلق منهم في الوغى جيلا أو هجتهم للمنايا هجت راموزا
 قوم إذا طمعوا في حومة تخنوا قصاصهم من قحوف القوم لا الشيزا
 قمنا على الملك الجبار تقررعه بالسيف منصلت والرمح مهزوزا
 حتى تركنا وفي الهيجاء معضلة ألقت ضراما على الطاغين مازوزا
 أنا لنأبى على الطاغى تهضمنا حتى نهوز في الهيجاء تهويزا
 ونا كل الموت دون القرنمضغه كمضغنا التمر برنينا وسهريزا
 وعاش من لا يخوض الموت مرتضيا بقاءه بعصى الذل موكـوزا
 راعت سلانك دار الملك فانتبهت من ذاك طهران تخشي أمر تبريزا
 حتى غدت وهي في تموز ناكسة وبات شاه رماه الخلع مجنوزا
 فالشاه في شهر تموز هوى وكذا عبد الحميد هوى في شهر تموزا
 يا شهر تموز لا راعتك راعية ولا لقيت من الأحداث ارزيزا
 يا شهر تموز قد زينت رايتنا بالعدل توشية فيها وتطريزا
 من لي بأنجم الأفق انظمها قصائدا فيك مدحا اواراجيزا
 أو تحت الماس أقلاما مقرضة أمدھا ذهبا في الطرس ابريزا
 واجعل الجو في تموز امدحه طرسا أجادته كف النور ترزيزا

الصحافة في بغداد:

الصحافة صدى الحقائق للأمة تنطق بأسم الجمهور وهي المرآة الصافية لأراء أفراد الشعب تعكس صورهم وتمثل رغباتهم فتتشرما بهمهم وتكتب ما يروقههم وتدافع عن مصالحهم وتجعلها فوق كل شئ. الصحافة تتطلب حرية ولولا الحرية لم تكن صحافة وعلى أثر إعلان الدستور العثماني وهبوب نسيم الحرية أخذ الناس يتنفسون الصعداء فقام المفكرون في بغداد وأخذوا يسعون السعي الحثيث لاستنشاق هذه النسمات فأقدموا على إصدار الجرائد والمجلات فصدرت صحف كثيرة سياسية وأدبية وهزلية.

الجرائد:

إن أول جريدة صدرت في بغداد بعد جريدة الزوراء هي جريدة:

بغداد:

كانت جريدة سياسية أصدرها باللغة العربية في بغداد مراد بك فبرز عددها الأول في أول يوم من كانون الثاني سنة ١٩٠٩م.

العراق:

جريدة سياسية أصدرها في بغداد عبد الجبار باشا الخياط فبرز
عدها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٠٩م.

الرقيب:

جريدة عربية سياسية أصدرها في بغداد عبد اللطيف جلي تنيان
فبرز عدها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٠٩م.

الإرشاد:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد فريد أفندي فبرز عدها
الأول في ١٢ شباط سنة ١٩٠٩م.

الانقلاب:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد ثريا و.م رؤوف فبرز
عدها الأول في ٢١ مارس سنة ١٩٠٩م.

التعاون:

أصدرها في بغداد باللغتين التركية والعربية رشيد أفندي فبرز
عددتها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩٠٩ م.

الروضة:

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد عبد الحسين الأزري فبرز
عددتها الأول في ٢٢ حزيران سنة ١٩٠٩ م.

الحقيقة:

جريدة سياسية أصدرها في بغداد باللغة العربية طلعت أفندي فبرز
عددتها الأول في ٩ تموز سنة ١٩٠٩ م.

صائب:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد م. عارف أفندي فبرز
عددتها الأول في ٣ آب سنة ١٩٠٩ م.

مدي بابل:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد داود صليوا ويوسف
غنية فبرز عددها الأول في ١٣ آب سنة ١٩٠٩م.

الزهور:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد نسيم يوسف سوميخ
ورشيد أفندي الصفار فبرز عددها الأول في ٤ تشرين الثاني سنة
١٩٠٩م.

بين النهرين:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد محمد كامل أفندي
الطبقجلي.

(فليتخ)أي السيف:

جريدة سياسية أصدرها في بغداد باللغتين التركية والعربية حسين
فوزي أفندي فبرز عددها الأول في ٣١ كانون الأول سنة ١٩٠٩م.

الرياض:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد سليمان أفندي الدخيل فبرز
عدها الأول في ٧ كانون الثاني سنة ١٩١٠م.

(يلدرم) أي الماعقة:

جريدة سياسية أصدرها باللغتين التركية والعربية محمد نجيب ثنيان
فبرز عدها الأول في ٩ كانون الثاني سنة ١٩١٠م.

الظرائف:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد أبو الصفا طلعت أفندي
فبرز عدها الأول في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩١٠م.

أخوت:

جريدة عربية فارسية أصدرها في بغداد الحاج محمد تقي اليزدي
فبرز عدها الأول في ٣ نيسان سنة ١٩١٠م.

الرصافة:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد السيد محمد صادق الأعرجي فبرز عددها الأول في ١٧ حزيران سنة ١٩١٠م.

مصباح الشرق:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري فبرز عددها الأول في أول آب سنة ١٩١٠م.

مائج:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد محمد بهجت أفندي فبرز عددها الأول في ١١ آب سنة ١٩١٠م.

سبيل الرشاد:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد محمد بهجت أفندي فبرز عددها الأول في ٢٨ أيلول سنة ١٩١٠م.

الوجدان:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها أبو الصفا طلعت أفندي فبرز
عدها الأول في ١٢ كانون الأول سنة ١٩١٠م.

خان جغان:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد طلعت أفندي فبرز عددها
الأول في ٥ مارت سنة ١٩١١م.

خان الذهب:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفندي لطفي
فبرز عددها الأول في ٢٢ مارت سنة ١٩١١م.

سيف الحق:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عثمان أفندي نوري فبرز
عدها الأول في ٣٠ مارت سنة ١٩١١م.

البابل:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفندي لطفي
فبرز عددها الأول في ١٦ نيسان سنة ١٩١١م.

أفكار عمومية:

جريدة سياسية تركية عربية أصدرها في بغداد حسين عوني أفندي
ونزعت كامل فبرز عددها الأول في ٨ نيسان سنة ١٩١١م.

(بيكي موده) المودة الجديدة:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد عبد الرحيم أفندي صائب
فبرز عددها الأول في ٤ مايس سنة ١٩١١م.

(كرمه ونرمه) حار وبارد:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد لطفي أفندي فكرت فسبرز
عددها الأول في ١٦ مايس سنة ١٩١١م.

الأسرار:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد عبد الرحيم أفندي صائب
فبرز عددها الأول في ٢٣ مايس سنة ١٩١١م.

الصاعقة:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عبد الكريم الشихلي فبرز
عددها الأول في ٨ حزيران سنة ١٩١١م.

المصباح:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري
فبرز عددها الأول في أول آذار سنة ١٩١١م.

دونج:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد لطفي أفندي فكرت فبرز
عددها الأول في ٦ أيلول سنة ١٩١١م.

النوادر:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد محمود أفندي الوهيب فبرز
عددها الأول في ٦ أيلول سنة ١٩١١م.

المصباح الأغر:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري
فبرز عددها الأول في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١١م.

الحقوق :

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد معروف أفندي فبرز
عددها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩١١م.

المضحكات:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفندي لطفي
فبرز عددها الأول في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٢م.

القسطاس:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عبد الجبار أفندي
الأعظمي ومحمد هادي أفندي فبرز عددها الأول في ٥ شباط ١٩١٢م.

تفكر:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد سلمان عنبر فبرز
عدها الأول في ٢١ شباط سنة ١٩١٢م.

المعارف:

جريدة أدبية عربية تركية أصدرها في بغداد نادر أفندي فبرز
عدها الأول في أول آب سنة ١٩١٢م.

الرياحين:

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد إبراهيم أفندي صالح شكر
فبرز عدها الأول في ٢٨ مارت سنة ١٩١٣م.

شمس المعارف:

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد إبراهيم أفندي صالح شكر
فبرز عدها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٣م.

النخبة:

جريدة اجتماعية سياسية عربية أصدرها في بغداد إبراهيم أفندي حلمي العمر ومزاحم الباجه جي فبرز عددها الأول في ٣ تشرين الأول سنة ١٩١٣م.

غنجة اتحاد:

جريدة أدبية تركية عربية أصدرها في بغداد صلاح الدين الكركوكلي فبرز عددها الأول في ٣ كانون الأول سنة ١٩١٣م.

مكتب:

جريدة أدبية عربية تركية أصدرها في بغداد المحامي يونس وهبي أفندي فبرز عددها الأول في أواخر كانون الأول سنة ١٩١٣م.

صدي الإسلام:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عطاء الله أفندي الخطيب فبرز عددها الأول في ٢٣ تموز ١٩١٥م.

المجلة

زهيرة بغداد:

مجلة أدبية شهرية أصدرها في بغداد الآباء الكرمليون فبرز عددها الأول في صفر سنة ١٣٢٣هـ يقابلها ٢٥ مارت سنة ١٩٠٥م وكانت تطبع في (الجلاتين).

الأيمان والعمل:

مجلة دينية على غرار مجلة (زهيرة بغداد) أصدرها الآباء الكرمليون المذكورون فبرز عددها في أواخر صفر سنة ١٣٢٣هـ يقابلها سنة ١٩٠٥م.

تنوير أفكار:

مجلة دينية سياسية كانت تصدر في بغداد مرة في كل شهر صاحبها عبد الهادي الأعظمي ومديرها المسؤول نعمان الأعظمي فبرز عددها الأول في ٢٠ شعبان سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٣٢٦ رومية.

العلوم:

مجلة علمية أدبية صحفية تاريخية أصدرها في بغداد رزوق عيسى
فبرز عددها الأول في ٢٧ شوال سنة ١٣٢٨ هـ يقابلها أول تشرين
الثاني سنة ١٩١٠ م.

لغة العرب:

مجلة شهرية أدبية أصدرها في بغداد الأباء الكرمليون فكان الأب
أنستاس ماري الكرمللي صاحبها والشيخ كاظم الدجيلي مديرها المؤول
فبرز عددها الأول في غرة رجب سنة ١٣٢٩ هـ يقابلها تموز سنة
١٩١١ م.

الرياحين:

مجلة أدبية تهذيبية أخلاقية كانت تصدر في بغداد مرة في كل شهر
موقتا صاحبها إبراهيم منيب الباجه جي ومديرها ومحررها إبراهيم
صالح شكر فبرز عددها الأول في غرة جمادى الأول سنة ١٣٢٢ هـ
يقابلها ١٥ مارت سنة ١٣٢٩ رومية.

الحياة:

مجلة شهرية سياسية اقتصادية تاريخية اجتماعية أصدرها في بغداد إبراهيم حلمي العمر وسليمان الدخيل فبرز عددها الأول في غرة صفر سنة ١٣٣٠هـ يقابلها كانون الثاني سنة ١٣٢٧ رومية.

الرفافة:

مجلة دينية تاريخية علمية أصدرها في بغداد السيد محمد صادق الأعرجي فبرز عددها الأول في جمادى الأولى سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م.

جماد :

مجلة علمية أدبية أصدرها في بغداد باللغة التركية عثمان عزت آل كاتب الفارسية فبرز عددها الأول في أول نيسان سنة ١٩١٣م.

شمس المعارف:

مجلة عربية علمية أدبية تاريخية أسبوعية أصدرها في بغداد إبراهيم صالح شكر فبرز عددها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٣م.

سبل الرشاد:

مجلة دينية علمية اجتماعية فلسفية تاريخية أصدرها في بغداد محمد رشيد الصفار فبرز عددها الأول في ١٨ آذار سنة ١٩١٢ م.

الغرائب:

مجلة فكاهية ذات روايات غرامية ووقائع تاريخية أصدرها فسي بغداد المعلم داود صليوا فبرز عددها الأول في شباط سنة ١٩١٣ م.

مقتبسات:

مجلة علمية اجتماعية أصدرها في بغداد عيسى أفندي ريزه لي باللغتين التركية والعربية فبرز عددها الأول في ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٢ هـ يقابلها أول مايس سنة ١٩١٤ م.

النور:

مجلة علمية أدبية تاريخية أصدرها في بغداد السيد محيي الدين فيض الله الكيلاني ومديرها المسؤول عبد الجبار أفندي سعد الله السكوتي فبرز عددها الأول في غرة شعبان سنة ١٣٣٢ هـ يقابلها سنة ١٩١٤ م.

(بانك كرد) ممدى الكرد :

مجلة أدبية أصدرها باللغتين التركية والعربية في بغداد جمال الدين
بابان فبرز عددها الأول في ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٢هـ — يقابلها سنة
١٩١٤م.

الألقاب العثمانية

في الدولة العثمانية ألقاب متعددة أولها (خان) بمعنى الحاكم وقد ألحقت هذه الكلمة بأسماء سلاطين آل عثمان للاحترام مثل السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان عبد المجيد خان، ومنها (باشا) مكونة من باش آغا والآغا الرئيس وقد استعملت عنواناً في الدولة العثمانية لأصحاب المناصب من عسكريين وملكيين ووزراء، ومنها (بك) بمعنى الكبير والحاكم والرئيس وهي عنوان لابناء الخوات ولأصحاب المناصب والرتب الملكية والعسكرية المتوسطة، ومنها (أفندي) وهي عنوان لأسماء صغار الموظفين في الدولة وتلحق بأسماء أولاد السلاطين للاحترام، وفي سنة ١٣٢٧هـ يقابلها سنة ١٩٠٩م قرر مجلس التركي إلغاء ألقاب التعظيم وبهذا زالت عثرة كبيرة في أسلوب التحرير والكتابة في الدوائر التركية.

العرائض في اللغة العربية:

كانت الحكومة العثمانية لا تسمح باللغة العربية في مخابراتها الرسمية ما عدا الجرائد والمجلات وبين الناس وبعد إعلان

المشروطة (الحرية) وردت الأوامر بأن العرائض التي تقدم إلى دائرة العدلية يصح أن تقدم باللغة العربية ولما انتشر الخبر في بغداد فرح الناس فرحاً لا مزيد عليه لاسيما كتاب العرائض لأن أكثرهم لا يحسنون الكتابة باللغة التركية ولو أنهم يتكلمون بها.

النقود العثمانية الذهبية:

كانت النقود المتداولة في العهد العثماني في بغداد متوفرة وحسنة التداول في طليعتها النقود الذهبية وذو الخمس ليرات يساوي الآن عشرين ديناراً وذو الليرتين والنصف يساوي الآن عشرة دنائير وذو الليرة الواحدة يساوي الآن ثلاثة دنائير ونصف والنصف ليرة يساوي الآن ديناراً وسبعمئة وخمسين فلساً والرابع الليرة يساوي الآن ثمانمائة فلس.

النقود العثمانية الفضية:

أما النقود الفضية مجيدي الواحد يساوي الآن ريال ٢٠٠ فلس ونصف مجيدي يساوي الآن درهمان ١٠٠ فلس ورابع مجيدي يساوي الآن درهم ٥٠ فلساً وذو القرشين يساوي الآن عشرين فلساً وذو القرش الواحد يساوي الآن عشرة فلوس، وهنا أود أن انبه القارئ أن كل قرش صحيح يساوي أربعة قروش رايج وهذا يساوي عشرة بارات بمعنى أن القرش الرايج وهو من النيكل. والشيء الغريب في بابه هو أن الحكومة

العثمانية كانت موافقة على تداول العملة الأجنبية وخاصة العملة الإيرانية وهي (قران) ويسمونه أهل بغداد (منكنه) بالكاف الفارسية ونصف (قران) وربيع (قران) ويسمى (أم قمري) وأم ست فلوس وتسمى (بيجوة) و (شاهية) وهي من النحاس، والعملية الإنكليزية (روبية) الهندية فقط وإن الحكومة العثمانية إذا أرادت أن تباع الملح - والملح يومذاك لا يباع بالأسواق كما هو اليوم - والذي يشتري الملح يجب عليه أن يشتري بالعملية العثمانية ولا يباع بالعملية الأجنبية وبقي هذا الأمر إلى أن نزلت الحكومة العثمانية عن بغداد، وبعد أن أعلن الحكم الوطني في بغداد أخذ بعض الأعراب البدو يجلبون الملح على ظهور الجمال ويبيعون بالطرق بدون معارض يعارضهم.

وفي سنة ١٣٣١هـ - يقابلها سنة ١٩١٣م أيام الوالي حسين جلال بك وردت أوراق نقدية عثمانية للتداول بها وأقسامها الليرة مائة قرش صحيح ونصف الليرة خمسين قرشاً والربع ليرة خمسة وعشرين قرشاً وذي العشرين قرشاً وذي القرشين وذي القرش الواحد.

وكان مصير هذه النقود التدهور الفظيع ولذلك ساءت الحالة في بغداد وبلغ أهلها الضيق والجهد وكانوا يعانون الأمرين من جراء النقود والتعامل بالأوراق النقدية وأنها لا فرق بينها وبين الذهب وهددوا بلزوم تقديم الذهب إلى (رئيس لوزام الفيلق) ومن وجد عنده هدمت داره ومنع التعامل بالنقود المعدنية (النیکل) وأمروا بتداول الأوراق النقدية الصغيرة وأنها لا فرق بينها وبين الذهب واشتدت الأزمة على اليهود في أخريات الحرب العظمى وكان يضيق معاون الوالي فائق بك ومدير الشرطة سعد الدين بك الخناق عليهم كلما هبط سعر الأوراق المالية

التركية وينسبان هذا الهبوط إليهم وإلى تلاعبهم بسعرها وأجبرت الحكومة التجار أن يبدلوا الليرة الورق بالذهب وعينت مقداراً على كل تاجر في كل شهر.

وقبضت الحكومة قبل احتلال بغداد على عدد من اليهود ونكلت بهم سرا تنكيلاً شنيعاً وجدعت أنوفهم وقطعت آذانهم وسملت عيونهم ثم وضعتهم في أكياس والقتهم في نهر دجلة، ومهما كان من ظلم العثمانيين لليهود في أبان الحرب فإنهم قد استفادوا في تجارتهم فائدة عظيمة واثري كثيرون منهم لأن مقاليد التجارة بيدهم وكانت مخازنهم مشحونة بضائع وارتفعت الأسعار ارتفاعاً هائلاً.

مجلس المبعوثين (النواب):

وعلى أثر إعلان الحكومة العثمانية (الحرية) وتنفيذ أحكام الدستور فقد أعلنت إجراء الانتخابات النيابية وقد جرى بكل هدوء وسكينة فحاز أكثرية الأصوات الذوات الآتية أسماؤهم فأصبحوا (نواباً) وكانوا يسمون النواب (مبعوثان) فمن ولاية (بغداد) إسماعيل حقي بابان والحاج علي الألوسي وساسون حسيقل، وعن ولاية (الديوانية) السيد مصطفى نور الدين الواعظ وشوكت باشا بن رفعت بك، وعن ولاية (كربلاء) الحاج عبد المهدي الحافظ، وعن ولاية (البصرة) السيد طالب النقيب وأحمد باشا الزهير، وعن (المنتفك) (الناصرية) رأفت السنوي وخضر لطفي، وعن ولاية (الموصل) محمد علي حافظ وداود اليوسفاني، وعن

مدينة (السليمانية) الحاج ملا سعيد كركوكلي زاده، وعن مدينة (العمارة) عبد المحسن بك السعدون وعبد المجيد الشاوي.

وبعد أن أخذ المبعوثان أي النواب أهبتهم للسفر إلى استانبول ليمثلوا أمة العراق في مجلس النيابي العثماني غادروا بغداد يوم الجمعة ١١ ذي الحجة (عبد الأضحى) سنة ١٣٢٦ هـ ووصلوا استانبول في ٩ المحرم سنة ١٣٢٧ هـ وقد نظم الشاعر معروف الرصافي في هؤلاء المبعوثان النواب أبياتا وهي:

يا أهل بغداد متى ينجلي	هذا العمى عنكم وهذا الفتور
قد أعلن الدستور لكنكم	لم تظفروا منه ولا بالقشور
يقول من شاهد مبعوثكم	سبحان من يبعث من في القبور

خلع السلطان عبد الحميد ونصب محمد رشاد:

في يوم الثلاثاء ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ هـ يقابلها سنة ١٩٠٩ م انعقد المجلس العمومي من الأعيان والمبعوثين وبعد المذاكرة رأوا من المصلحة خلع السلطان عبد الحميد وإنزاله عن عرش السلطنة وإجلاس ولي العهد السلطان محمد رشاد الخامس نجل السلطان عبد المجيد وبعد تلاوة الفتوى واعطاء القرار بالخلع انتخب المجلس هيئتين هيئة تبلغ السلطان عبد الحميد بالخلع وهيئة تبلغ السلطان محمد رشاد بالبيعة.

ثم توجه أعضاء المجلس العمومي من الأعيان والمبعوثين إلى محل المبايعة وهو دائرة (السر عسكر) وحضر محمد رشاد وأول من بايعه شيخ الإسلام والصدر الأعظم وتلاههما أعضاء المجلس العمومي من

الأعيان والمبعوثين ثم وكلاء الدولة والوزراء والعلماء والمشائخ وأجريت المراسيم المعتادة والاحتفال العظيم وأطلقت المدافع ١٢١ طلقة وعندما وصل الخبر إلى بغداد أطلقت المدافع أيضا وزينت المدن ورفعت الرايات وعم الفرح والسرور في جميع أنحاء البلاد وقد تشاءم الناس من سلطنة محمد رشاد وأصبحوا يقولون (إذا حكم رشاد سبي العباد) ودامت سلطنته أيام الحرب العظمى إلى ما بعد سقوط بغداد واحتلال البريطانيين لها وكان واليا في بغداد حين ارتقاء السلطان محمد رشاد عرش السلطنة الوالي نجم الدين ملا وهو من الولاة المخضرمين أدرك العهدين عهد الاستبداد وعهد الحرية.

الوالي ناظم باشا:

المشهور أن الوالي ناظم باشا من الولاة الذين خلدت مآثرهم وأعمالهم في تاريخ الولاة الذين قدموا إلى بغداد، وجدير بنا البحث في أيام حكمه وما نجم عنها من إصلاحات شاملة ورقى زاهر دخل ناظم باشا بغداد بعد أن تطلعت إليه الأنظار واشترأبت إليه الأعناق وذلك يوم الخميس ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٩١٠م وهو مزود بصلاحيات واسعة فيما يختص بالولايات الثلاث بغداد الموصل والبصرة ولم يحل ببغداد بعد الوالي مدحت باشا واليا نال شهرة واكتسب ذكرا كناظم باشا ولما تربع على دست الولاية اتصل برؤساء بغداد وسبر غورهم وجس نبضهم وشمّر عن ساعد الجد والعمل وأول عمل عمله جدد الحياة العسكرية في الدولة لأنه كما نعتّه الوالي سليمان

تنظيف بك بأنه أكبر جندي في الجيش العثماني، وأخذ ينظم الجيش وزوده بأسلحة حديثة الطراز وجدد البسته وجعل له معسكرا خارج بغداد وجمعه فيه ومنح الجنود رواتبهم المتأخرة، وكان قبل إعلان الدستور في حلول مواسم الأعياد يهجم الجنود على أسواق بغداد لنهب ما في الحوانيت لعدم دفع الرواتب لهم ويسمى هذا النهب (فرهود) ثم أمر الوالي ناظم باشا بجمع العساكر أي الجنود وأخذ يعمل لهم بين الآونة والأخرى (مناورة) أي تدريباً عسكرياً وذلك في شمال باب المعظم في محل محطة قطار شمالي بغداد الحالية ولم أنس ليلة من ليالي المناورات وقد تعالى بها هدير أصوات المدافع والرشاش وأزيز الرصاص وصراخ الجنود المتوالي وبذلك أربب الناس والعشائر وأمنت السبل وساوى بين القوي والضعيف والغني والفقير.

فتاوى العلماء :

وأحسن عمل عمله ناظم باشا وهو من باكورة أعماله مهمة العشائر ورفع غوائلها فلقد استطاع أن يحصل على فتاوى من علماء الحنفية والجعفرية بقتل الذي يتجاهر بالظلم والذي يستولي على أموال الناس بطريق النهب والسلب بحجة الغزو وإصدار هذه الفتوى عن أبناء الحنفية مفتي ولاية بغداد العلامة محمد سعيد الزهاوي والعلامة الشيخ غلام رسول من علماء الهند المقيم في بغداد ونقيب أشراف بغداد السيد عبد الرحمن النقيب العلامة السيد نافع الطبقجي والعلامة الشيخ عبد الوهاب النائب مدرس جامع منورة خاتون والعلامة السيد محمود شكري

الآلوسي مدرس جامع الحيدرخانة والعلامة الشيخ محمد سعيد مدرس جامع الإمام الأعظم وعن علماء الجعفرية العلامة الشيخ كاظم الخراساني من النجف والعلامة الشيخ عبد الله المازندراني من النجف أيضا والعلامة السيد محمد القزويني من الحلة والعلامة الشيخ محمد حسين من كربلاء والعلامة الشيخ محمد باقر من كربلاء أيضا والعلامة السيد إسماعيل الصدر من الكاظمية.

وكانت لهذه الفتاوى الأثر العميق في نفوس أبناء العشائر فسكتوا مدة بقاء الوالي ناظم باشا في بغداد وعادوا إلى ما كانوا عليه من الغزو والتمادي في السلب والنهب.

وعلى أثر إصدار هذه الفتوى أمر في جمع العشائر كلها في بغداد وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا أغدق فيه على رؤسائهم النعم وخلع عليهم الخلع فأحبه الجميع وأطاعوه وناهيك عن محبة أهل بغداد له وأنه إذا مر في سوق بغداد وأزقتها تقف له الجماهير حبا به وخشية منه!

تنظيف الطرق:

ومن أعماله التي سجلت بمداد الفخر والإعجاب تنظيم أزقته الضيقة وعدم طرح أوساخ (زباله) البيوت فيها وعمل عربائن خشبية أعدت لحمل تلك الأوساخ ونقلها خارج المدينة بعد أن كانت تحمل بواسطة الحمير والذي مكلف بحمل الأوساخ يقف صباحا في المحلة ويده (جرس) كبير يدق به دقات متوالية تنبيهها لذوي البيوت ليخرجوا ما لديهم من الأوساخ فيتناولوها ويلقيها في العربة المعدة لحمل الأوساخ

وهكذا تعود أهل بغداد على تلك الحالة المفيدة لما أمر بوضع ما يستخرج من المراحيض في علب (تانكيات) من الصفيح وطرحه في المحل المعد له بدلا من وضعه في (الظروف) المعمولة من جلود الغنم التي تحمل بواسطة الحمير بوضع يستلفت النظر.

الكلاب السائبة:

ولا ننسى كلمة (الحبل) والتي مضى عليها عدة سنوات والحبل هو الذي تربط به الكلاب السائبة التي يقبض عليها وإيداعها بمحل أعد لها قرب مقبرة اليهود ببغداد والشيء المضحك أن كل كلب في ذلك العهد يسمع كلمة (حبل) يهرب فترى الأولاد الصغار حينما يشاهدون كلبا ينادون (حبل حبل) فيهرب الكلب لمجرد سماعه هذه الكلمة.

فتح شارع النهر:

ولم تكن أعمال الوالي ناظم باشا مقتصرة على هذا فقط بل تعدت إلى مشاريع عمرانية أخرى منها فتح شارع النهر وأمر بفتحه على القنصلية الإنكليزية وشطرها شطرين وهذه القنصلية يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٩٧م وتتمتع بامتيازات لم يبلغها غيرها من القنصليات فلها ١٢ قواسا وعدد من الجنود المسلمين الهنود يبلغون ٦٠ جنديا وكان تحت تصرف هذه القنصلية باخرة صغيرة يقال لها (كومييت) وأهل بغداد يسمونها (مركب كمد) وكانت ملازمة لهذه القنصلية ليلا ونهارا.

جمع العشائر لعمل السد:

وأمر الوالي ناظم باشا بجمع العشائر لعمل سد ضخم وبضمنهم عمال بغداد وهذا السد يحيط بمدينة بغداد من شرقيها ليقبها من الغرق وقد سمي هذا السد باسمه وإلى الآن يسميه أهل بغداد (سدة ناظم باشا) وبهذا العمل ساعد أبناء العشائر وأهل بغداد مساعدة كانوا أحوج الناس إليها.

الإفطار في رمضان:

وأحسن عمل له يشكر عليه فقد مر في عهده رمضان ولم نر من يتجاهر بالإفطار في رمضان فكل من تراه الشرطة (البوليس) مفطر تجلبه إلى مركزها وبعد أن تجلده عشر جلادات تحكم عليه المحكمة بالحبس لمدة شهر فكان لرمضان في زمنه حرمة عظيمة ومكانة مرموقة.

عزل ناظم باشا:

روعت بغداد بعزل والي بغداد ناظم باشا وقد وقع النبا وقوع الصاعقة على أهل بغداد فقامت المظاهرات وكثرت الاحتجاجات من قبل أهل بغداد وفي مقدمتهم الوجيه عبد القادر باشا الخضيرى وقد ضحى بمال كثير وهو في دائرة البرق والبريد يخابر استانبول ويندد

بعزل هذا الوالي المصلح وكان الواسطة بينه وبين الحكومة في استانبول مبعوث الحلة العلامة المرحوم السيد مصطفى نور الدين الواعظ الذي بذل كل ما في وسعه في إبقاء ناظم باشا واليا على بغداد ولكن إرادة (الباب العالي) في استانبول أصرت على عزله وفي يوم الجمعة ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٩ هـ يقابلها سنة ١٩١١م أودعت وكالة ولاية بغداد إلى الفريق يوسف باشا بناء على عزل الوالي ناظم باشا ويا ليت كنا نعلم ما هو السبب عزل هذا المصلح الكبير.

لقد تكاثرت الأقوال وتباينت الحجج فمن قائل يقول أن عزله كان إرضاء للحكومة الإنكليزية لهدم قنصليتها وآخر يقول من ازدياد الشغب الذي حصل عليه من جراء قضية (سارة خاتون) بنت أوانيس أسكندر الأرمنية وفحواها أن أحد الضباط من أعوان ناظم باشا أحسب (سارة خاتون) وأراد أن يتزوجها فامتنعت عن ذلك فتدخل بالأمر ناظم باشا فحدثت شكاوى عليه وكثرت الأحاديث ولما لم يجد أعداء ناظم باشا غير هذه القضية ذريعة يشوهون بها سمعته جعلوها وسيلة للتديد بأعماله ولقد انتهر الشاعر جميل الزهاوي هذه الفرصة فنظم قصيدة بعنوان (طاغية بغداد) هاجمه فيها ويصف بها قضية (سارة خاتون) الأرمنية ولا عجب من الزهاوي إذا ما هاجم هذا المصلح فان الاتحادية هي التي دفعته إلى هذه الثورة النكراء تجاه ناظم باشا وفي يوم الثلاثاء صباح ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٩ هـ يقابلها سنة ١٩١١م غادر ناظم باشا بغداد قاصدا استنبول ولسان حاله يقول:

لا تلم كفي إذا السيف نبا
صح مني العزم والدهر أبي

قتل ناظم باشا:

وبعد وصول ناظم باشا إلى استانبول ولامر يريده الله عين وزيراً للحربية خلفاً للمرحوم محمود شوكت باشا شقيق الأستاذ حكمت سليمان ولم يكد ناظم يتمتع بالحكم حتى غاله القدر المحتوم وفي ١٥ صفر سنة ١٣٣١هـ يقابلها كانون الأول سنة ١٩١٣م اغتيل فشق نعيه في جميع الممالك التركية عامة وبغداد خاصة وبكاه الكبير والصغير لما له من المحبة في قلوب أهل بغداد ورثاه الشاعر عبد الرحمن البناء بقصيدة بعنوان (شهيد الحق) وقد أرخ بها عام وفاته وهي:

بكينا دما لا بالدموع السواجم	عليك شهيد الحق يا خير ناظم
بكينا فابكينا العداة كرامة	عليك ذكاء المجد بدر الأكارم
بكينا فابكينا الاماجد رحمة	عليك أبا الإصلاح رب المراحم
أناظم عقد المجد والفخر ضوالنهي	عليك اضطربنا كاضطراب الارقم
أناظم سالمت الزمان بعفوة	ولم تدر أن الدهر غير مسالم
أناظم لو تدري بفقدك ما جرى	فقد بدلت أفراننا بالمآتم
أناظم ما فزنا بروياك مرة	وما قد كسبنا غير عض الاباهم
أتى فوق جناح البرق نعيك طائرا	فله صيت طائر في العوالم
ولا جئتنا يا ذا (التلغراف) مخبر	قضى ناظم نحبا بضربة ظالم
فما جئتنا إلا وطارت نفوسنا	شعاعا تلبيه بغير قوادم
كفاه افتخارا قائد الجيش قد قضي	شهيدا ولم يقتل بحرب المخاصم
وراح لدار الحق بالحق فائزا	ولم يلتفت نحو الخطوب الهواجم
وخاطر في نفس علينا عزيزة	وبالعز قد وافى الردى غير سادم

له الهمة الكبرى بكل ملحمة
وقد رامت البلقان تغضب ملكنا
عليه سلام الله ما ذكر أمرؤ
عليه سلام الله ما قد تمايلت
عليه سلام الله من خير أمة
عليه سلام من قلوب حزينة
عليه تحيات العراق وأهله
عليه من الزوراء ألف تحية
سانظم في علياه در مدامعي
أناشدكم يا أمة الفخر والعلى
فمذ أعلن الدستور وانشق نوره
وكان سديد الرأي ماضي العزائم
فقام له مثل الشجا بالغلاصم
وما قد بكت مثواه عين الغمائم
غصون وما هبت هبوب النسائم
تنوح أسى لا مثل نوح الحمائم
جروح بها لم تلتئم بالمراهم
مضمخة من ماء ورد الكمائم
عليه شذاها ترتدي باللطائم
بعقد ولاء زين في سلك ناظم
بحرية شيدت بخير دعائم
فهل قد قضى أرخ شهيدا كناظم

الوالي جمال باشا:

كان الوالي جمال باشا كسائر الولاة الذين اشتغلوا بمنصب الولاية
في بغداد وكانت الأخبار ترد من حين لآخر عن حركاته في طريقه إلى
بغداد حتى وصل يوم السبت أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٢٩هـ
يقابلها سنة ١٩١١م.

وأول عمل قام به تأييد ما قام به الوالي ناظم باشا ونشر بيانا أعلنه
للعشائر وجمعهم في بغداد كما فعل ناظم باشا مهددا لهم بأن الغزو أمر
مرذول لا يجوز الأقدام عليه ووعده في بعض المشاريع التي سيقوم بها
ومنها إنشاء جسر حديدي ببغداد وجسور أخرى وكان قصده بهذه

المواعيد تطمين الأهلىن وهى (كمواعيد عرقوب) وسرعان ما جهز قوة عسكرية بقيادة (اليوزباشى) سليمان عسكري الذى صار مؤخرًا قائد الجيش فى الحرب العالمية فقام بإرهاب العشائر وتكلىل رؤسائها وصارت تحصل الضرائب بالقوة وفى عهد جمال باشا أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية فى ١٨ شوال سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م وحصلت فى بغداد مظاهرات وتجمع الناس فى دار الحكومة (السراى) وابدوا السخط والاستنكار من أعمال إيطاليا فتكلم الوالى جمال باشا بخطاب وخطب الشاعر جميل الزهاوى وحث الناس على الجهاد.

لقد كان جمال باشا- كما وصفه الأمير شكيب أرسلان- ذكى الفؤاد متوقد الذهن سريع الفهم ماضى العزم مهاب الطلعة ولكنه كان سريع الانفعال متكهرب الأعصاب مغرما بالمجد مولعا باكتساب الذكر البعيد متغطرسا جبارا مفتونا بأن يوصف بالجبروت محبا للانتقام والبطش، ولقد جنت الدولة العثمانية جناية كبرى على نفسها وعلى العرب والترك معا بأن سلمته زمام سوريا مدة الحرب تسليمًا مطلقًا فمضى فى شهواته وأهوائه غير حاسب ولا مراقب ولا ناظر شيئًا من العواقب وقد قضى على أحرار العرب فى الشام وبهذا عرف بالسفاح وإن الذين قتلهم أبرياء من جناية الدولة ولم يكن لهم نذب سوى وجودهم فى الحزب المعارض لحزب الاتحاد والترقى والقانون العثماني لا يعرف حزب الاتحاد وإنما يعرف السلطنة العثمانية مع العلم أن أحرار العرب الذين فتك بهم لا يوجد لفريق منهم وثائق خطية ولاقرائن قطعية توجب الفتك بهم وقد برر جمال باشا هذا العمل من باب القتل السياسى وهذا

الإغراق في التشفي والتعذيب لا مبرر له ولا يؤيده قانون ولا يقره عدل
ولا أنصاف!

وفي مدة ولايته في بغداد اشتهر بالمخازي والموبقات وعكف على
رقص (الدانص) مع (مدامة) مدير البانق العثماني وكان يقيم في قصر
عبد القادر باشا الخضيرى على نهر دجلة قرب (الدباغخانة) وبيته
مجاورا لبيت جمال باشا.

استقالة جمال باشا:

وبعد قبول استقالة الوالى جمال باشا من منصب ولاية بغداد سافر
إلى استانبول من طريق حلب في عصر يوم السبت ٤ رمضان سنة
١٣٣٠ هـ يقابلها ١٧ آب سنة ١٩١٢ م وهناك نال وظائف عديدة منها
متصرفيات وولايات حتى ارتقى إلى وزارة البحرية فذهب إلى سورية
قائد جبهة فهاجم (قناة السويس) وكان نتيجة هجومه الخيبة والفشل فعاد
إلى وزارة البحرية وبعد متاركة (موندروس) تغيب عن استانبول وقضى
مدة في أوروبا ثم سافر إلى الأفغان لتنظيم الجيش وبعد ذلك عاد
إلى (برلين) عاصمة المانية ليرى أسرته وفي أثناء عودته إلى الأفغان
ظفر به الأرمن في (تفليس) واغتالوه مع ولديه، وهكذا انطوت صحيفة
هذا السفاح.

أهم الحوادث في بغداد

شاه إيران:

في يوم الاثنين ٢٨ شعبان سنة ١٢٨٧هـ - يقابلها سنة ١٨٧٠م حل ببغداد ناصر الدين شاه لزيارة العتبات المقدسة وقد حل ضيفا على الحكومة العثمانية أيام الوالي مدحت باشا وكان الاحتفال بقدومه باهرا فاستقبله الجند من خانقين وقد بنى له قصرا في حديقة المجيدية ليكون له مسكنا طيلة إقامته في بغداد.

سقوط مطر في الصيف:

في يوم السبت ١٢ شعبان سنة ١٢٩٥هـ - يقابلها سنة ١٨٧٨م أيام الوالي عبد الرحمن باشا سقط مطر في بغداد بالصيف ومثل هذا المطر لم يقع إلا نادرا وقد أرخ عام سقوطه والذي مصطفى العلاف بقوله:
في الصيف غيث قد هما أرخ (بغير محله)

١٢٩٥

قحط وغلاء :

وفي أيام الوالي عبد الرحمن باشا سنة ١٢٩٧هـ — يقابلها سنة ١٨٨٠م حصل قحط وغلاء في بغداد وشمّل ولايات كركوك والسليمانية والموصل وكان غلاءا خطرا حتى أصبحت جثث الموتى مكدسة بالطرقات والأسواق كما أن البنات والأولاد بيعت بثمن بخس لعدم قيام أهلها بمعيشتها وسمي هذا الغلاء بمجاعة (البرسيمة) أي جوعان بالغلة الكردية، لأن الكرد حينما نزحوا من كركوك والسليمانية فراروا من الجوع الذي أصابهم ودخلوا بغداد صاروا ينطقون بكلمة (برسيمة) أي جوعان.

الهيضة (أبو زوعة) :

لقد ابتلى الله هذا البلد الأمين (بغداد) بكوارث عديدة منها القحط والغلاء والغرق والوباء وآخر ما حل به هو مرض الهيضة (أبو زوعة) كما يعبر عنه، وفي سنة ١٣٠٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٩م ظهرت الهيضة في بغداد أيام الوالي مصطفى عاصم باشا وبظهور هذا المرض الفتاك غلقت الأسواق وتعطلت الأعمال وفر الكثير من الأهليين وبضمنهم اليهود وأكابر البلد إلى القرى المجاورة لبغداد واستمر هذا المرض ٣٠ يوما وبلغ مقدار الوفيات كل يوم ما ينوف على المائة وثلاثين الأمر الذي أحدث قلقا عظيما واضطرابا بين سكان بغداد .

المشير رجب باشا:

في يوم ٩ شوال سنة ١٣٠٨هـ يقابلها سنة ١٨٩٠م وصل إلى بغداد المشير رجب باشا قائد (آلتنجى اوردوى) أي الفيلق السادس فاستقبل بحفاوة بالغة من قبل أهل بغداد.

كان المشير رجب باشا ضابطا في بغداد قبل تعيينه قائدا وعرف أهل بغداد مزاياه واعماله الطيبة.

وكان في أيامه الفريق شعبان باشا أمر لواء كركوك وقد نقله المشير رجب باشا إلى كركوك، ومن النكات الطريفة التي جرت بين المشير رجب باشا وبين الفريق شعبان باشا وهي بعد مدة من نقل شعبان باشا إلى كركوك طلب من المشير رجب باشا نقله إلى بغداد لانه سئم المقام في كركوك فاجابه رجب باشا بجملة لطيفة بالعبارة التركية وهي: (رجب جقماز ايسه شعبان كره مز) بمعنى لايدخل شعبان ما لم يخرج رجب!

كنز نقود عباسية:

في أيام الوالي نامق باشا الصغير عثر يوم السبت سنة ١٣١٧هـ يقابلها سنة ١٨٩٩م على شاطئ دجلة من خضر الياس بجانب الكرخ على دفينة (كنز) وكيفية العثور عليها أن قفافا اسمه صالح بن خلف المشهداني مر من هناك حينما أراد العبور بقفته إلى جانب الرصافة فصادف (بستوقة) وعند لمسها بغرافته انكسرت فانصبت النقود الذهبية

منها واندفعت في النهر وقد أخبرت الحكومة بالأمر وأمرت الغواصين بإخراج النقود الذهبية من الماء وبنتيجة إحصائها بلغت ثلاثة آلاف قطعة من المسكوكات العباسية، وقد أرخ والدي مصطفى العلاف عام العثور على هذا الكنز الثمين بقوله:

ورب كنز دام في مخبأ به صروف الدهر تعتر
واليوم لما أن بدأ ظاهرا أرخته قد ظهر الكنز
١٣١٧هـ

اهتزاز في بغداد:

في ليلة ٧ جمادي الآخر سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م أيام الوالي الحاج حسن باشا حدث اهتزاز في بغداد مرتين متواليتين وقد استولى الخوف والرعب في قلوب الناس وصاروا لا يامنون على حياتهم بسبب هذا الحادث المفزع.

سقوط وفر (ثلج) :

في ٢٠ المحرم سنة ١٢٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالي جمال باشا اجتاحت بغداد موجة وفر (ثلج) مصحوبة ببرد شديد وتعطلت حركات السير والمرور وقد بدأ الافر يتساقط كالقطن المندوف طول الليل فغشى جميع الطرق وكافة سطوح الأبنية والنخيل والأشجار وكسا قباب الجوامع والمآذن حلة بيضاء وأصبحت تزهر بمنظرها الجذاب

ووضعها الغير منتظر وتكرر سقوط الوفير في يوم الاثنين صباحا من ذلك الشهر ومثل هذا الحادث الغريب لم تألفه بغداد من زمن بعيد!

سكة حديد بغداد:

في صباح يوم السبت سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢ م أيام الوالي جمال باشا احتفل بوضع الحجر الأساسي لسكة حديد بغداد فسي جانب الكرخ وهذه هي سبب النزاع الحاصل بين الدولة الألمانية والدولة البريطانية وقد حضر الاحتفال كافة رجال الحكومة العثمانية من عسكريين وملكيين وقناصل الدول وكان الاحتفال عظيما ما شاهدت بغداد مثله.

حريق في خان النفط:

وفي مساء يوم السبت ٢٣ جمادي الأولى سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢ م أيام الوالي جمال باشا حدث حريق هائل في بغداد بخان النفط الواقع في محلة العوينة العائد إلى السيد محمد السيد محسن آل العطار وهم السادة الحسنيون المعروفون في بغداد ودام إلى يوم ٣٠ من الشهر أي إلى يوم السبت كان ما التهمته النار يربو على ثلاثة عشر ألف صندوقا من النفط و ٢٥٠ صندوقا (اسبرتو) و ٢٠٠ صندوقا من (البانزين) وقد كنا نشاهد صفائح النفط تتطاير بعد الانفجار في الجو وهذا اعظم حريق في بغداد عرفته الحكومة العثمانية.

حريق ثان في معمل العباخانة:

في يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٠هـ — يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا شبت نار في معمل العباخانة العسكري الذي أسسه الوالي مدحت باشا ودام أربع ساعات وقد احترقت جميع الأقمشة المخزونة فيه وبعد الجهد المتواصل أخمدت النيران وتقدر الأضرار التي نجمت من جراء هذا الحريق بخمسة آلاف ليرة ذهب عثمانية.

حريق ثالث في سوق الشورجة:

في يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ١٣٣٠هـ — يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا حدث حريق ثالث في خان عبد العزيز في سوق الشورجة التهمت النار جانب سوق العطارين مقابل (خان الدجاج) وامتدت النار إلى جامع مرجان وقد بذل أهل بغداد همة تشكر لإنقاذ هذا التراث الخالد ولولاهم لذهب أكلة سائغة لهذا الحريق وقد دام هذا الحريق نحو أسبوع وتقدر الخسائر التي تكبدها الحاج عبد العزيز نحو اثني عشر ألف ليرة عثمانية، ومن سوء حظ الوالي جمال السلفاح أن هذه الحرائق حدثت أبان حكمه في بغداد.

استشهاد محمود شوكت باشا:

في يوم ٦ رجب ١٣٣١ هـ يقابلها ١٥ حزيران سنة ١٩١٢ م روعت بغداد نبأ خطير ومصاب عظيم وهو اغتيال بطل الحرية محمود شوكت باشا وكيفية اغتياله بينما كان راجعا من وزارة الحربية ذاهبا إلى الباب العالي وصلت سيارته إلى منعطف شارع (ديوان يولي) فرأى السائق نعشا محمولا على الأكتاف يحف في تشيعه خلق كثير فاضطر على توقيف السيارة احتراما إلى الميت وعندما وصل حاملو النعش إلى محل وقوف السيارة وإذا بالرصاص يدوي في الفضاء ومن جرائه أصيب محمود شوكت باشا فخر صريعا؟! وقد قتل معه مرافقه كما أصبح ذلك الشارع خاليا من الناس رغما على انه من أمهات الشوارع في الأستانة ولا يخلو من الازدحام المستمر ولم يبق فيه سوى النعش مطروحا على الأرض وقد كان خاليا. هذه حادثة استشهاد بطل الحرية محمود شوكت باشا الذي لهج الناس به وكثر إطراؤهم فيه.

نال محمود شوكت باشا شهرة لم ينلها أحد من قبله فلقد اعتلى هذا البطل كرسي الصدارة العظمى وتقلد وزارة الحربية في وقت كانت شقة الخلاف متسمة بين حزبين متطاحنين هما حزب الاتحاد والترقي وحزب الائتلاف ونتيجة ذلك التطاحن اغتيل ونال رتبة الشهادة في ٦ رجب سنة ١٣٣١ هـ يقابلها ١١ حزيران سنة ١٩١٣ م وقد نعتته الحكومة العثمانية فوق نبا نعيه في بغداد وقوع الصاعقة واعتري أهلها الدهشة لهذا الحادث المؤلم والمصاب الجلل وقد رثاه الشاعر معروف الرصافي بقصيدة وهو إذ ذاك في استنبول وهي:

لقد بت مطروف النواظر بالسهد
تساورني رقصاء من لاعج الجوى
فأرقب تغوير النجوم بمقلّة
أقول وفرع الليل أسحم والأسى
متى يسفر الصبح الذي أنا راقب
إلى أن رأيت الفجر قد لاح خيطه
فما أنا إلا غفوة فخيالة
رأيت كأنى قمت حول سراق
أقاموا لواء الحمد فوق عماده
وقد أشرقت ملء السموات حوله
وقد لاح لي محمود شوكت جالسا
وفي يده سيف أجيد صقاله
وفي الرأس تاج بالثناء مرصع
وقد جللته بردة سندسية
وبين يديه زمرة من ملائك
تهنئة بالفوز طورا وتارة
وقد قام من حول السراق موكب
فلما رأيته واقفا بحياله
أشار أن اقرب يارصافي مالنا
فجئت وجسمي قد تغشته رجفة
فقلت لديه وانحنيت أمامه
فقال لقد أنست إذ جئت إنسا
تقلبني فوق الفراش يد الوجد
ويقدح في قلبي الأسى واري الزند
ترقرق فيها الدموع منفراط العقد
يدب دبب السم في العظم والجلد
أليس قميص الليل عنه بمنقذ
كما أصلت السيف الجراز من الغمد
لدى العالم العلوي في ربوة الخلد
من النور مرفوع الدعائم ممتد
وخطو على حافاته سورة الرعد
قناديل خضر تستثير بلا وقد
به فوق كرسي الجلالة والمجد
على أنه من صنعة الله لا الهند
فويق جبين مشرق بسنا الحمد
ومن تحتها درع إلهية السرد
مجنحة الأيدي غرانقة مرد
تحويه بالغض الطري من الورد
عظيم به اصطفت ألوف من الجند
وقد كنت بين الجند معتزلا وحدي
نراك وحيدا قد وقفت على بعد
كما يرجف المقرور من شدة البرد
فقبلت بالتعظيم حاشية البرد
عهدناك من زوارنا مخلص الود

ولا ترتجف هون عليك فأنما
فأبلغ تحياتي إلى الوطن الذي
وقل لبنيه إنني لست حاقدا
وإني لما أن تمثلت قائما
طلبت لهم عفوا من الله سابغا
أيا رب أني قد قصدت نجاحهم
وأنني لأرجو منك مرحمة لهم
فاني أرى موتي بخدمة أمتي
ألا فاهداهم يارب للمجد والعلى
وقال أتدري من هم الجند أنهم
ألم ترهم دامين حتى كأنما
فسوف يجول الله آداب صدعهم
وأذن في الحي المؤذن غدوة
وأصبحت لم أملك بوادر عبرة
سابكي واستبكي الجيوش على فتى
فتى كان في أفق الوزارة كوكبا
وقد كان في وجه الخطوب تبسما
وما مات محمود الخصال وإنما
لئن غيبت عنا مرأته في الثرى
وما هو إلا السيف قد كان مصلتا
سيبقى له الذكر الجميل مؤبدا

نزلت قرين الأمن في منزل السعد
سعيت إلى إعلائه باذلا جهدي
عليهم فمثلي لا يميل إلى الحق
بديوان ذي العرش الذي جل عن ند
وقلت له يارب لا تخزهم بعدي
فحقق لهم يا رب ما كان من قصدي
وإن قتلوني ظالمين على عمد
حياة به طعم الشهادة كالشهد
فما من مضل في الأنام لمن تهدي
من استشهدوا في حرب أعدائنا اللد
تسربل كل لبدة الأسد الورد
واغزوا العدى فيهم على الضمر الجرد
وأحسست في رؤياي بردا على كبد
تخط سطور الدمع في صفحة الخد
فقدناه فقد الغيث في الزمن الصلد
به في دجى الخطب الخلافة تستهدي
إذا عبست يوما بأوجهها الربد
تنقل من هذا الفناء إلى الخلد
فما غيبت عنا معاليه في اللحد
على الدهر وهو اليوم قد قرفي الغمد
تمر به الأيام حالية الأيدي

* * *

وقد أرخ عام استشهاده والذي مصطفى العلاف بقوله:

نعي في ليلة ظلماء ناع وشر النعي في سود الليالي
وروع قلبنا بعظيم خطب به بغداد باتت في وبال
فأنكرت الحوادث وهي شؤم ومثلي بالحوادث لا يبالي
أحمود الخصال يموت غدرا وهمته رقت أوج المعالي
فلا عجا إذا ما أرخوه أكيد موت محمود الخصال

١٣٣١ هـ

* * *

العلماء المبرزون قبل الدستور العثماني

العلامة الشيخ داؤد النقشبندي:

هو أبين السيد سلمان بن السيد جرجيس النقشبندي ولد سنة ١٢٢٦ هـ.

كان رحمه الله كعبة الآمال وحجة دامغة لفحول الرجال من المحدثين بالرواية والسند وقد توجه لبيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ومنه عرج إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ولما رآه بعض أحبته من أهل المدينة قالوا له مولانا قد اشتعل المبيض بالمسود وبدا أثر الذبول على الخد بمدة فراق سبعة عشر سنة فقال:

لقد ظهر المشيب بدا صغارا وغصن شبابنا أضحى قشيبا
فلا عيب إذا شبننا فهذا زمان يجعل الولدان شيبا
وقال أيضا:

أقول لأحابب ولعت بحبهم بطيبة حيا الله ذيا لك المغنى
ظننتهم نشوب الود من بعد بعدكم ليوم السوى هيهات شبننا وما شبننا
وفي طيلة حياته ظل مواظبا على وعظه وإرشاداته وطريقته
النقشبندية.

وفي سلخ رمضان سنة ١٢٩٩ هـ يقابلها ١٨٨١ م أيام الوالي تقي الدين باشا لبي نداء ربه فعظم مصابه وشيع جثمانه بموكب فخم من

رجال الحكومة والأهلين ودفن في جامع الست نفيسة بجانب الكرخ، وقد
أرخ عام وفاته الشيخ محمد أمين الجبوري بقوله:

قد قل غارب سيف الدين وانتلما وانهد ركن بني الإسلام وانهدما
وطود علم جليل دك جانبه وشامخ من عماد الفضل قد قصما
وشارق من سماء المكرمات هوى يا طالما كان نورا يكشف الظلما
واغرورقت أعين الإسلام باكية والدين حزنا على خديه قد لطما
وأدمن العلم قرع السن من ندم وعض إصبعه حتى قد انصرما
بآخر الصوم قد نادى مؤرخه داود بالخد وافي أرحم الرحما
١٢٩٩هـ

اغتيال النائب نجم الدين:

هو الشيخ نجم الدين نائب الباب أي نائب قاضي الشرع الشريف،
كان رحمه الله عالما غريراً وشهما غيوراً لا تأخذه في الحق لومة لائم،
وكان حادث اغتياله حادث مؤلم أبكى العيون وأدمى القلوب وكيفية
اغتياله في نهار الثلاثاء ١١ ربيع الأول سنة ١٣٠٤هـ يقابلها سنة
١٨٨٦م أيام الوالي تقي الدين باشا تصدى له المجرم الكاتب بمحكمة
الشرعية مصطفى أفندي وضربه بخنجر فأرداه قتيل، وبعد محاكمة
القاتل مصطفى أفندي قد ثبت جرم القتل لنائب الباب نجم الدين وعرض
على الذات الشاهانية وبعد صدور فرمان مؤرخا ١٢ رمضان سنة
١٣٠٥هـ المتضمن قتل القاتل وكان قتله على مشهد من الناس في أيام
الوالي مصطفى عاصم باشا وفي يوم السبت ١٩ جمادي الآخرة سنة

١٣٠٥هـ يقابلها سنة ١٨٨٧م نفذ الحكم في القاتل وقطع رأسه الرجل المسمى طه بن ناعور من محلة العوينة في بغداد ومن شدة ازدحام الناس الذين حضروا لمشاهدة قطع رأس المجرم سقطت السوق الصغيرة المتصلة بجامع الاحمدية المشهور بجامع الميدان وهلك من جراء ذلك رجل يهودي وامرأة مسلمة.

وقد كان العلامة المفتي فيضي الزهاوي يعترف بقدرة المرحوم النائب نجم الدين الفقهية ولما جاء إلى المحال الذي اعد فيه (الفاخرة) وعند دخوله ارتجل بيتا وهو:

ياله من نجم سعد أفلا أفلا نبكي عليه أفلا

العلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي:

هو ابن احمد أفندي بن حسن بك بن رستم بك بن كيخسرو بن مير سليمان باشا، ولد سنة ١٢١٢هـ في زهاو وكان رحمه الله عالما شهيرا ومفسرا نحريرا وله بذلك قوة فائقة، ومما يدل على ذلك ما قاله الشاعر عبد الغفار الأخرس:

أرى في لفض هذا الشهم معنى ينبئ عن مدى علم عظيم
ومهما زدته نظرا بفكـري رأيت نهاه قسطاس العلوم
ولطول باعه وعلو منزلته العلمية عين أولا مدرسا في المدرسة العلمية التي أنشأها سليمان باشا سنة ١٢١٦هـ.

وبعد استعفاء أمين أفندي الكهية من منصب الإفتاء في بغداد عين للإفتاء وبذلك قال الشاعر عبد الباقي العمري:

قد قيل لي إذ رحت انشد عندما
في مذهب النعمان في الزوراء قد
وقال أيضا:

تالله ما غلط الأمين محمد
لكن رآك به حريًا فالتجى
وظل يدافع عن الدين الحنيف ويقطع دابر الملحدين إلى أن واف
الأجل المحتوم سنة ١٣١١ هـ يقابلها سنة ١٨٩٧م وقد شيع جثمانه
تشييعا عظيما يحف به رجال الحكومة والأهليين ودفن في مدرس
السليمانية وقد رثاه تلميذه العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقصيد
وهي:

سأبكي على فيضي وتبكي الأفاضل
وتذرف عين المجد بعد وفاته
وكيف وربع العلم امحل روضه
يعز علي أهل العراق بأسرهم
فمن يكشف الكشاف بعد ذهابه
غدت بعده أهل المقاصد لم تنل
يحق لهم أن يسكبوا فيض مدمع
قلو كان داعي الموت يرضى به الفدى
ومذ قد توارى عيلم العلم في الثرى
فجيد العلي بالأمس كان مزيئا
فقدنا هماما كان كالبحر صدره
فكم أحجمت أسدا لديه قساور
وينعيه ناد للعلی والمحافل
دموعا مدى الأيام طل ووابل
وعود الأمانی حسرة البين ذابل
إمام إلى تلك المقابر راحا
ويهدي لتهديب الملا وهو كافا
من الهدى ما كانت إليه تحاوا
لرحلة من تطوى عليه المراحل
فدته صناديد سـرارة أفاضل
عجبنا لكون الطود في اللحد نازلا
فاصبح عار حليه وهو عاطل
يفيض لدينا من علاه جداول
بيوم نزال لم يرعها منازل

يريك علوما لم يجد من يصونها
 له الحكم طبع والفضيلة شأنه
 فليت لنا الأيام تتجسس مثله
 على هذه الدنيا العفا بعد موته
 تعادي أولي المجد الاثيل أصالة
 وكل جديد للبلاء معرض
 فيا قبر قد وارىت بحرا من العلى
 ومن طبق الدنيا الوسيعة فضله
 قضى نحبه والخلد كانت مقلبه
 سقى جدثا قد ضم قبر أماننا
 سواه لهذا ساجلته الأفاضل
 حلیم عن الجاني إلى السلم مائل
 إمام له تغنو السراة الأوائل
 فليس بها إلا غرور وباطل
 ويرضى بها غر لئيم وجاهل
 (وكل نعيم لا محالة زائل)
 يضيق به رجب الفضا وهو سائل
 وتزهو إذا ما حل فيها المحافل
 يساوره عفوا من الله كامل
 سحابا من المولى المعظم شامل

العلامة الشيخ عبد الوهاب الحجازي:

هو ابن الشيخ عبد الفتاح الحجازي مفتي البصرة ولد سنة
 ١٢٤٨هـ يقابلها سنة ١٨٣٢م كان رحمه الله أقوى العلماء بياناً
 واجودهم حكمة وبرهاناً ولذلك اختير من بين أقرانه وعين مدرسا
 يدرس العلوم على اختلافها بمدرسة جامع الخاتون التي أنشأتها مع
 الجامع سنة ١٢٦٧هـ يقابلها سنة ١٨٥٠م منورة خاتون زوج سليمان
 باشا ثم تقلب في وظائف عديدة منها القضاء الشرعي في كثير من مدن
 العراق كالحلة والناصرية والسليمانية ثم عين أمينا للفتوى في بغداد ثم
 نائب قضائها الشرعي ثم منصب الإفتاء في مدينة البصرة كما أنشطت
 به وظيفة مدير المعارف ونظارة الأوقاف وعلى ذلك منحه الحكومة

العثمانية مقابل خدماته الجليلة التي خدم بها الدين الحنيف و الأمة من ناحية العلم والقضاء وسام(السلطنة العثمانية) ورتبة(باي تخت) وفي سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م أيام الوالي الحاج حسن باشا أنشبت المنية فيه أظفارها بمدينة البصرة وكبر موته لدى البصريين حتى تجمهروا في باب دائرة الأشراف ووجوه القوم ورجال الحكومة مشيعين جثمانه ودفن في تربة حسن البصري وقد أرخ عام وفاته تلميذه العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقوله:

قبر ثوى علم الهدى بصفيحة	فغدا سحيق المسك فيه رجامه
علامة العلماء والفضل الذي	نشرت على كل الورى أعلامه
من كان للشرع الشريف مشيدا	علما محكمة به أحكامه
عجبا لقبر ضم طود مكارم	وسحاب فضل لا يجف رهامه
مفتي الأنام وقدوة الإسلام	للدين الحنيف قوامه ودعامه
فعلى أبو الندب الأمين بحق لل	مجد المؤئل أن تجر لمامه
ولله لسان الفضل نادى معلنا	أرخ بجنات الخلود مقامه

١٣١٣هـ

السيد سلمان النقيب:

هو ابن السيد علي النقيب ولد سنة ١٢٥٠هـ يقابلها سنة ١٨٣٤م تولى منصب النقابة بعد وفاة والده وهو الذي بنى المجد لآل الكيلاني في بغداد كان رحمه الله شهما وبطلا مقداما يستلين القلوب بلين الجانب وحسن المجالسة رحب الساحة أنيس المجلس مكرما لأهل العلم محببا

للشعراء والأدباء عطوفا على الأرامل والفقراء لا ترى العين منه إلا ما يسر القلب ويشرح الصدر، حج بيت الله الحرام في سنة ١٢٩٦هـ — يقابلها سنة ١٨٧٨م الذي خرج فيه بموكب هيبة وعظمة حتى أن جميع البغال التي حملت أثقاله هي ملكه مع خدمها وتقدر بمائة بغل وقد رفقت الحكومة بخدمته (بلوكا) أي سرية من الجندرمة بقيادة مخلص بك (آلي بكي) أي رئيس الفرقة وبعد أن أدى فريضة الحج تشرف بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم توجه إلى استانبول وقابل السلطان عبد الحميد وأنعم عليه برتبة استانبول والوسام المجيدي من الدرجة الأولى وبعد عودته إلى بغداد عين رئيسا للجنة إدارة الأملاك السلطانية (السنية) وفي سنة ١٣٠٠هـ يقابلها سنة ١٨٨٢م توجه مرة ثانية إلى استانبول بناء على طلب السلطان عبد الحميد وبصحبته ولده السيد داود ضياء الدين فأنعم عليه السلطان رتبة (القاضي عسكر في الأناضول) ثم رفع إلى رتبة (القاضي عسكر في روم ايلي) وهي منتهى المراتب العلمية كما أحسن عليه بالنيشان (العثماني المرصع) وبمدالية من الذهب والفضة وقد أنعم على أولاده وأخوته بالرتب العلمية وكانوا يتجاوزون اثنين والثلاثين رجلا وفي سنة ١٣٠٤هـ يقابلها سنة ١٨٨٦م عاد إلى بغداد. ومن أعماله الخيرية إنشاؤه في محلة (السك) ببغداد مسجدا ولما كملت عمارته سنة ١٣١١هـ يقابلها ١٨٩٥م وأرخه بعض الأبناء بقوله:

خصك الله برشد وهدي
بلغ الوقاد منه المقصدا
بنعيم دائما طول المدى

يا نقيبا لم تزل خير فتى
أروع الله الخير السدي
فزت مذ شيدت يوما مسجدا

وترى الإسلام لله —
فعلى نهج الهدى قد أرخوا

ركعا طورا وطورا سجدا
وعلى تقوى أقيمت المسجدا

— ١٣١١هـ

وفي سنة ١٣١٢هـ إنشاء سقاية (سبيل خانة) يردّها العطاشا ولما
تم تشييدها أجرى إليها الماء من نهر دجلة وقد أرخ عام بناءها بعض
الأدباء بقوله:

سيد القوم وفخر النقبـا
رضى الله على أفعاله
بالندى يمناه أجرت موردا
فإذا قيل لعمرى دجلة
قلت بالواحد لطفأ أرخوا

من له فوق الثريا نسب
وبه يعلو العلى والرتب
جملة الوراد منه تشرب
ماؤها عذب فرات طيب
سلسبيل القادري أعذب

— ١٣١٢هـ

ودام كهفاً للأرامل والأيتام حتى وافاه الأجل المحتوم في ١٤ ذي
الحجة سنة ١٣١٥م يقابلها سنة ١٨٩٦هـ وقد شيع جثمانه بموكب
اشترك فيه جميع سكان بغداد ورجال الحكومة ودفن في الحضرة
الكيلانية في حجرة خاصة وقد أرخ عام وفاته الشاعر شهاب الدين
الموصلى بقوله:

هنا قادري الجد جاور جـده
على فقده عبد الحميد بملكـه
مضى في سبيل الحق والمجد مجده
مناقبه الحسنى وآثاره النسي
قد اختار عن دار الفنا دائم البقا
بتربته للحشر يغشاه رضوان
له أسف قد بثه وهو سلطان
إلى سائر الدنيا له سار إعلان
له الدهر حتى ينتهي الدور احسان
بدار نعيم ليس تفنيه أزمان

مع الله منه الصديق قد صح ارخوا ثوى بالتهاني مقعد الصديق سلمان
١٣١٥ هـ

العلامة السيد نعمان خير الدين الألوسي:

هو ابن الإمام العلامة أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الألوسي
صاحب (تفسير روح المعاني).

ولد ١٢ محرم سنة ١٢٥٠ هـ كان رحمة الله جوزي زمانه في
الوعظ وقد بلغ في حسن التذكير والإرشاد النهاية، وقد تولى في شبابه
بعلمه وفضله ونبله القضاء في بلاد متعددة حمد عليها وحبب إلى
القلوب وفيه يقول بعض أدباء الحلة:

تصفا الشريعة للواردين فقد جائها اليوم نعمانها
وقد كان مطروفة عينها فبال الشفا فيه انسانها

وفي سنة ١٢٩٥ هـ يقابلها سنة ١٨٧٨ م قصد بيت الله الحرام لأداء
فريضة الحج ومر بطريقه على مصر القاهرة، لطبع (تفسير روح
المعاني) وفي سنة ١٣٠٠ هـ يقابلها سنة ١٨٨٢ م ذهب إلى استانبول
لإعادة ما اغتصبته يد الجور من حقوقه إلى نصابه ولما وصلها كان
موضع تقدير السلطان عبد الحميد وأنعم عليه بمراتب عالية وأصدر
أمره بإعادة مدرسة مرجان إليه وبعد أن قضى فيها سنتين رجع إلى
بغداد وتصدر التدريس بعنوان رئيس المدرسين وقد هنأته الشعراء
وأرخت توجيه المدرسة إليه بقصائد عديدة منها قول شهاب الدين
الموصللي:

وافى وعرفانه والعلم عـرفه على رجال ذوي علم وعـرفان
موظفا قد أتى لكن بمدرسة قديمة العهد من إنشاء مرجان
وظيفة قبله كانت لوالده بموجب الشرط شرط الواقف الباني
واليوم قد عاد مقبول الجناح إلى بغداد باليمن مشمولا بإحسان
وفي صكوك العلى والعلم أرخه سجل تدريس مرجان لنعمان
١٣٠٢هـ

وظل يقرط الأذان بوعظه ويخبر الأشعار بتأليفه حتى أتاه اليقين
صبيحة يوم الأربعاء ٧ محرم ١٣١٧هـ يقابلها سنة ١٨٩٩م أيام الوالي
نامق باشا الصغير وشيع جثمانه تشييعا مهيبا إلى مقره الأخير في جامع
مرجان.

العلامة محمد آل جميل:

هو ابن العلامة عبد الغني آل جميل كان رحمه الله شهما هماما
وبطلا مقداما وعالما فاضلا وأديبا كاملا ورث الشرف العظيم من
أسلافه الأمجاد عطوفا على الفقراء أليفا للشعراء لا ينفك عنهم ليلا
ونهار؟ تقلد وظائف مهمة في الدولة أظهر في جميعها مآثر حميدة
وأفعال مجيدة وقد تزين صدره بوسامين (وسام العثماني) و (المجيدي)
لقاء خدماته الجليلة.

توفي فجاءة ليلة الاثنين ٢٦ رجب سنة ١٣١٨هـ يقابلها سنة
١٩٠٠م أيام الوالي نامق باشا الصغير وقد عز فقده على جميع أهل

بغداد الخاص والعام لما له من المنزلة العالية بينهم وقد شيع جثمانه
 بالحسرات والدموع ودفن في جامع آل جميل في محلة قنبر علي ببغداد.
 وقد رثاه أسعد أفندي الطبقجلي بأبيات أرسلها برقيا من الحلة وهي:

لقد محمد قد حل خطب	به بغداد طاطات الرؤسا
وأن الصبر في عيسى جميل	فتى يجلو بطالعه النحوسا
بموت أبيه مات المجد لكن	بأن الله قد أحياه عيسى
وبعث العلامة السيد محمد القزويني من الحلة هذين البيتين:	
لأبي عيسى بكت عين المعالي	فهوى في فقهه بدر الكمال
فلعيسى أسوة بالمصطفى	يتسلى وبمحمود الخصال

السيد حسين آل السيد حيدر:

هو العالم الجليل والزعيم الديني الذي كان مرجعا للجعفرية في
 بغداد ومجلسه كان حافلا برجال بغداد وعلمائها وتجارها وكانت داره
 في محلة صبابيغ آل مركزا للاجتماعات الدينية والمآتم الحسينية
 ومدرسة للعلوم المختلفة ومنها تخرج عدد كبير من الأبناء والفضلاء
 وهو من السادة الحسينية التي ينتمي إليها آل السيد عيسى وآل السيد
 حيدر وآل السيد هادي العطار وآل السيد راضي وآل المراياتي آل
 حمندي.

جاء إلى بغداد من الكاظمية في عام ١٢٩٥هـ وكيلا عن الإمام
 الكبير السيد محمد حسن الشيرازي(ره) ومن بعده الشيخ محمد طه
 نجف. فكان مرجعا للشيعة في مسائلهم الدينية وحل مشاكلهم الخاصة.

كان له من الأولاد السيد كاظم وكان عالما فاضلا له مؤلفات خطية سكن الكرخ. ذكره المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ممن ذكره من علماء بغداد في كتابه (المثل العليا). توفي سنة ١٣١٣هـ قبل والده. والسيد عبد الكريم الذي خلف والده في مركزه الديني والسيد صادق التاجر المعروف في سوق الشورجة. توفي السيد حسين في سنة ١٣٢٠هـ فشيخته بغداد ونقل مشيا على الأقدام إلى الكاظمية حيث أقبر في حسينية الأسرة فيها. وقد رثاه عدد كبير من الشعراء الشيخ محمد حسن كبة والسيد راضي القزويني والسيد حسون القزويني والسيد محمد صادق الاعرجي وغيرهم.

العلامة الشيخ قاسم البياتي:

هو ابن الشيخ محمد البغدادي البياتي، كان رحمه الله عالما عليمًا ومفسرا كبيرا ومحققا بارعا وكان في العلم آية كما كان جنة نعيم لا يجوع طالب فيها ولا يعرى وكان ينطبق عليه قول القائل:

يحل عقود المشكلات برأيه إذا أشكل المعنى الدقيق وعقدا
وأحيا دروس العلم في علم درسه بدت فيه آثار الفضائل مبدأ
وافصح من نهج البلاغة منطقًا تخر له الأقلام في الطرس سجدا
وكثيرا ما كان يخطب وده الولاية فلم يفلحوا في مقابلته، وقد أخذ على عاتقه دراسة العلوم على اختلافها حتى توفاه الله تعالى في سنة ١٣٢٥هـ وشيع جثمانه بموكب حافل مشى فيه جميع طبقات الأمة

ودفن في مقبرة العيدروسي، وقد أرخ عام وفاته معروف الرصافي بقوله:

على قاسم شيخ الطريقة قد بكت	جواهر فضل ما لها الدهر قاسم
بكاء التقى والعلم والحلم والنهى	وحسن السجايا والعلى والمكارم
فقدنا الذي قد كان في العلم عيلما	فماجت لمنعاه البحار العيالم
لئن قد طواه الموت عنا فذكره	مع العلم منشور على الدهر دائم
رزءناه حبرا في الطريقة مرشدا	به اتضحت للسالكين المعالم
عفت أربع الإرشاد بعد ارتحاله	وكانت به منها تقوم الدعائم
حليف التقى ما دنس الدهر ثوبه	بآثم ولا مرت عليه المحارم
ترحل للأخرى وأبقى مناقبا	تهنى من الدنيا بهن المواسم
يصوم نهار الصيف لله طائعا	ويحيي الليالي وهو لله قائم
إذا ما بدا للقوم لاحت بوجهه	دلائل من نور الهدى وعلائم
ولما مضى للخلد قلت مؤرخا	لقد بات في أعلى الفرديس قاسم

١٣٢٥هـ

وكذلك أرخ عام وفاته جميل الزهاوي بقوله:

كبير الموت كبار الأعاضم	فان بهم عماد الدين قائم
أبقى قائم للدين بيت	إذا انهدمت من الدين الدعائم
قضى والهفتا من كان يحيا	لتزكية النفوس من المآثم
قضى العلامة الحبر الذي لم	تلد كمثاله أم المكارم
قضى الشيخ الوحيد فقلت أرخ	توفى أشرف الزهاد قاسم

العلماء المبرزون بعد الدستور العثماني

العلامة مصطفى نور الدين الواعظ:

هو ابن السيد محمد أمين الواعظ ابن السيد محمد الادهمي ولد في ربيع الأول سنة ١٢٦٣هـ - يقابلها سنة ١٨٤٤م وقد أرخ عام ولادته الشاعر عبد الباقي العمري بقوله آخر بيت من قصيدة:

أضاء من نادى الأمين فأرخوا بالمصطفى مجد الأمين انتعشا

كان رحمه الله بارعا في كافة العلوم وبالع القصوى في تحقيق المنطوق والمفهوم رحيمًا في سيرته شفيعا بحسن طويته لا يرد مراجعة مظلوم ولا يخشى بطش ظالم.

نصب مدرسا في مدرسة الخاتونية وهو ابن عشرين سنة وفي سنة ١٢٨٩هـ - يقابلها سنة ١٨٧٢م نصب مدرسا وواعظا وخطيبا في مدرسة بمدينة البصرة في الجامع المسمى بابي (منارتين) وعين في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٩٠هـ - يقابلها سنة ١٨٧٣م عضوا في محكمة التميز والحقوق بالبصرة وقد استمر في هذه الوظيفة حتى ١٦ ذي القعدة سنة ١٢٩١هـ - يقابلها سنة ١٨٧٤م ثم عاد إلى بغداد وفي سنة ١٢٩٧هـ - يقابلها سنة ١٨٨٠م عين رئيسا لمحكمة جزاء البصرة وقد سافر إليها في ١٣ شعبان من السنة نفسها وقد بقي فيها حتى جمادي الآخرة سنة ١٢٩٩هـ - يقابلها سنة ١٨٨١م ثم استقال منها وفي ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٠٠هـ - يقابلها سنة ١٨٨٢م نصب للإفتاء بمدينة الحلة وقد أرخ علم توليته للإفتاء الشاعر أحمد التميمي بقوله:

أني أهني سمي المصطفى بعلا سما على غارب الجوزا وكوكبها
 فلو يروم إلى الفتوى سواء فتى من البرايا لعمري كان مشتبهها
 يفتي ويوعظ عن علم وموعظة يصغي لها من غدا للوعظ منتبهها
 بشرى إلى حلة الفيحاء في علم وسيدا من كرام الناس أنجبها
 لما تهنت به نادى مؤرخه المصطفى مفتي فيحاء العراق بها
 ١٣٣٠هـ

وقد أنيطت به رئاسة مجلس المعارف ومديرية الأوقاف علاوة على
 الإفتاء في مدينة الحلة، وفي سنة ١٣٢٦هـ — يقابلها سنة ١٩٠٨م
 انتخب (مبعوثا) أي نائبا عن مدينة الحلة وسافر مع النواب المنتخبين إلى
 استانبول وبعد أن انفض مجلس المبعوثان في استانبول رجع إلى بغداد
 مع زملائه المبعوثين وعاد إلى أسرته الأولى للوعظ والإرشاد وفي يوم
 الثلاثاء ٢٤ جمادي الأولى سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م أيام
 الوالي محمد زكي باشا لبي نداء ربه وبموته أخرس لسان الوعظ
 وانطفئ مصباح الخطابة وقد شيع جثمانه تشييعا فخما اشترك فيه
 جميع أهل بغداد ودفن في تكية البكري في محلة باب الشيخ وقد أرخ
 عام وفاته العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقوله:

وأجل خطب غصت الدنيا به في عصرنا فقد الهمام المصطفى
 كنز المواعظ من علت أسلافه أوج العلى والفرع بالأصل اقتفى
 كالبحر علما والسحاب إفادة فلکم أفاد المستفيد واسعفا
 في كل علم لا يبارى علمه كشف الغوامض مذ أجاد وألعا
 ناداه داعي ربه فأجابه مستبشرا بلاقائه مستطفيا

فبكت لفقد حياته أهل النهى والكل أصبح واجما متأسفا
ولسان حال الوعظ نادى أرخوا من للمنابر مثل نهج المصطفى
١٣٣١هـ

وكذلك أرخ عام وفاته العلامة السيد علاء الدين الألوسي بقوله:
أسفا لقد حل الحمام بفاضل من فقده الزورا بأمر باهظ
قد كان في علم الشريعة حافظا ولسنة المختار جد محافظ
وله اليراع العضب يرعف ثغره للدين خير مآزر وملاحظ
فقضى حقوق العلم غير مقصر بكتابة وخطابة ومواعظ
وبمذهب النعمان جاهد حقبة من عمره جهد الغيور اللاحظ
حتى قضى نحبا وسار لربه همم المحامد في أمان الحافظ
وثوى جوار أب أبر مجاهد في الدين نصار (أمين) حافظ
تبكي عليه قلوب أرباب النهى حزنا فقد دهمت برزء غائظ
كم من لسان يوم مات المصطفى يولي الثناء وبالرائي لافظ
والدين ناح عليه لما أرخوا الدين نواح على ابن الواعظ
١٣٣١هـ

العلامة الشيخ سعيد النقشبندى:

هو ابن الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد الغنى العبيدي، كان رحمه الله في علومه كزق عسل إن فتحت فمه خرج عسل حلو وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو وفتحت يده خرج عسل حلو كله جيد وكله نافع له اليد الطولى في العلوم النقلية والعقلية لا يضاهيه بها أحد ولا يجاريه بها

فرد وكان مدققا ومحققا عن وجوه الاستنباط والأدلة له معرفة كلية بالأحكام الدينية حتى عد في رتبة المرجحين وفوق هذا كله كان يسعى لاستقلال العرب وقد لاقى في هذا السبيل مصاعب جمة وكان رئيسا لحزب (المشور) الذي كانت خطته الوحيدة إرجاع الشريعة الإسلامية إلى حضيرتها الأولى وهذا الحزب تشكل في العهد العثماني بعد إعلان الحرية واستيلاء الاتحاديين في شؤون الدولة في بغداد وتشكل هذا الحزب بكل من الفريق كاظم باشا ومحمد فاضل باشا الداغستاني والسيد عبد الرحمن النقيب والسيد محمود النقيب والسيد عبد الله النقيب وعيسى أفندي آل جميل وعبد الرحمن أفندي آل جميل وعبد الرحمن باشا الحيدري وسالم أفندي الحيدري وجميل أفندي أمين الإدارة ومن أعمال هذا الحزب أن أخذ يقاوم الفكرة اللادينية حتى قضى عليها وفي سنة ١٣١٤هـ يقابلها سنة ١٨٩٦م سافر إلى استانبول بناء على طلبه من قبل المشير توفيق باشا أحد تلامذته بعد أن عرض صفاته إلى المايين ولما حل في استانبول مثل بين يدي السلطان عبد الحميد ومن هناك صدرت الإرادة بإنشاء مدرسة دينية كبرى في مدينة سامراء على أن يكون الشيخ سعيد شيخا للعلم فيها وعلى أثر هذه المنحة الدينية رجع إلى بغداد ولما عاد مر في القاهرة مصر واجتمع بعلمائها الأعلام وقد زار ضريح الإمام الشافعي وهناك ارتجل الأبيات التالية:

أتيت لقبر الشافعي إمامنا	لكي ارتوى من بحره المتلاطم
فلما أتيت القبر شاهدت لجة	علتني علو الست منها بسالم
فنوديت ما هذا عليك بفلكننا	فأنا وضعناها إلى كل قادم

ولما حل ببغداد أنشأت المدرسة بسامراء واكتضت بطلاب العلم
وبقي يدرس العلوم فيها حتى وفاة العلامة السيد محمد حسن الشيرازي
وفي سنة ١٣١٨هـ يقابلها سنة ١٩٠٠م نقل إلى التدريس في مدرسة
الإمام الأعظم أبو حنيفة وقد أرخ عام نصبه مدرسا معروفا الرصافي
بقوله:

ولا قد سر طالب كل علم	ومن بذل النفائس في طلابه
صبيحة شرف الزورا سعيد	بمقدمه المبارك في غيابه
وتدريس العلوم لطالبيهـا	لدى النعمان عاد إلى جنابه
هو البحر الخضم بغير حد	فرائد كل علم في عبابه
فقلت بمعرض التاريخ بشرى	وأمر الدرس عاد إلى نصابه

١٣١٨هـ

وفي سنة ١٣٣٦هـ يقابلها سنة ١٩١٧م نصب شيخا للإرشاد
في (تكية الخالدية) وأخذ الناس يفدون عليه من جميع أنحاء العراق
للسلوك في طريقة النقشبندية.

وهكذا بقي يناصر الدين الحنيف حتى وافى أجله المحتوم سنة
١٣٣٩هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية وشيع جثمانه
من داره إلى جامع الفضل ودفن في تربة آل النائب وأرخ عام وفاته
شقيقه العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب وكتب التاريخ برخامة ووضع
فوق باب التربة وهو:

هنيت يا قبر بمن قد حوى	شريعة المولى الرؤوف الحميد
قد كان يحيي القلب في وعظه	وبرشد السالك والمستفيد
كان من الأخلاق تمثالها	وفي التقى قد كان بيت القصيد

مدارس العلم بكت بعده
أم المعالي عقت بعده
في روضة الجنات قد أرخوا
فهو لعمر الله نعم العميد
هيهات أن تأتي مثل الفقيـد
حل بدار الخلد فردا سعيد
١٣٣٩هـ

وكذلك أرخ عام وفاته مؤلف هذا الكتاب بقوله:

أبعد السعيد يطيب المنام
وكيف يطيب الكرى في الدنا
ناداه أقدم إليه السما
قلبي النداء بتاريخه
فذاك لعمرى علينا حرام
وفيها فقدنا التقي الهمام
وابشر فانت بأعلى مقام
وأضحى سعيدا بدار السلام
١٣٣٩هـ

العلامة السيد علي علاء الدين الألوسي:

هو ابن العلامة نعمان خير الدين الألوسي ولد في شعبان سنة ١٢٧٧هـ يقابلها سنة ١٨٦٠م كان غصنا يانعا من دوحة علم أصلها ثابت وفرعها في السماء حج في صباه مع والده وسافر إلى استانبول مرارا منها مرة مع أبيه وتعلم اللغة التركية والفارسية واتقن الأولى حتى نظم الشعر فيها وانتظم في سلك طلاب النيابة والقضاء ونال منها الشهادة ولما توفي أبوه سنة ١٣١٧هـ يقابلها سنة ١٨٩٩م قام مقامه وولي تدريس مدرسة مرجان في الرصافة ومدرسة الشيخ صندل في الكرخ ولما أعلن الدستور العثماني والتام المجلس في استانبول انتخبه

الشعب العراقي مبعوثا أي نائبا عنه، وله قدم صدق في المطالبة بحقوق البلاد والذود عنها بكل ما أوتي من طول وحول وبقي إلى أن انفض المجلس، وفي سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٦م دعي إلى القضاء في بغداد فزهد فيه وأصرروا عليه فلم يجد بدا من تقليده على كره منه وقام به حق قيام.

وما اصدق قوله واحكمه حينما أصرت عليه الحكومة بقبول قضاء بغداد وهو:

إن القضاء هو البلاء فلا تكن	متعرضا فتصاب في سوء القضا
إذا ابتليت به على كره فقد	نهج العدالة أنها سبب الرضا
والله عون الحق ينصر أهله	ويذل من هضم الحقوق واعرضا

وبقي في منصب القضاء يجله الوقار ويكتفه الجلال وقد صلحت به العباد وانحسم الفساد إلى أن أصابه مرض الفالج ليلة عيد الفطر سنة ١٣٣٨هـ ولم يزل هذا ناشبا أضفاره فيه حتى اختارته المنية ليلة السبت ٨ جمادي الأولى سنة ١٣٤٠هـ بعد احتلال بغداد وشيع جثمانه من الاعظمية تحفه طبقات الدوائر الرسمية والعلمية والأهلية ودفن في جامع مرجان.

العلامة السيد محمود شكوي الألوسي:

هو ابن العلامة السيد عبد الله بهاء الدين الألوسي ولد ١٩ رمضان سنة ١٢٧٣هـ يقابلها سنة ١٨٥٦م توفي أبوه وهو لم يزل في سن

الصبا وتعهده عمه العلامة نعمان خير الدين الالوسي فغذاه غذاء علميا واسقاه من معين علمه الزلال حتى أهله مواهبه للتدريس فدرس في جامع الحيدر خانة وجامع السيد سلطان علي ولما ذاعت شهرته وطبق الخافقين صيته لاسيما بعد أن ظفر كتابه (بلوغ الأرب في أحوال العرب) بجائزة لجنة اللغات الشرقية المتحدة في (استوكهولم) بدعوة من ملك النرويج قصده المستشرقون (كمر غليث) الإنكليزي و(ماسينون) الفرنسي اللذان اعترفا بفضله وارتفع صوته رحمه الله كمصلح وصار يدوي في المطالبة بتطهير الدين الحنيف مما لحقه من ضياع وقد شن في سبيل ذلك غارات شعواء على الجامدين تعرض من ورائها إلى سخطهم وغضبهم فراحوا يشنعون عليه ويرمونهم بشتم شتى هو براء منها حتى أغروا الوالي عبد الوهاب باشا أن يقدم إلى الباب العالي طلبا بنفيه وقد صدر الأمر بأبعاده عن بغداد ومر بطريقه إلى منفاه بمدينة الموصل فقام الموصليون وقعدوا وقابلوا ذلك بالسخط المرير لما للالوسي عندهم من المكانة السامية وابرقوا للسلطان عبد الحميد يسألونه الصفح عنه واتفق أن أعلن الدستور العثماني فصدرت الإرادة بالعفو وعاد إلى بغداد، ولا ننسى ما للالوسي من المكانة المرموقة والاحترام الشامل عند ولاية بغداد ومنهم الوالي سري باشا فكان لا ينقطع عن الاجتماع به والاسترشاد برأيه فاناظ به إنشاء القسم العربي من جريدة الزوراء التي أنشأها الوالي مدحت باشا ولم يغفل الوالي جمال باشا حين عهدت إليه ولاية بغداد عن مواهبه السامية وآرائه الصائبة فانتدبه خلال الحرب العالمية الأولى إلى نجد لمفاوضة أميرها بشؤون سياسية ولم يكن الالوسي وهو عالم تحرير يصلح بمثل هذه المهام فافتح فيها وعاد إلى

بغداد وعكف على دراسته وإرشاداته حتى سقط بغداد من قبل
البريطانيين سنة ١٣٣٥هـ. فعرضوا عليه قضاء بغداد فزهد فيه ثم
عرض عليه أوائل تشكيل الحكومة العربية الموقته الإفتاء برئاسة مجلس
التمييز الشرعي فalcضاء فالمشيخة الإسلامية فرفض كل خدمة غير
العلم الصحيح، وبعد مرض مزمن ألم به طيلة بضع سنوات، وفي
٤ شوال سنة ١٣٤٢هـ لبي نداء ربه وقد شيع جثمانه بالحسرات
والدموع واشترك في التشييع العلماء ورجال الحكومة والأهلين ودفن
بقبرة الجنيد البغدادي بجانب الكرخ وأقيمت له (فاتحة) في داره وقد
أنشدت فيها قصيدة مع الشعراء الذين أنشدوا القصائد في رثائه وهي:

صبرا وإن كان المصاب جليلا	قد طبق الدنيا بكا وعويلا
ويلاه من هذا الزمان فانه	لم يدر إلا الغدر والتكيدا
أبدا يريش نباله لكنـه	لم يصم إلا أصيدا ونبيلا
لله أي مصيبة ورزية	أضحى لها طرف العلو كلا
يا أيها النبا المغادر دجلة	عز الفرات به وعز النيل
اليوم قد رزء العراق بفقد من	مقل الورى سحت عليه سيولا
اليوم بيت العلم طاح عماده	فانهار من بعد السمو مهيدا
اليوم أقفرت المدارس وانمحنت	منها الرسوم وعطلت تعطيدا
اليوم أقفلت النوادي كلها	اليوم أصبحت الديار طلولا
اليوم شمل العلم عاد مشتتا	مذ بات عقد نظامه محلولا
هيهات بعد (أبي المعالي) أن ترى	لعلومه بين الأنام مثيلا
من ذا ترى (للحيدرية) بعده	في العلم والتقوى يكون بديلا
ياراحلا والمكرمات تحفه	يممت ظلا في النعيم ظليلا

مالي أراك وأنت تسرع في السرى
 ما شيعوا للقبر نعشك وحده
 قد كنت للزوراء أقوى ساعد
 سل الزمان عليك عضبا مرهفا
 مولاي يومك ما أجل مصابه
 إني وددت بان أكون لك الفدى
 وأبيت قبلك في التراب مغيبا
 فلا رثيتك ما حييت على المدى
 ولا بكينك بكرة وأصيبا
 وفي عصر الأربعاء ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٤٢ هـ أقيمت حفلة
 تابينية كبرى في جامع الحيدرخانة اشترك فيها جماعة من الشعراء
 والأدباء وكنت من ضمنهم وقد ألقى قصيدة في رثاء العلامة الالوسي
 وهي:

جننا نقيم بهذا اليوم تابيننا
 جننا نجدد ذكرى ما أَلَم بنا
 جننا نشاهد آثارا مخلدة
 جننا نعزي المعالي والعلوم بمن
 الله اكبر مات العلم واندرست
 الله اكبر ما للدهر يفجعنا
 لا تعبتين على دهر يفرقنا
 يا كوكبا غاب في الأجداث منطفئا
 لئن نسيت عهدا في محبيننا
 بعدت عنا ولم تسمع تحيتنا
 والدمع كالغيث يجري من مآقينا
 من المصاب لو أن الذكر يجديننا
 تهدي إلينا ونهديها لتالينا
 إلى طريق الهدى قد كان يهديننا
 آثاره وخلت منه نواديننا
 ما أن نصادقه إلا يعاديننا
 فشيمة الدهر تفريق المحبيننا
 وجوهرا بات تحت التراب مدفونا
 فنحن لسنا لعهد منك ناسينا
 وطالما كنت يا (شكري) تحييننا

قم من ضريحك وانظر امة وقفت تبكي علاك وتبكي العلم والدينا
قم من ضريحك وانظرنا بعين رضا فنظرة منك بعد اليوم تكفيننا
مذسرت سار الهنا عنا وودعنا والحزن ظل مقيما في نواحيننا
تركت أنجالك الطلاب في جزع مشتتين مدى الأيام باكيننا
كانت أمان لنا يا قوم زاهية بموت (شكري) لقد ضاعت أمانينا
عزوا المحافل عزوا اليوم (بهجتها) عزوا المدارس بل عزوا الدواويننا
عزوا تلاميذه الأنجاب قاطبة وعزوا أسرته الغر الميامينا

العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب:

هو ابن الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد الغني ولد سنة ١٢٦٩هـ —
كان رحمه الله خاتمة المحدثين وإمام المفسرين لا يجادله أحد إلا أقحمه
ولا يناظره جاحد إلا خذله كان رحمه الله آية من آيات العلم ومعجزة
من معجزات الأدب ولغزارة علمه أنيط به من المناصب الشرعية
والفتاوى العلمية ما هو أهل لها وهي أهل له فضلا على نصبه مدرسا
في مدرسة (جامع الخاتون) وواعظا في جامع مرجان في شهور
رمضان في كل سنة وفي جامع الفضل عصر كل يوم بعد الصلاة
وكانت مجالس وعظه لا تخلو من ولاية وعلماء وقضاة ووجوه واعيان
فضلا على جماهير الناس المحتشدة في كل مكان بالجامع.

وظل شيخنا النائب يتمتع بثقة الولاية وبرقى إلى أعلا المناصب بين
تدريس وإفتاء وحكم وقضاء، وعضويتي مجلس الإدارة والعلمي نظارة
الأوقاف وبذلك أسدى للحكومة خدمة جليلة مما جعل السلطان عبد

الحميد أن يمنحه رتبة (ازمير) بعنوان أقضا القضاة بموجب فرمان شاهاني مؤرخ في يوم الأول من جمادي الآخرة سنة ١٣١٥هـ — كما منحه رتبة (الحرمين الشريفين) وهذه أيضا بموجب فرمان شاهاني مؤرخ ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٢١هـ وكذلك منحه السلطان محمد رشاد رتبة (أدرنه) بعنوان اقضى قضاة المسلمين بموجب فرمان شاهاني مؤرخ سنة ١٣٢٥هـ وقد حاز أوسمة مرصعة رفيعة الشأن قدمت له بحفلات رسمية.

لقد عاش شيخنا النائب وروحه تواقا إلى الأعمال الخيرية ورفع مستوى العلم فشيّد ثلاث مدارس من خالص ماله (الأولى) في محلة الفضل كما نوهنا آنفا (والثانية) جنب دار ضيافته في (الراشدية) واختار لها مدرسا الشاعر معروف الرصافي وخصص له راتبا من خالص ماله (والثالثة) في قرية (الجديدة) ولكرمه الحائمي وهب تلك المدارس إلى الحكومة لتكون تحت رعايتها فشكرته الحكومة وتقبلتها منه قبولا حسنا وهي لا تزال إلى الآن، وفوق كل هذا فقد دفعته غريزته العلمية والاحتلال ضارب إطنابه في جميع أنحاء العراق للسعي في فتح مدرسة أهلية التي هي اليوم تسمى (مدرسة التفيض) وبعد أن كابد المشاق وجابه الصعاب حصل الاجازة بفتحها وذلك سنة ١٩٢٠م وبعد إخماد الثورة العراقية وتشكيل حكومة وطنية اختير لرئاسة محكمة الصلح ببغداد وهي أول محكمة تشكلت بعد الاحتلال وتعيينه لهذه اكبر دافع على الأخذ بيد الأهليين وخلصهم من تعسف المحتلين واختير لمنصب رئاسة التمييز الشرعي سنة ١٩٢٤هـ — كما اختير لتدريس تفسير القرآن الكريم بجامعة آل البيت وبقي يدرس فيها إلى أن سدت.

إن كثيرا من الناس من يظن أن ليس لشيخنا النائب مؤلفات علمية وهذا خلاف ما يظنون فلقد ألف كتباً قيمة وحواشٍ ثمينة ومنظومات غالية ولكن النفس الخبيثة واليد الأثيمة سرقتها ضمن الكتب التي سرقت من خزانة كتبه وشاء الله أن يفضح ذلك السارق فقد عثر على بعض الكتب المسروقة لدى ملا خضر بائع الكتب في سوق السراي ولما علم شيخنا النائب بذلك قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وتمثل بهذا البيت بعد أن عرف السارق!

رب من ترجو به دفع الأذى سوف يأتيك الأذى من قبله

وقيل لشيخنا النائب في حديث جرى بمجلسه العامر حبذا لو أكثر في التأليف العلمية لأنها هي التراث الخالد فسكت ثم قال مرتجلاً:

عاق تدريسي عن التدريس لكن فبهذا لست أني متأسف

من تلاميذي الفت كتاباً كل فرد هو بالعلم مؤلف

وهكذا ظل شيخنا النائب يبث العلوم وتعليم الناس معالم دينهم وإرشادهم بالحسنى إلى الخير والسعادة حتى أخذت آثار المرض تبدو عليه فاوهم قواه وفي ظهيرة يوم الخميس ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٥هـ فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها وانطوت صحيفة أعماله العلمية من سجل الحياة وفوجئ العالم الإسلامي بخبر وفاته فشق نعيه على جميع الناس وشيع جثمانه بالتهليل والتكبير بصورة ما رأت بغداد مثله واجتازوا به شارع الرشيد حتى انتبهوا به إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وبعد أداء الصلاة عليه عادوا به إلى مقره الأخير في جامع الفضل ودفن في الروضة المقابلة لروضة الإمام محمد الفضل

واقیم له مجلس فاتحة في الجامع المشار إليه وقد تلیت في مجلس
الفاة عدة قصائد لجمهرة من الشعراء وقد أرخت عام وفاته بقولي:

أي رزء أودى بشعب العراقی ومصاب قد عمّ في الأفاق
هو فقد الإمام العالم الحبر وشيخ العلوم بالاتفاق
قد قضى نحبه وراح مطيعا ومجيبا لدعوة الخلاق
ياله الله من فقيد عظيم قد رقت روحه لأعلى المراق
فهنيئا له بدار نعیم قد خلت من دسائس ونفاق
علمه الجم بعده سوف يبقى كبقاء السبواد في الأحداق
لم يمت فضله وقد أرخوه فضل عبد الوهاب بالصحف باق

١٣٤٥هـ

وبعد مضي أربعين يوما لوفاة شيخنا المرحوم عبد الوهاب النائب
أقيمت له حفلة تأبين كبرى في جامع الفضل اشترك فيها خيرة الشعراء
والكتاب وقد أقيمت فيها قصيدة وهي:

ترحل صاحب الفضل العمیم وخلف في القلوب لظى الجحيم
مضى عنا وكان العیش غضا بجانب ذلك الفذ الرحيم
ومادت راسيات الأرض حزنا عليه وقد هوت زهر النجوم
وقد فاضت عليه كل عين ولم تنج القلوب من الكلوم
ووجه الشمس أضحى مكفهرًا يمثل صورة الخطب الجسيم
وبيت الفضل أمسى وهو قفر فليس بربعه غير الرسوم
فلا نطق سوى نوح فجيع ولا صوت سوى ناع مقيم
بكى العلم الشريف على شريف بكى الرأي الحكيم على حكيم
بكى الوطن العزيز على عزيز بكى العزم الشديد على الزعيم

بكى الكرم المضاع عليه دوما
 فلا عجب إذا ما راح يبكي
 فقل للشائمين من الأداني
 فلم يرحل لأمر دنيوي
 وقل للحادثات من الليالي
 فبعد النائب الشهم المفدى
 وبعده من يحيى الوفد عنا
 وبعده من يرد الخطب عنا
 وبعده من يرى أمر الأيامي
 ومن للشرع بعد أبي (حسين)
 ومن للشعر بعد أبي (علاء)
 ومن للزهد بعد أبي (كمال)
 ومن للفضل بعد أبي (جلال)
 أبا (حسن) إذا ما غبت عنا
 لقد عفت الحياة ونحن فيها
 وحقك ما الحياة حياة عز
 خيار الناس تلقاهم نياما
 فكيف يطيب عيش في بلاد
 تنعم في الجنان فأنت فيها
 بدمع قد حكى هطل الغيوم
 فقد يبكي الكريم على كريم
 شماتتكم على خطاء عظيم
 ولكن حن للوطن القديم
 لقد بلغت ويحك ما ترومي
 فمن يرعى الجوار من الحريم
 ويلقى الضيف بالثغر البسيم
 ويدفع عدله كيد الخصيم
 ومن يرثى إلى حال اليتيم
 ومن للعلم بعد أبي العلوم
 وصوت الشعر أصبح في وجوم
 ومن يحمي حمى الدين القويم
 وصرح الفضل أصبح كالهشيم
 فذكرك (خالد) عند العموم
 نكابد لوعة العيش النذيم
 تطيب لكل شيطان رجيم
 على مضض كأصحاب الرقيم
 يذل بها الكريم إلى اللئيم
 مدى الأيام في عيش نعيم

الشيخ محمد حسن كبة:

هو العالم الأديب والشاعر الأريب والرجل الفذ الذي جمع من الصفات ما لا يمكن لغيره فقد عرف انه من العلماء الأعلام ومن الفقهاء المبرزين في بغداد. وانه أديب نابه وشاعر مخلق دلت مساجلاته الشعرية التي كانت تجري بينه وبين أقرانه من فطاحل الشعراء كالحبوبي والعمري والسيد حيدر الحلبي من مساجلات أدبية وقصائد شعرية ومراسلات نثرية تدل على بعد غوره وتضلعه في هذه الفنون. وما كتاب العقد المفصل الذي ألفه الشاعر المعروف المرحوم السيد حيدر الحلبي في الشيخ محمد حسن كبة. والذي يعتبر بحق انه من خيرة كتب الأدب التي الفت في العراق ومن يرجع إلى الكتاب المذكور الذي طبع في عام ١٣٣١هـ في بغداد يجد فيه مرجعا خصبا للحركة الأدبية في العراق عامة وفي بغداد خاصة في القرن الثالث عشر واولئل القرن الرابع عشر الهجري. كان لأسرته الكريمة التي أحرزت في بغداد خاصة مكانة مرموقة ونفوذا كبيرا في المجتمع ولدى الولاية وأرباب الدوائر. لما لها من أياد كبيرة على الناس وخيرات كثار تشهد لهم ماتركوه من آثار لاتزال حتى اليوم يشار لها بالبنان. فما هذه الخانات التي أنشئت في القفار لتكون مأوى لقوافل الزائرين لمراقدة الأئمة الأطهار. يجدون فيها الماء والسكن والامان.

وكان لهذه الأسرة دور كبير في خدمة الحركة الأدبية أثناء القرن المنصرم فقد تبنوا الأدب، وكان عميدهم المرحوم والد المترجم الحاج محمد صالح المتوفى سنة ١٢٨٨هـ واخوته المهدي المولود سنة

١٢١٩هـ والمتوفى سنة ١٢٧١هـ والحاج محمد رضا المولود سنة
١٢٤٥هـ والمتوفى سنة ١٢٨٢هـ والحاج مصطفى المولود سنة
١٢٥٥هـ.

كان لهؤلاء فضل يذكر ومكانة مرموقة في الواجهة والتجارة ولكن
الشيخ محمد حسن عرف بالفقه والشعر والأدب.

ولد المرحوم في رمضان سنة ١٢٦٩هـ. ولدى انصرافه عن
التجارة إلى دراسة الفقه سكن مدة في سامراء أيام الشيرازي الكبير
وبعده درس على الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية
وقضى أكثر من عشرين عاما منقطعاً عن التأليف في الفقه
والأصول، وتوفي في الحادي عشر من رمضان سنة ١٣٣٦هـ وكان
لوفاته وقع شديد وأسف عظيم من الجميع.

كانت له مساجلات شعرية وقصائد مشتركة بينه وبين أقرانه من
الشعراء تجد ذلك في كتاب العقد المفصل وديوان الحبوبى وديوان
العمري. وشعر المترجم جامع بين الرقة والمتانة ونقاء الديباجة والجزالة
تقرا فتحس كأنك تقرا ابن سناء الملك وتارة كأنك تقرا أبا فراس
الحمداني.

هكذا وصفه الدكتور مهدي البصير في كتابه (نهضة العراق الأدبية
في القرن التاسع عشر). ومن شعره منشوقاً إلى بغداد:

أرحها أيها الحادي على مغنى ببغداد
وطارحها أحاديث هوى فت بأعضاد
وقرط سمع داعيها بإنشاء وإنشاد

بحيث رياضها بلاد والسفي زهرة النادي
بروحي أنت من ألف وان عز لك السفادي
فصل مضناك تغليسا وزور من غير ميعاد
هزأت فليس غير المجد لسفيا ببغداد

الشعراء المبرزون في عهد الدستور العثماني

جميل صدقي الزهاوي:

شاعر عبقرى وفيلسوف عظيم ولد سنة ١٢٨٠هـ يقابلها سنة ١٨٦٣م أيام الوالى نامق باشا الكبير تربى فى بيت علم بكنف والده العلامة محمد فيضى الزهاوى مفتى العراق فكان جميل الشاعر وكان جميل الفيلسوف وبعد إعلان الدستور العثمانى استبشر جميل خيراً بإعلانه فسافر من بغداد والقى عصا ترحاله فى استانبول دار السلطنة العثمانية وعين أستاذاً فى المكتب الملكى أى المدرسة الملكية للفلسفة ومدرسا فى جامعة (دار الفنون) للآداب العربية.

ولم تدم إقامته هناك لمرض ألم به فعاد إلى بغداد واشترك فى الانتخابات النيابية مرشحا عن حزب الاتحاد والترقى فاز بالأولى بنياية (المنتفك) والثانية ببغداد ووقف وقفته المشهورة فى ساحة مجلس النواب باستانبول فى جلسة ٢٩ حزيران سنة ١٩١٤م مطالبا إدخال اللغة العربية فى المحاكم التى تشكل فى ولاية بغداد وقد لقى المتعصبون من (المبعوثان) أى أعضاء مجلس النواب هجوما عنيفا من الزهاوى ففي ذات مرة كان المجلس يبحث فى ميزانية البحرية فقرر أن تخصص مبالغ إلى موظفين يقومون بتلاوة بعض الأحاديث النبوية الشريفة من (البخاري) دفعا للخطر الذى يداهم الأسطول العثمانى فاعترض الزهاوى على ذلك وقال بتهكم أيها السادة أن البواخر تسير بالبخار

وليس بالبخاري فضج المحافظون سخطا واستنكارا، وخطب الزهاوي في مناسبة أخرى فقال لقد جاء في الآية الكريمة (إن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ليس هم العباد النساك إنما القصد هم الصالحون لأعمارها فارتفعت أصوات المعممين تطالب بإخراج هذا الزنديق من المجلس، ومع هذا لم تلهه لاهية عن طلب حق العرب المغصوب وهو في المجلس رغما على نزعته الاتحادية ولما شبت نار الحرب العالمية الأولى وخرج العراق من الحكم العثماني ودخل في حكم الإنكليز راح الزهاوي يسايرهم ويجاملهم فمدح الإنكليز ليبعد عن نفسه تهمة الولاء للعثمانيين فيقول:

أحب الإنكليز واصطفاهم	لمرضي الإخاء من الأنام
جلو في الملك جلوة كل ظلم	بعدل ضاء كالبدر التمام
تبصر أيها العربي واترك	ولاء البعض من قوم لئام
ووال الإنكليز رجال عدل	وصدق في الفعال وفي الكلام

وقد لازم الزهاوي أواخر أيامه سخط عميق ولم ينفك لسانه من التذمر إلى أن وافاه الأجل المحتوم وذلك سنة ١٣٥٥هـ يقابلها سنة ١٩٣٩م وشيع جثمانه إلى مقره الأخير في مقبرة الإمام الأعظم فوقف الشاعر معروف الرصافي على حافة قبره وأبته بأبيات وهي:

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى	مثل ميت وصرت بالموت حيا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر	ناطق بالبقاء لم تخش شيئا
أنت في الفضل عشت حيا وميتا	حزت في الحالتين ذكرا عليا
سوف ابكي عليك شجوا وأنى	كنت أبكيك في الحياة شجيا

وقد أرخت عام وفاته بقولي:

لا تندبوا شيخ القريض فانه	يغنيه منكم في الممات عويل
فلقد تولته العناية فاغتدى	له في فراديس الجنان مقيل
طوبى له في جنة قد ازلفت	رضوانها للمتقين يقول
مذ تاب تاب الله عنه أرخوا	نال الرضاء من الإله جميل
	١٣٥٥هـ

معروف الرصافي:

لقب الشاعر معروف الرصافي نسبة إلى جانب الرصافة بمدينة بغداد ولد سنة ١٢٩٣هـ يقابلها ١٨٧٦م أيام الوالي عبد الرحمن باشا وبعد أن ترعرع ونشأ التحق بالمدارس العلمية وقد غلب عليه حب الشعر فقرضه فكان ريحانة أوانه وجمانة أقرانه.

وقد ظهر في شعره الكوني والفلسفي نزعات قوية دالة على عمق تفكره كما أبان شعره الوصفي عن دقة وقوة تصوير الأشياء أما شعره السياسي والاجتماعي فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة التي تدل على انه كان سياسيا بل كان من الطراز الأول في جيله يتمنى الخير لبلاده ولقومه بل للعرب جميعا وفي سنة ١٣١٨هـ يقابلها ١٩٠٠م أيام الوالي نامق باشا الصغير عين مدرسا للآداب واللغة العربية في مكتب الإعدادي العسكري وظل مواضبا فيه حتى إعلان الدستور العثماني فطلبه صاحب جريدة (إقدام) التركية للتحريض في جريدة عربية باسم (الإقدام) تضاهي جريدة (إقدام) التركية فذهب إلى استانبول وبقي

مدة فيها ثم عاد إلى بغداد لعدم إصدار الجريدة المذكورة وظل يواصل سعيه ويناضل بكل جدارة وإخلاص فانتخب (مبعوثاً) أي نائباً عن لواء (المنتفك) ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى ودخل الحلفاء إلى استانبول وبعد إعلان الهدنة في ٢٦ المحرم سنة ١٣٣٧ هـ يقابلها ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ م خرج من استانبول وحل في الشام، وفي سنة ١٩٢١ م رجع إلى بغداد وبقي فيها إلى الحكم الوطني. وقد آلى على نفسه الأبية أن لا ينخدع بزخرفة الدينار العراقي، وبعد أن سئم المقام في بغداد اختار مدينة (الفلوجة) مسكناً له، وفي أواخر أيامه عاد إلى بغداد وسكن في الأعظمية يعاني البؤس والشقاء متمسكا بعقيدته إلى أن داهمه المرض، وفي ربيع الثاني سنة ١٣٦٥ هـ يقابلها سنة ١٩٤٥ م توفي وشيع جثمانه بدموع الأدباء وحسرات الشعراء ودفن في مقبرة الإمام الأعظم حسب وصيته وقد أرخت عام وفاته بقولي:

قضى رب القوافي الغر نجبا	فوالهفي على رب القوافي
قضى من بعدما قد كان فيها	يخلق بالقوادم والخوافي
قضى والفقر حالفه بعنف	يلزمه بوضع غير خاف
أقول لمعشر نبذوه جهرا	أما فيكم له خل موافي
امثل الشاعر المعروف يبقى	رهين البيت في عيش كفاف
فقم واندب مآثره وأرخ	بعدم مات معروف الرصافي
	١٣٦٥ هـ

العلامة الشيخ محمد رضا الشيببي:

علم من أعلام الفضيلة والعرفان يرفرف عاليا في الأدب الرفيع يرد طرفه حاسده النجم الوهاج الرائي إليه خاسئا وهو حسير.

علم شامخ سامي الذرى قمته أفنان الفنون الجميلة واعشوشبت في سفوحه أزهار العلم والأدب النضير.

عالم فاضل اعترفت الحقيقة له بلسان القلم الذي هو باريه بأنه في بديع بيانه قل من يجاربه في مبتكرات معانيه.

هذا هو فتى النجف الأشرف ولد في ٦ رمضان المبارك سنة ١٣٠٦هـ ونشأ في بيت علم وأدب في حجر من أورثه شهما وإباء.

شب الشيببي وأستهل دراسته العلمية على كثير من العلماء الأعلام حتى أصبح دعامة من دعائم النهضة العلمية والوطنية في العراق وانتدب أثناء انعقاد الصلح في مهمة خطيرة الشأن في الحجاز فقام بأدائها خير قيام على أثر وصوله إلى مكة المكرمة في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٣٧هـ ثم فارق الحجاز إلى الشام وغرضه درس المسألة العربية هناك وظل فيها إلى أن نشبت الثورة العراقية ففارق دمشق قافلا إلى العراق بطريق البادية يوم الأربعاء ١٤ صفر سنة ١٣٣٩هـ يقابلها ٢٧ تشرين أول سنة ١٩٢٠م ووصل بغداد في ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٩هـ حيث أقبل على استئناف العمل المثمر في الدرس والبحث والتفكير والتأليف وهو الآن يتمتع بحياة علمية زاهرة في بغداد.

ومن غرر قصائده الشعرية قصيدة (باطل الحمد ومكذوب الثنا) وهي:

فتنة الناس وقينا أفتنا
باطل الحمد ومكذوب الثنا

رب جهم حولاه قمرا
أيها المصلح من أخلاقنا
كلنا يطلب ما ليس له
ربما تتجنبنا مخضرة
لم تزل ويحك يا عصر أفق
حكم الناس على الناس بما
فاستحالت وأنا من بعضهم
أخطأ الحق فريق بئس
إننا نجني على أنفسنا
بلغ الناس الأمانى حقه

*

خسرت صفقتكم من معشر
أرخصوه ولو اعتاضوا به
يا عبيد المال خير منكم
إنني ذاك العراقي الذي
إنني اعتد نجدا روضتي

*

أيها الجيل اكتشفت لي حاضرا
ينهض الشعب فيمشي قدما
حالة النفس التي تسعدنا
ففقير من عناء طمع

وقبيح صيراه حسنا
أيها المصلح الداء هنا
كلنا يطلب ذا حتى أنا
أربع في الأصل كانت دما
عصر ألقاب كبار وكنى
سمعوا عنهم وغضوا الأعين
أذني عينا وعيني أذنا
لم يلومونا ولا مومنا
حين نجني ثم ندعو من جنى
وبلغناها ولكن بالمنى

*

شروا العار وباعوا الوطن
هذه الدنيا لقلت ثمننا
جهلاء يعبدون الوثنا
ذكر الشام وناجى اليمين
واری جنة عدني عدنا

*

كلما خرب ماضيك بنى
لو مشى الدهر إليه ما انثنى
وتريها كل صعب هينا
وغني من يرى الفقر غنى

الحاج عبد الحسين الأزري:

شاعر وكاتب جال جولة في ميدان الصحافة قبل الحرب العالمية الأولى فظهر كاتباً فاضلاً وحام حول الشعر بعد الحرب فاسمعنا شعراً معجباً أنساناً أن ناظمه كاتب مجيد وترى قصائده التي ينظمها وينشدها في محافل العراق رنة استحسان لما تضمنته من العواطف الرقيقة والاحساسات الطيبة فضلاً عن سلاستها واتساق معانيها.

ولد الأزري في ربيع الأول سنة ١٢٩٨هـ ونشأ فيها وقد تخرج في حدائقه من المدارس الابتدائية ثم درس على الشيخ شكر قاضي الجعفرية شيئاً كثيراً من علوم الأدب والدين ونظم الشعر وعمره ١٥ سنة ودخل حزب (الائتلاف) بعد إعلان الدستور واشتغل في الصحافة وانشأ في سنة ١٩٠٩م جريدة (الروضة) وفي سنة ١٩١٠م انشا جريدة (مصبح الشرق) وفي نفس السنة انشا جريدة (المصبح الأغر) وقد نفي إلى بلاد الأناضول (قيسرى) مع من نفي من الأحرار والمنورين لاشتغاله في القضية العربية وانضمامه إلى حزب (اللامركزية) الذي كان مركزه في بيروت وهو يحسن اللغة الفرنسية وكان يمقت السفور ويتحامل عليه ويناصر الحجاب ويرغب فيه وعلى اثر قصيدة (المرأة في الشرق) التي نظمها المرحوم معروف الرصافي وانشدها على أحد مسارح بغداد نظم قصيدة بعنوان (الكتاب والحجاب) وهي:

أمنازل الخفريات بالزوراء	لازعزعتك عواصف الأهواء
قري فانك للفتاة أريكة	ضربت سراقها على النجباء
لا تحزني مما رماك به الهوى	ظلما وظنك معقل الإسراء

أين الاسارة من عفاف طاهر

أين المعامل من كناس ظباء

* * *

أكرمة الزوراء لا يذهب بك
أو يخدعك شاعر بخياله
حصروا علاجك بالسفور ومادروا
أولم يروا أن الفتاة بطبعها
من يكفل الفتيات بعد ظهورها
ومن الذي ينهى الفتى بشبابه
ليس الحجاب بمالغ تهذيبها
أولم يسغ تعليمهن بدون أن
ويجلن ما بين الرجال سوافرا
فكأنما التهذيب ليس بممكن
وكأنما الإصلاح عز بناؤه
أن المسارح لا تدير شؤونها
مثل بها دور الفضيلة أنها
وانظر إلى شان المحيط وأهله

النهج المخالف بيئة الزوراء
أن الخيال مطيعة الشعراء
أن الذي حصروه عين الداء
كالماء لم يحفظ بغير إناء
مما يجيش بخاطر السفهاء
من خدع كل خريفة حسناء
فالعلم لم يرفع على الأزياء
يملان بالأعطاف عين الرائي
بتجاذف الأرداف والأثداء
إلا إذا برزت بدون غطاء
ما لم يشيد مسرح بنساء
من كلفت برعاية الأبناء
تغنيك عن تمثيل دور أباء
كيلا تفوتك حكمة الحكماء

* * *

نص الكتاب على الحجاب ولم يبح
قل لي فماذا يصنع العلماء لو
ماذا يربيك من حجاب سائر
ماذا يربيك من أزار مانع
ما في الحجاب سوى الحياء فهل

للمسلمين تبرج العذراء
نزهتهم عن سيرة الجهلاء
جيد المهارة وطلعة الذلفاء
وزر الغواد وضلة الأهواء
من التهذيب أن يهتكن ستر حياء

هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى لو اصدقتك ضمائر الجلساء
شيد مدارسهن وارفع مستوى أخلاقهن لصالح الأبنساء
وافحص عن الأخلاق قبل حجابها اوما سمعت بطائر العنقاء
اسفينة الوطن العزيز تبصري بالقعر لا يغرك سطح الماء
وحديقة الثمر الجني ترصدي عبث اللصوص بليلة ليلاء
وظل الازري يمرح في رياض الشعر ويطير في سماء خياله إلى
أن توفي في ١٧ كانون الأول سنة ١٩٥٤م ودفن في النجف الاشرف.

عبد الرحمن البناء:

كان البناء شاعرا مطبوعا -كما وصفه الأستاذ محمد بهجة الأثري- وكان ينظم الشعر في الفخر والمديح والرثاء والتنهاني ولما أعلن الدستور العثماني اخذ ينظم القصائد السياسية والاجتماعية وسطع نجمه فكان ثالث اثنين لجميل الزهاوي ومعروف الرصافي فبال منزله شجعتة على مثابرة النظم.

وبعد أن طبع ديوانه الجزء الأول ذاع صيته واشتهر وظل يكافح ويناضل حتى احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني وحينما اندلعت نار الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ م ساهم فيها واعتلى منابر الحفلات واخذ يزار بوجه المحتل غير هياب ولا وجل، وعلى هذا لقب (بشاعر الاستقلال) حتى أقعده المرض المزمن وظل رهين داره يعاني الآلام التي ألمت به، وفي ٥ شوال سنة ١٣٧٤هـ يقابلها سنة ١٩٥٥ توفي

رحمه الله عليه وريثته بقصيدة أرخت بها عام وفاته وطبعت بعد مضي
أربعين يوما لوفاته بجريدة الزمان وهي:

خرست لسعيك ألسن الفصحاء	وبكت لفقدك أعين الأدباء
وروى الرواة حديث شعرك مرسل	متحليا بروائع الإنشاء
شعر به أوحى نهاك فصغته	من مصدر الإلهام والإحشاء
شعر رصين محكمات آياته	قد ركبت من جواهر الآراء
في حسن مطلعك ومسك ختامه	يبدو كقطر سحابة وطفاء
قد زاحم الشعري العبور شعاره	وعلت مكانته على الجوزاء
صوت فيه في المحافل داعيا	أيام كان الصوت للأعداء
كم صك مسمعهم بقوة لفظه	واطال محنتهم بحسن أداء
واراع (لندن) في صواعقه التي	أرسلتها تترى بلا إبطاء
دافعت عن شعب نشأت بربعه	حرا بلا زهو ولا خيلاء
عاهدت نفسك أن تكون له الفدى	والشعب لا يرقى بغير فداء
وبنيت صرح المجد في عليائه	والفخر كل الفخر للبناء
أذهب لقد قضيت واجبك الذي	أديته للشعب خيـر أداء
أذهب فذكرك في البرية خالد	كالبدري سفر واضح اللألاء
أذهب أخي فأنني بك لاحق	فلقد سئمت بذى الحياة بقائـي
ما كان ظني أن يداهمك الردى	قبلي وظني أن تصوغ رثائي
لا تعتبن على الزمان فانـه	زمن غدا يمشي مع الجهلاء
فلئن قضيت العمر بين معاشر	قد قابلوك بغلظة و جفاء
ولئن شقيت وما بلغت مأربا	فالحر دوما مبتلى بشقاء
ما كنت وحدك في البلاد مضيعا	فيها تقاسي العيش في برجاء

لك في (الرصافي) أسوة وبغيره من خيرة الأدباء والشعراء

* * *

يا ساكن الصحراء بين دوارس	والصمت ملء جوانب الصحراء
ومعانق الأكفان في طي الثرى	بعد اعتكار الليلة الظلماء
فارقت دنيا أرهقتك بجورها	وغنمت اجر الغارة الشعواء
مرت عليك الأربعون وأنت في	نوم عميق بعد طول عناء
نم ملء جفناك أمنا ومنعما	ناء عن الشحناء و البغضاء
في مرقد يكفيك من حسناته	أن ليس جنبك في الحديث مرائي
في ساحة الفردوس بين رياضها	في المقعد الأسمى مع الشهداء
أرخت بيتا بالعلاء مقـرره	رفعت قواعده إلى أناء

١٩٥٥م

إعلان الحرب العالمية

تعيش بغداد في هذا الدور باطمئنان ورخاء مستمر وفي
١١ رمضان سنة ١٣٣٢ هـ يقابلها ١٣ آب سنة ١٩١٤ م بينما الناس
آمنون وعاكفون على صلاتهم معتزين بصيامهم إذا الحكومة العثمانية
تفاجئهم بإعلان النفير العام بمناسبة إعلان الحرب العالمية المعروفة عند
أهل بغداد (بالسفر بر) وقد شاهدنا على الجدران ألواح مخطوطة بالقلم
العريض (سفر برلك وار) أو (وان) وصورت تحت هذه العبارة سيف
وبندقية متعانقان وتحتهما صورة مدفع وسرعان ما غير أهل بغداد
كلمة (سفر برلك) بكلمة (سفر علك) إشارة إلى الهزيمة وان هذا السفر
المشؤوم لم يزل عالقا في أذهان العراقيين عامة والبغداديين خاصة فلقد
ذهب ضحيته ماينوف على العشرين ألف جندي قادم حسام الدين باشا
إلى ساحة (ارضروم) للخوض في غمار الحرب مع (روسيا) فكانوا
فريسة الأمراض الفتاكة والبرد القارص، وهذه المصيبة العظمى
والطامة الكبرى تركت رنة حزن واسى في بيوت بغداد عامة.

غرق بغداد:

في أيام الوالي جاويد باشا والحرب مشتعلة نارها وفي محرم سنة
١٣٣٣ هـ يقابلها ١٥ تشرين الأول سنة ١٩١٤ م ارتفعت مناسيب نهر
دجلة ارتفاعا هائلا استولى الماء على طرق بغداد بصورة لم يسبق لها
مثيل وباتت بغداد على شفا جرف الغرق وفي منتصف الليل حصلت

ضجة والناس يستفزون إخوانهم وابناء وطنهم لمقاومة الماء الذي غمر الدور والمساكن وقد حصل الغرق من جهة الباب الشرقي وكانت حالة مؤلمة فقد صادفت أيام احتلال مدينة البصرة في أيدي البريطانيين، وسبب غرق بغداد أن عزت الفارسي رئيس بلدية بغداد قد أمر برفع السد القديم الذي كان حاجزا لمنع مجيء الماء إلى بغداد وعلى اثر رفع ذلك السد هجم تيار الماء الصاخب على محلة باب الشيخ واغرق بعض دورها المجاورة لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني واخذ يتدفق بسرعة هائلة على المحلات للمقابلة لجامع الشيخ عمر السهرودي حتى غمر المقابر وبعض الدور وكلما حاول الأهليون أن يضعوا سدا فلم يفلحوا واخذوا يعملون سدودا في الأزقة والطرق وماهي الا غمضة عين حتى دخل الماء إلى محلة العزة وانساب إلى سوق الفضل فهناك عاد الصراخ والضجيج والبكاء والعويل.

شيخ سعيد النقشبندي يخطب بالناس:

وقد رأيت المرحوم الشيخ سعيد النقشبندي شقيق العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب واقفا بين جموع النساء والأولاد المحتشدة وهو يحثهم على حمل التراب ووضعها على السد الذي أقيم واذكر انه ألقى خطبة ارتجالية لم أتمكن من ضبطها وقد بكى وأبكى الناس وحمل التراب (بجبهته) ولما رآه الناس وهو يحمل التراب استماتوا على السد والطبول تضرب والصراخ قائم والبكاء والعويل بالغان أشدهما ولكن (لا عاصم اليوم من أمر الله) فقد جرف الماء ذلك السد واندفق حتى وقف

خلف مدرسة الفضل الابتدائية اليوم ولو لم ينخفض نهر دجلة لكان
الوضع على غاية الخطورة وقد ترك أصحاب البيوت التي غمرها الماء
أكثر أمتعتهم في البيوت وذهبوا إلى ما شاء الله فمَنهم من لجأ إلى
الجوامع ومنهم من ذهب إلى جانب الكرخ ومنهم من لاذ بأقربائه
البعيدين عن الخطر وقد شاهدت الأثاث البيتية مكدسة في الماء والناس
في غنى عنهم وبمناسبة هذا الغرق الفضيع أرخ عامه عبد الرحمن
البناء بقوله:

عوذت داري ومن قد حل ساحتها بقل أعوذ برب الناس والفلق
عام به الماء في تشرين حين طغى على الرصافة قد أرخت (بالغرق)
١٣٣٣هـ

إعلان الجهاد:

وبعد أن سقطت مدينة البصرة بيد البريطانيين أصدرت المشيخة
الإسلامية في استانبول فتوى شرعية في كافة الممالك الإسلامية وفي
جوامع بغداد عامة وذلك في ٢٧ المحرم سنة ١٣٣٣هـ — ومضمون
الفتوى مداهمة الخطر المحدث بالبلاد الإسلامية وتدعو إلى لزوم الجهاد
والنفير العام بوجه الأعداء، وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة
بعنوان (الوطن والجهاد) يستنهض بها هم المسلمين على الجهاد ويحثهم
على الدفاع والذود عن حياض الوطن وهي:

يا قوم أن العدى قد هاجموا الوطناً فانضوا الصوارم واحموا الأهل والوطناً
واستنفروا لعدو الله كل فتى ممن نأى من أقاصي أرضكم ودنا

واستنهضوا من بني الإسلام قاطبة
 واستقتلوا في سبيل الذود عن وطن
 واستسلموا للعدا بالصبر واتخذوا
 واستنكفوا في الوغى أن تلبسوا أبدا
 أن لم تموتوا كراما في موطنكم
 لا عذر للمسلمين اليوم أن وهوا
 ولا حياة لهم من بعدما جنبوا
 عار على المسلمين اليوم أنهم
 قل للحسينين في مصر رويدكما
 شايحتما الإنكليز اليوم عن سفيه
 قد بعثما الدين والدنيا مجازفة
 لا تفرحا بالوسامين الذين هما
 قد مثلا منكما للناس قاطبة
 مازان صدركما شيئا بحملهما
 أن الحمية لم تنظر بمقلتها
 ماكان أغلاهما إذ قد غدت لهما
 ستندمان ولا يجديكما أبدا
 حتى تعود إلى مصر كرامتها
 لازلت يا وطن الإسلام منتصرا
 يرد عنك يد الأعداء خاسرة
 سعديك من وطن جلت مفاخره
 تالله أن معاليك التي سلفت

من يسكن البدو والأرياف والمدنا
 به تقيمون دين الله والسنننا
 صدى العزائم في تدميرهم جنبنا
 عار الهزيمة حتى تلبسوا الكفنا
 متم أذلاء فيها ميتة الجبنا
 في هوشة ذل فيها كل من وهنا
 كلا وأي حياة للذي جنبنا
 لم ينقذوا مصر أو لم ينقذوا عدنا
 قد خنتم الله والإسلام والوطنا
 تالله ما كان هذا منكما حسنا
 فكنتما في البرايا شر من غبنا
 طوقا اسارة مصر فيكما اقترنا
 عجلا أضل الورى من قبل أو وثنا
 بل اصبحا في كلا صدركما درنا
 إلى وساميكما إلا بكت حزننا
 جزائن النيل في أيدي العدا ثمننا
 إذ تقرعا السن أو أن تقبضا الذقنا
 ويظهر النيل من ماء به اجنا
 بالجيش يزحف من أبنائك الامنا
 ويكشف الغم عن اقيقك والمحنا
 عن الزوال فلا يحشى بلى وفنا
 تعيي الفصاحة والتبيان واللسنا

كم قد أقمت على الأيام من شرف
أنا نحبك حبا لا انتهاء له
نفديك منا بأرواح مطهرة
إذا دهتك من الأيام داهية
وان فتنت بإحدى المزعجات نرق
فقر عينا وطب نفسا وعش أبدا
ورب مستصحب قد قال يخبرني
فقلت دع عنك هذا انه خبير
أن العراق لعمر الله مسبعة
دون الوصول إليه كل مشعلة
فان فيه رجالا من بنى مضر
قوم لقاح أبوا أن يخضعوا أبدا
تحملوا كل عبث في حياتهم
لو أن أماتهم منت على أحد
هم المغاوير أن صالوا بملحمة
بنوا فاعلوا بناء المجد وارتفعوا
فكيف تقعد عن حرب العدا فئة
لنا وانبت في نبع العلا غصنا
يستغرق الأرض والأكوان والزمن
اخلصن الله فيك السر والعلنا
فلا رعى الله عينا تالف الوسنا
منا الدماء إلى أن تخدم الفتنا
وفر بما شئت من حمد وطيب ثنا
أن العدو على أرض العراق دنا
سواه يبعث في أحشائي الشجنا
تواثب الأسد فيها من هنا وهنا
شعواء تترك وجه الشمس مكتنا
إذا تحارب لا تستشفع الهدنا
إلى الملوك وان أعطوهم المؤنا
إلا الصغار وإلا الضيم والمننا
منهم بالبانها لم يشربوا اللبننا
فلا يرون لهم غير المنون مني
به على كل من قد شاده وبنى
أبت سوى العز مأوى والعلى كفنا

☆ ☆ ☆

وقد سافر عدد غير يسير تلبية للجهاد في سبيل الله والإسلام على
أثر تلك الفتاوى الشرعية. أتذكر منهم السيد عبد الكريم آل السيد حيدر
وجماعة في معيته منهم الحاج سلمان أبو التمن والحاج داود أبو التمن
وغيرهم من الوجوه والأشراف.

أول طائرة إنكليزية فوق بغداد:

وفي يوم الأربعاء ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٤هـ - يقابلها سنة ١٩١٥م شاهد أهل بغداد أول طائرة إنكليزية تحوم في سماء بغداد فأخذهم الرعب والخوف من مشهد تلك الطائرة وإنها غدت حديث كل اثنين ولم يحدث منها ما يكدر الأمن.

إعدام أشخاص صلبا في بغداد:

وفي سنة ١٣٣٤هـ - يقابلها سنة ١٩١٥م اعدم أشخاص صلبا في محلة راس القرية ببغداد ومنهم التاجر يوسف شكوري وكامل عبد المسيح وقد احدث صلبهم رهبة في قلوب أهل بغداد وقد شاهدت على صدر كل واحد منهم (فرمان) درج فيه ثبوت جريمة التجسس التي اقترفوها.

القائد الألماني غولج باشا:

وفي أواخر المحرم سنة ١٣٣٤هـ - يقابلها سنة ١٩١٥م ورد إلى بغداد القائد الألماني فوندر غولج باشا وعين لقيادة الجيش السادس وأجريت المراسيم المعتادة له وكان هذا القائد معروف بعمله وقدرته الخربية ومن المشهور عنه أن فيلقه في جبهة (الفلاحية) دحر جيش الإنكليز المرابط فيها فظل القائد غولج باشا يشدد الخناق بخططه

الحربية على الجيش البريطاني المرابط هناك حتى توفي في ٢٦ جمادى الأخرى سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م على اثر مرض ألم به لازمه عدة أيام وجرى دفنه باحتفال رسمي مهيب اشترك فيه جميع رجال الدولة العثمانية من عسكريين وملكيين ودفن في المحل الذي اعد له في باب الشرقي محل بيع البانزين اليوم ثم نقل إلى مقره الأخير وانطوت صحيفة هذا القائد العظيم.

انتحار القائد سليمان عسكري:

وبعد ان جرح القائد سليمان عسكري بك في هجومه الذي شنّه على الإنكليز نقل إلى بغداد للتداوي في المستشفى العسكري (خسنة خانة المجيدية). ولم يمكث في المستشفى غير أيام قلائل حتى عاد إلى سلاحه الحرب وقد شوهد هذا القائد راكبا عربة ولا يزال مضطربا من جرحه ينتقل من مكان إلى آخر فيسوق الجيش ويدربه وبعد أن رأى الجيش على شفا جرف هرب مولي الأديار وان معنويته قد ضعفت انتحر سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م وانمى اسم هذا القائد من صحيفة أعماله المملوءة بالأغلاط الحربية.

استشهاد محمد فاضل باشا الداغستاني:

في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م نال رتبة الشهادة الفريق المجاهد محمد فاضل الداغستاني بعد أن أبلى بلاء حسنا

في ساحة الحرب رضى به الله والوطن. ومحمد فاضل باشا غني عن التعريف فهو اشهر من نار على علم في بسالته وبطولته وان صحائف أعماله الناصعة تشهد له أمام الله.

وقد نقل جثمانه من ساحة الحرب إلى بغداد وأجريت له المراسيم العسكرية وحضر تشييع جثمانه جميع رجال الدولة من عسكريين وملكيين وعزلت الأسواق وبكاه الناس بدموع الحزن والأسى لما كانوا يعهدون به من شهامة عربية والحرص على مصالحهم وقد اشترك في تشييع جنازته نساء جميع محلات بغداد على اختلافهن وشاهدت جمهرة من النساء خلف النعش صارخات حاسرات يندبن قائلات (وين أبو داود وبنه) ودفن في مقبرة الإمام الأعظم وقد أرخ عام وفاته العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقوله:

أن القبور تباشرت بمحمد	الفاضل النذب الكريم الأمجد
في المنشأتين له عظيم مفاخر	ودم الشهادة شاهد بالمقصد
ذاك الذي بذل الحياة لدينه	ويلي عليه وويل كل موحد
جبل تسير به الكرام لقبيره	أسفا على هذا الأمير الأوحـد
قالت ملائكة السماء فأرخوا	هذي الجنان إلى الشهيد محمد
	١٣٣٤هـ

الوالي خليل باشا:

بعد أن نجح القائد نوري الدين باشا في مسعاه بانسحابه إلى (سلمان باك) لم يرق للقيادة العامة إبقائه في منصبه وعين القائد خليل باشا واليا

انزل الله في كتاب	وحيه جاء للنبي الرسول
كيف لا والإسلام اومض نورا	من(رشاد) الأنام والتبجيل
ملك خصه الكريم بنصر	ماله في العصور في تحويل
ملك قبلت يديه ملك	فاحتى عرشهم من التقبيل
غرس العدل في البلاد وساوى	بين عال في ماله وضئيل
طود حلم يكاد يستعبد الد	هر بعزم وحد سيف صقيل
حازم الرأي ذو مراس شديد	ثابت الجأش ماله من مثيل
نشره العلم في الخلائق شمس	نجمه الفتح ماله من أفول
ثبت الله عزم جيش رعاه	في جميع البلاد والدردنيل
وبفضل الإله يبقى ملكا	دائما أمنا بظل ظليل

* * *

والشائع عن الوالي خليل باشا انه انهمك انهماكا شائنا في بعض المومسات في بغداد فاستولت عليه ولعبت بعقله وألهته عن الأمر المهم الذي أنيط به وانه قال لها وهو نشوان: (أنا قائد الجبهة وأنت الحاكم المطلق علي) ولم يتجنب مثل هذه الألفاظ التي لا تليق بمنصبه بصفته والي ولاية بغداد وقائد الجيش. هذا هو خليل باشا وقد توفي سنة ١٣٧٧هـ يقابلها سنة ١٩٥٧م في استانبول.

تسليم الجيش الإنكليزي المحصور في الكويت:

وبعد أن حاول الجيش الإنكليزي المحصور في الكويت التخلص من الانحصار فلم يفلح واخيرا في أوائل رجب سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة

١٩١٦م سلم الجنرال (طاوسند) ومعه خمسة جنرالية و ٢٧٧ ضابطا و ٢٧٤ ضابطا هنديا و ١٣٣٠٠ جندي وبذلك عم الفرح والسرور في جميع أنحاء البلاد العثمانية لاسيما في بغداد فقد كان يوم ورودهم إلي بغداد عيدا من الأعياد.

أنور باشا في بغداد:

وبعد أن سلم الجيش الإنكليزي المحصور في الكوت وفي ١٧ رجب سنة ١٣٣٤هـ يقابلها ١٩ مايس سنة ١٩١٦م وصل بغداد وكيل القائد العام وناظر الحربية أنور باشا وأجريت له المراسيم العسكرية ومكث في بغداد ستة أيام تفقد فيها جبهة الحرب وزار العتبات المقدسة وأهدى ضريح الإمام الأعظم وضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني مصاحف ثلاثة رصعت بالماس والياقوت وعاد إلى استانبول.

جادة خليل باشا:

كان في نية العثمانيين من قبل فتح (جادة) أي شارع في بغداد ولكنهم لم يتجرؤا على فتحه لما كان يكلفهم من المبالغ الطائلة ولما أعلنت الحرب وجدوا أن الفرصة قد حانت لفتحه أذلا يستطيع أحد أن يعارضهم ولما شرعوا في فتحه ظلموا كثيرين من الناس وجاروا على الضعيف والذين قدروا أن يرشو من بيده الأمر وجد لهم ألف عذر لعدم هدم داره والتعرض لها، وقد فتح هذا الشارع في أيام الوالي خليل باشا

ويبتدئ الشارع من الباب الشرقي وينتهي في باب المعظم وقد جرى
افتتاحه في ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤هـ يقابلها ٢٣ تموز سنة ١٩١٦م
أي شارع خليل باشا وبني بالجدار المطل على الشارع من جامع السيد
سلطان علي وبعد احتلال بغداد رفع ذلك اللوح وسمي (شارع الرشيد)
وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (الشارع الكبير)
يصف بها هذا الشارع وهي:

نكب الشارع الكبير ببغداد	ولا تمشي فيه إلا اضطرارا
شارع أن ركبت ثنيه يوما	تلق فيه السهول و الاوعارا
تترامى سنايك الخيل فيه	أن تقحكن وعثه والخيارا
فهي تحثو فيه التراب على إلا	وجه حثوا وتقذف الاحجارا
لو ركبت البراق فيه أو البرق	نهارا لما أمنت العثارا
تحسب العابرين فيه سكارى	من عناء تنسموه غبارا
ساطعا يملأ الفضا مستطيرا	حاملا في ذراته الاقذارا
مستجيشا من الجراثيم جيشا	مسيطرا عرمرما جرارا
هو أن رش جاش وحلا وإلا	جاش نقعا على الوجوه مئارا
تصهر الشمس فيه ادمغه القوم	إذا هم تخططوه نهـارا
وإذا ما مشيت في جانبـه	فتجنب رصيفه المنهارا
وإذا ما أرسلت إلى الاطرا	ف لحظا أنكرته انكـارا
لا ترى ما يسرك بالصنعة	حسنا ويبهج الابصارا
بل ترى العين فيه كل جدار	تكره العين أن تراه جدارا
فجدار عال وفي الجنب منه	متدان تقيسـه أشبارا
ودكاكين كالافاحيص تمتد	يمينا بطولـه ويسارـا

أين هذا من الشوارع في	الأمصار زانت بحسنها الامصارا
عبدوها ومهدوها فجاءت	لا اعوجاجا فيها ولا ازورارا
واعدوا بهن كل رصيف	يحمه السير فوقه من سارا
أقاموا لهم بها كل صرح	مشمخر بناؤه اشمخرارا
فعلى الجانبين كل بناء	خيل في الحسن كوكبا قد أنارا
ثم لم يكتفوا بذلك حتى	غرسوا في ضفافها الاشجارا
فوقتهم ظلالها وهج الشمس	وسر اخضرارها الانظرارا
هكذا فلتكن شوارعنا اليوم	والا فما عمرنا الديـار

طائرات إنكليزية تلقي قنابل على بغداد:

في يوم ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٧م ظهرت ثلاث طائرات إنكليزية فوق بغداد وألقت عليها عدة قنابل ألقيت واحدة على (قشلة البيادة) ثكنة المشاة وقد سقطت وراء دائرة البلدية أمانة العاصمة اليوم في دار أيوب جلبي فخربتها وكسرت زجاج شبابيك الدار المجاورة لها وواحدة سقطت في (القلعة) ثكنة المدفعية في الميدان أصابت رجلا فقتلته وآخر جرحته وقد احدث وقع تلك القنابل ضجة عظيمة في بغداد الأمر الذي جعل السكان لا يأمنون على أنفسهم وساورهم الخوف والرعب من جراء ذلك.

سقوط بغداد بيد الإنكليز:

وهكذا شاعت إرادة الله أن تذهب (دار السلام) بغداد عاصمة العباسيين ضياعا ويحتلها الأعداء عنوة فأمرت الحكومة العثمانية بنقل ما لديها من سجلات مهمة ونقود إلى مدينة سامراء. وفي ١٧ جمادي الأولى سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٧م صدر الأمر للموظفين بالنزوح عن بغداد وكنيت أنا من النازحين مع الجنود (الخشنة خانه) المستشفى وعندما وصلنا إلى سامراء شاهدت تلك المدينة الصغيرة وهي تموج بالموظفين العسكريين والملكيين والجنود أيقنت أن بغداد قد ضاعت من أيدي العثمانيين وبقيت في المستشفى والجرحى والمرضى ينهالون علينا وغصت المستشفى بهم وكثرت الوفيات منهم ولعدم وجود كفن (خام) لتكفينهم كنا ندفنهم بملابسهم الملطخة بالدماء رحمهم الله أسكنهم فسيح جناته مع الشهداء الأبرار.

وفي يوم الأحد ١٧ جمادي الأولى سنة ١٣٣٥هـ يقابلها ١١ آذار سنة ١٩١٧م فوجئنا بخبر سقوط بغداد على أيدي الجيوش الإنكليزية! فوقع وقوع الصاعقة علينا وبعد ساعات ظهرت طائرات فسي سماء سامراء ورمت القنابل على محطة القطار ومن فرعنا لذننا في ضريحي الإمامين علي الهادي والحصن العسكري عليهما السلام وذهبت أنا ولذت (بغيبه) الإمام المهدي عليه السلام ووقفت وقلت والدموع تذرف من عيني:

فقم لها يا إمام المسلمين فقد

آن الأوان وخذ في كفك العلم

واصرخ على الشرك وأعلن الجهاد وقل

واحمداه ترى الغبرا تفيض دما

وعلى اثر سقوط بغداد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة

بعنوان (نواح دجلة) وهي:

كل حزن لمائها يمتساح	هي عيني ودمعها نضاح
بيد الذل هالك مجتساح	كيف لا اندرف الدموع وعزي
جلل ما لليلة إصبساح	قد رمتني يد الزمان بخطب
ظلمات تخفى بها الأشباح	حيث غمت علي وجه سمائي
شرف في موطني وضاح	وتواري عن أعيني مضمحلا
عني ولا ظبي ورمساح	يوم أمسيت لا حماة تذود الضيم
لاشراع فيها ولا مساح	فأنا اليوم كالسفينة تجري
قيد شبر إلى الفجاج الفساح	ضقت ذرعا بمحنتي فتراءت
واعتراني من العويل بحاح	نحت حتى رئي العدو لحالي
وخريري هو البكا والنسواح	فمياهي انسكاب دموعي
خفقت في جوانبي الأرواح	أوما تبصر اضطرابي إذا ما
هو مني تنهد وصيـاح	ليس ذا الموج في موجا ولكن
ادمعي أحرقتني الاتساح	أن وجدي هو الجحيم ولو لا
من أسي جف ماؤه الضحضاح	لو درى منبعي لما أنا فيـه
هو بالك ودمعه سفـاح	عله قد درى بذاك فهـذا
نهبة في يد العدو وراحوا	أين أهل الحفاظ قد تركوني
افجد براحهم أم مسـاح	برحوا وادي السلام عجـالا
وعزيز منهم علي انتـزاح	ما لهم يبعدون عني انتـزاحا

للمعادين بعدهم مستباح	أوما يعلمون أن حريمي
لأليهم بوده طمـــــــاح	فلئن يبعدوا فان فـــــــؤادي
ألما ما تطيقـــــــه الأرواح	تركوني من الفراق أقاسي
لبكوا مثلما بكيت وناحوا	لو رأوني سبيا بأيدي الأعادي
يوم بانوا ولا الصباح صباح	لا مسائي بعد البعاد مســـــــاء
بجناح وأين مني الجناح	أتمنى بان أطير إليهم
لم يذوقوا غمضا ولم يرتاحوا	أنا ادري بأنهم بعد هجـــــــري
بجيش به تغص البطـــــــاح	بل هم اليوم عازمون على الزحف
بعدها وثبة له وكفـــــــاح	أن تأنوا فرضة الليث تأتـــــــي
من ودادهم اوضـــــــاح	كيف يقضون من إغاثة واذزانه
وله راية الهلال وشـــــــاح	فعليه من فخر عثمان تـــــــاج
بقلبي ممن أود جـــــــراح	أنا باق على الوفاء وان كانت
بلغيم شكايتي يا ريـــــــاح	فإليهم وهنهم اليوم اشكـــــــو

وبعد احتلال بغداد أخذت الجيوش العثمانية تنسحب من مدينة سامراء ووجهتها مدينة الموصل غير ملتفتة إلى جنودها أبناء العرب فصارت لاتعبا بهم وصاروا يفرون من ساحة القتال ومن مدينة سامراء، أما أنا فلم يطب لي الالتحاق بهم وفضلت العودة إلى بغداد ودخلتها يوم الخميس ١٦ آذار سنة ١٩١٧م ولما شاهدت وضع الاحتلال فيها قلت ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا.

مصير آل عثمان:

ولما ضاع العراق من أيدي العثمانيين دامت سلطنة آل عثمان وهي تتنازع سكرات الموت وعلى عرشها لازال السلطان محمد رشاد، وفي سنة ١٣٣٦هـ يقابلها ١٩١٧م توفي وخلفه على عرش السلطنة وحيد الدين ابن السلطان عبد المجيد.

وعند نهوض الغازي مصطفى كمال (أتاتورك) وتشكيل حكومة وطنية وفي ١١ ربيع الأول سنة ١٣٤١هـ قرر المجلس الوطني التركي إلغاء حكومة استانبول وخلع السلطان وحيد الدين من عرش السلطنة، وفي ٢٠ ربيع الأول من هذه السنة اختار المجلس الوطني التركي ولي العهد خليفة باسم الخليفة عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز وهو آخر خليفة من خلفاء آل عثمان.

وبعد المداولة في الأمر قرر المجلس الوطني قراره الأخير بجعل الحكومة العثمانية حكومة جمهورية وإلغاء الخلافة وانتخب الغازي مصطفى كمال (أتاتورك) رئيسا لها وهكذا انقرضت الخلافة التركية ودامت من سنة ٩٢٣هـ إلى سنة ١٣٤١هـ فيكون عمرها ٤١٨ سنة هـ وفي خلال هذه المدة طرا عليها من القوة والضعف ما طرا على الخلافة العباسية وقد تداولها ٢٩ خليفة منهم وأولهم السلطان سليمان الأول تاسع الملوك العثمانيين وآخرهم الخليفة عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز، فبهذا انطوت صحيفة آل عثمان من سجل التاريخ وأصبحت كان لم تكن بمنطوق الآية الكريمة قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل

من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) صدق الله العظيم وصلى
الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الغر الميامين. حصل
الفراغ منه في منتصف شهر رجب الفرد سنة ١٣٧٧هـ — يقابلها
٥ شباط سنة ١٩٥٨م.

الولاية الذين حكموا بغداد

- الوالي مدحت باشا من سنة ١٢٨٦ هـ الى سنة ١٢٨٩ هـ.
- الوالي محمد رؤوف باشا من سنة ١٢٨٩ هـ الى سنة ١٢٩٠ هـ.
- الوالي رديف باشا من سنة ١٢٩٠ هـ الى سنة ١٢٩٢ هـ.
- الوالي عبد الرحمن باشا من سنة ١٢٩٢ هـ الى سنة ١٢٩٤ هـ.
- الوالي عاكف باشا من سنة ١٢٩٤ هـ الى سنة ١٢٩٥ هـ.
- الوالي قدري باشا من ١٢٩٥ هـ الى السنة نفسها .
- الوالي عبد الرحمن باشا مرة ثانية من سنة ١٢٩٦ هـ الى اواخر سنة ١٢٩٧ هـ.
- الوالي تقي الدين باشا مرة ثانية من سنة ١٢٩٨ هـ الى سنة ١٣٠٤ هـ.
- الوالي مصطفى عاصم باشا من سنة ١٣٠٤ هـ الى سنة ١٣٠٧ هـ.
- الوالي سري باشا من سنة ١٣٠٧ هـ الى اواخر سنة ١٣٠٨ هـ.
- الوالي الحاج حسن باشا من سنة ١٣٠٩ هـ الى سنة ١٣١٤ هـ.
- الوالي عطا باشا من سنة ١٣١٤ هـ الى سنة ١٣١٧ هـ.
- الوالي نامق باشا الصغير من سنة ١٣١٧ هـ الى سنة ١٣٢٠ هـ.
- الوالي أحمد فيضي باشا من سنة ١٣٢٠ هـ الى سنة ١٣٢٢ هـ.
- الوالي عبد الوهاب باشا من سنة ١٣٢٢ هـ الى سنة ١٣٢٣ هـ.
- الوالي مجيد بك من سنة ١٣٢٣ هـ الى سنة ١٣٢٤ هـ وبقي بالوكالة.
- الوالي حازم بك من سنة ١٣٢٥ هـ الى السنة نفسها.

- الوالي ناظم باشا لعدم اتفائه مع رئيس الاصلاحات طلب النقل فنقل.
- الوالي نجم الدين ملا من سنة ١٣٢٥ هـ الى سنة ١٣٢٧ هـ وأودعت بالوكالة الى محمد فاضل باشا الداغستاني.
- الوالي محمد شوكت باشا من سنة ١٣٢٧ هـ وفي السنة نفسها عزل وبقي بالوكالة.
- الوالي الفريق ناظم باشا من سنة ١٣٢٨ هـ الى سنة ١٣٢٩ هـ ثم عزل وأودعت الوكالة الى يوسف باشا.
- الوالي جمال باشا من سنة ١٣٢٩ هـ الى سنة ١٣٣٠ هـ.
- الوالي محمد زكي باشا من سنة ١٣٣٠ هـ الى سنة ١٣٣١ هـ.
- الوالي حسين جلال بك من سنة ١٣٣١ هـ وفي السنة نفسها عزل وأودعت بالوكالة الى محمد فاضل باشا الداغستاني.
- الوالي جاويد باشا من سنة ١٣٣٢ هـ الى سنة ١٣٣٣ هـ ثم عزل وأودعت بالوكالة الى معاون الوالي رشيد بك.
- الوالي سليمان نظيف بك من سنة ١٣٣٣ هـ الى سنة ١٣٣٤ هـ.
- الوالي نور الدين بك من سنة ١٣٣٤ هـ الى السنة نفسها.
- الوالي خليل باشا من سنة ١٣٣٤ هـ الى سنة ١٣٣٥ هـ وبهذه السنة احتل الجيش البريطاني بغداد.

المصادر

- بلوغ الأرب : للعلامة السيد محمود شكري الالوسي
الروض الازهر : للعلامة السيد مصطفى نور الدين الواعظ
تاريخ العراق بين احتلالين : للأستاذ عباس العزاوي
أعلام العراق : للأستاذ محمد بهجه للأثري
لب الالباب : للأستاذ السيد محمد صالح السهروردي
تاريخ يهود العراق : للأستاذ يوسف غنيمة
قلب العراق : للأستاذ أمين الريحاني
العقد المفصل : للسيد حيدر الحلبي
جغرافية العراق : للأستاذ طه الهاشمي
الأدب العصري : للأستاذ روفائيل بطي
ديوان السيد عبد الغفار الأخرس
ديوان السيد عبد الباقي العمري
ديوان السيد جميل صدقي الزهاوي
ديوان السيد معروف الرصافي
ديوان عبد الرحمن البناء
مجلة لغة العرب : للأستاذ انستاس ماري الكرمل
مجلة العلم للأستاذ : هبة الدين الشهرستاني
مجلة الرشاد للأستاذ : رشيد الصفار
مجلة اليقين للأستاذ : محمد الهاشمي

مجلة للأستاذ : احمد عزت الاعظمي
مجلة عصر السلطان عبد الحميد لأبي النصر
مذكرات الجنرال طاووزند
جريدة الزوراء : للحكومة العثمانية
جريدة الرقيب : للأستاذ عبد اللطيف ثنيان
جريدة الزهور : للأستاذ رشيد الصفار
جريدة صدى بابل : للأستاذ داود صليوا
جريدة الرياض : للأستاذ سليمان الدخيل
جريدة صدى الاسلام : للأستاذ عطاء الله الخطيب
تاريخ التعليم في العراق : للأستاذ عبد الرزاق الهلالي

المحتويات

الصفحة

٧	تصدير العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي.....
٩	المقدمة : بقلم السيد ابراهيم الواعظ
١١	تمهيد
١٣	تاريخ بناء مدينة بغداد
١٦	سيرة الولاة العثمانيين واصلاحات مدحت باشا
١٧	مشاريع مدحت باشا
١٧	جريدة الزوراء
١٨	طرق المواصلات
١٩	النقل النهري
٢٢	النقل البري
٢٣	المنتزه العام - مصنع الغزل والنسيج
	المعاهد العلمية :
٢٤	الكتاتيب - مدرسة الصنائع
٢٥	المدرسة الرشدية - المدرسة الرشدية العسكرية
٢٥	المدرسة الاعدادية العسكرية
٢٦	المدرسة الاعدادية الملكية
٢٦	المدرسة الرشدية بجانب الكرخ - المدرسة الحميدية
٢٧	دار المعلمين
٢٨	مدرسة ابتدائية - مدرسة الجعفرية
٢٩	مدرسة تحفة المأمورين - مدرسة ابتدائية ثانية
٣٠	مدرسة الاتحاد والترقي

مدرسة التهذيب للبنات - مدرسة الكاثوليك للكلدان ٣١

مدرسة لورا خضوري ٣٢

المستشفيات :

مستشفى المجيدية ٣٣

مستشفى الغرباء بالكرخ ٣٣

مستشفى الغرباء بجانب الرصافة ٣٤

مستشفى مئير الياس - الاطباء ٣٥

تخطيط بغداد واحوالها العمرانية ٣٧

الرصافة والكرخ ٣٩

ازياء البغداديين ٤١

الحالة الاجتماعية :

المجالس الادبية - لعبة الشطرنج ٤٤

المطارحة والمطاردة - المرأة البغدادية ٤٦

الطوائف في بغداد ٤٩

الصناعات :

الندافة وخياطة الافرشة ٥١

صناعة الغزل والنسيج ٥٢

صناعة الحدادة - صناعة النجارة ٥٣

صناعة السلال ٥٤

اسواق بغداد :

سوق البزازين - سوق القزازين ٥٥

سوق السراجين - سوق الغزل - سوق الصيفارين ٥٦

سوق الهرج - سوق النصاغة ٥٧

٥٨	سوق الشورجة - سوق حنون - سوق اليمنجية
٥٩	سوق الميدان - سوق السراي
٦٠	سوق الجديد
	اشهر المقاهي في بغداد :
٦١	مقهى سبع
٦٢	مقهى وهب - مقهى عزواي - مقهى كل وزير
٦٣	مقهى القرائنة - مقهى المميز
٦٤	مقهى البيروتي - مقهى اعكيل - مقهى العنبار
٦٥	مقهى ملا حمادي - مقهى العبد
٦٦	مقهى التبانة
٦٦	نطاح الكباش وعراك الديكة - تربية الطيور
٦٧	عازف الرباب
٦٨	القصاص
٦٩	الحلاقة والحلاقون
٧٠	الشحاذة والشحاذون
٧١	الزورخانه والرياضة
٧٢	محلات بغداد ورؤساؤها
٧٤	الحمامات في بغداد
٧٥	الارواء واسالة الماء
٧٨	ماكنة الثلج - المواد الغذائية وأسعارها
٧٩	الاطعمة الناضجة
٨٠	الاطعمة غير الناضجة
٨١	باب المعظم
٨٢	معرض حيواني - منتزه الميدان

٨٣	طوب أبو خزيمة
٨٤	ليلة النصف من شعبان
٨٥	ليالي رمضان المبارك
٨٦	الصينية والمحبيس - العابد القره كوز
٨٧	أيام الاعياد
٨٩	حفلات المولد النبوي
٩٢	مجالس الفواتح والتعازي
	القراء والمقرؤون المجودون :
٩٦	الخواجة محمد سعيد
٩٦	الحاج محمد كنبار
٩٧	الحاج أحمد الافغاني - ملا خليل المظفر
٩٧	الشيخ عبد الرزاق الحلاوية
٩٨	الشيخ اسماعيل أمام الباشا
٩٨	الحاج عيسى روي - السيد جعفر الواعظ
٩٨	الشيخ عبد السلام
٩٩	الملا عمر خطاب الخضيرى
٩٩	الشيخ عثمان الموصلى - الشيخ حسين الافريدوني
١٠٠	السيد محمود حموشي الموصلى
١٠٠	الشيخ عبد الله الوسواسى الموصلى
١٠٠	الشيخ عبد المجيد ملوكى - الشيخ ابراهيم الرومى
١٠١	الشيخ محمد أمين الانصارى
١٠١	السيد أحمد المشهور بابن (جمانة)
١٠١	ملا محمد الحاج فليح - الحافظ الشيخ عبد الوهاب

١٠٢	ملا عبد الوهاب الحافظ
١٠٢	ملا علي الدرويش - السيد محمد صالح
١٠٣	الحاج محي الدين مكي - السيد اسماعيل ابراهيم الراوي
١٠٣	ملا جاسم الضرير
١٠٤	حفلات الاعراس
١٠٥	حفلات الختان
١٠٦	لعبة الساس
	مجالس الانس والطرب :
١٠٧	المقام العراقي والمغنين
١٠٩	الجالغي البغدادي - البستات البغدادية القديمة
١١٠	رشيد القندرجي
١١١	يوسف حوريش - نجم الشихلي
١١٢	محمد القبانجي
١١٢	نبذة وجيزة عن مقام البهرزاوي
١١٤	مجيد كركر
١١٥	حسن مصطفى - الحاج سبع القصاب
١١٦	أحمد ملا علي
١١٦	السيد شاكر البناء
١١٦	البستات العراقية الحديثة
١١٩	أغاني اليهود
١٢٠	ميدان العبيد
١٢١	الملاهي وأثرها
١٢٢	مقتل نعيم

١٢٤	الراقصات في بغداد
	السجون في بغداد :
١٢٧	حبس الاوردي
١٢٨	حبس القلعة
١٢٩	حبس السراي
١٣٢	المخافر ورجال الامن
	مشاهير الاشقياء :
١٣٥	عباس السبع
١٣٦	صالح ابن الدهان
١٣٧	طه ابن الخبازة
١٣٨	عمران الشبلوي
١٤٠	محمود الملقب ممودي
١٤١	الشقي ممودي يتسلب
١٤٢	ابراهيم ابن عبدكه
١٤٥	مقتل ابن عبدكه
١٤٦	سلاح الاشقياء
	الجسور في بغداد :
١٤٨	جسر قرارة (كرارة)
١٤٩	جسر الخر أو المسعودي - جسرا بغداد والاعظمية
١٥١	عزل نامق باشا
١٥٣	الحرب بين ابن الرشيد وابن سعود
١٥٨	تأسيس دائرة الطابو - البريد والبرق
١٥٩	مطبعة دار السلام

اعلان الدستور العثماني (الحرية).....١٦١
الصحافة في بغداد :

الجرائد :١٦٣

بغداد١٦٣

العراق - الرقيب - الارشاد - الانقلاب١٦٤

التعاون - الروضة - الحقيقة - صائب١٦٥

صدى بابل - الزهور - بين النهرين - فليتخ (أي السيف)١٦٦

الرياض - يلدرم (أي الصاعقة) - الظرائف - اخوت١٦٧

الرصافة - مصباح الشرق - صائب - سبيل الرشاد١٦٨

الوجدان - خانجغان - خان الذهب - سيف الحق١٦٩

البلبل - أفكار عمومية - يكي موده (المودة الجديدة)١٧٠

كرمه ونرمه (حار وبارد)١٧٠

الاسرار - الصاعقة - المصباح - دونبد - النوادر١٧١

المصباح الاغر - الحقوق - المضحكات - القسطاس١٧٢

تفكر - المعارف - الرياحين - شمس المعارف١٧٣

النهضة - غنجه اتحاد - مكتب - صدى الاسلام١٧٤

المجلات :

زهيرة بغداد - الايمان والعمل - تنوير افكار١٧٥

العلوم - لغة العرب - الرياحين١٧٦

الحياة - الرصافة - جهاد - شمس المعارف١٧٧

سبل الرشاد - الغرائب - مقتسبات - النور١٧٨

بانك كرد (صدى الكرد)١٧٩

الالاقاب العثمانية - العرائض في اللغة العربية١٨٠

النقود العثمانية الذهبية - النقود العثمانية الفضية١٨١

١٨٣	مجلس المبعوثين - النواب
١٨٤	خلع السلطان عبد الحميد ونصب محمد رشاد
١٨٥	الوالي ناظم باشا
١٨٦	فتاوى العلماء
١٨٧	تنظيف الطرق
١٨٨	الكلاب السائبة - فتح شارع النهر
١٨٩	جمع العشائر لعمل السد - الافطار في رمضان
١٨٩	عزل ناظم باشا
١٩١	قتل ناظم باشا
١٩٢	الوالي جمال باشا
١٩٤	استقالة جمال باشا

أهم الحوادث في بغداد :

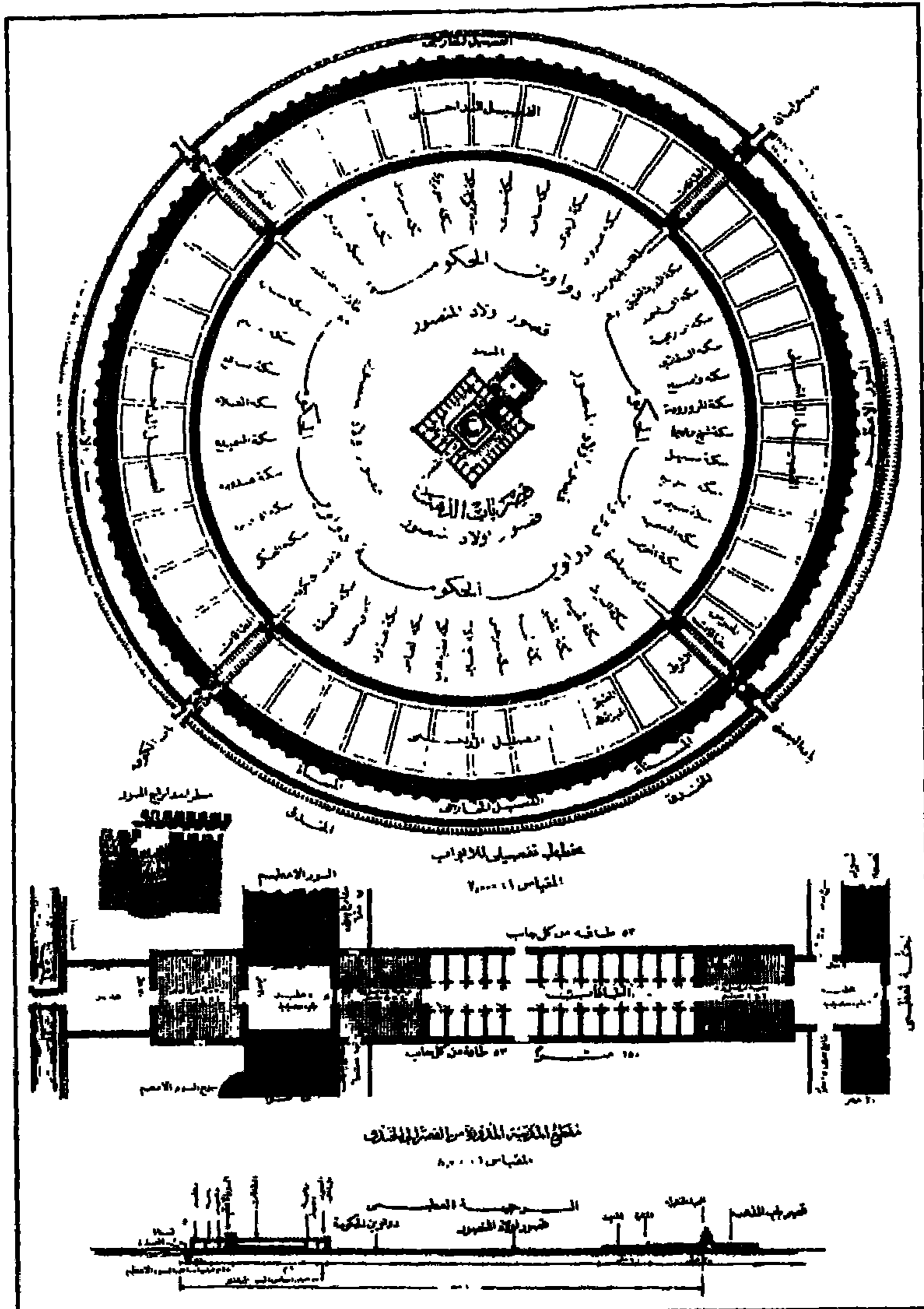
١٩٥	شاه ايران
١٩٥	سقوط مطر في الصيف
٢٩٦	قحط وغلاء - الهیضة (أبو زوعة)
١٩٧	المشير رجب باشا - كنز نقود عباسية
١٩٨	اهتزاز في بغداد - سقوط وفر (ثلج)
١٩٩	سكة حديد بغداد - حريق في خان النفط
٢٠٠	حريق ثاني في معمل العباخانة
٢٠٠	حريق ثالث في سوق الشورجة
٢٠١	استشهاد محمود شوكت باشا

العلماء المبرزون قبل الدستور العثماني :

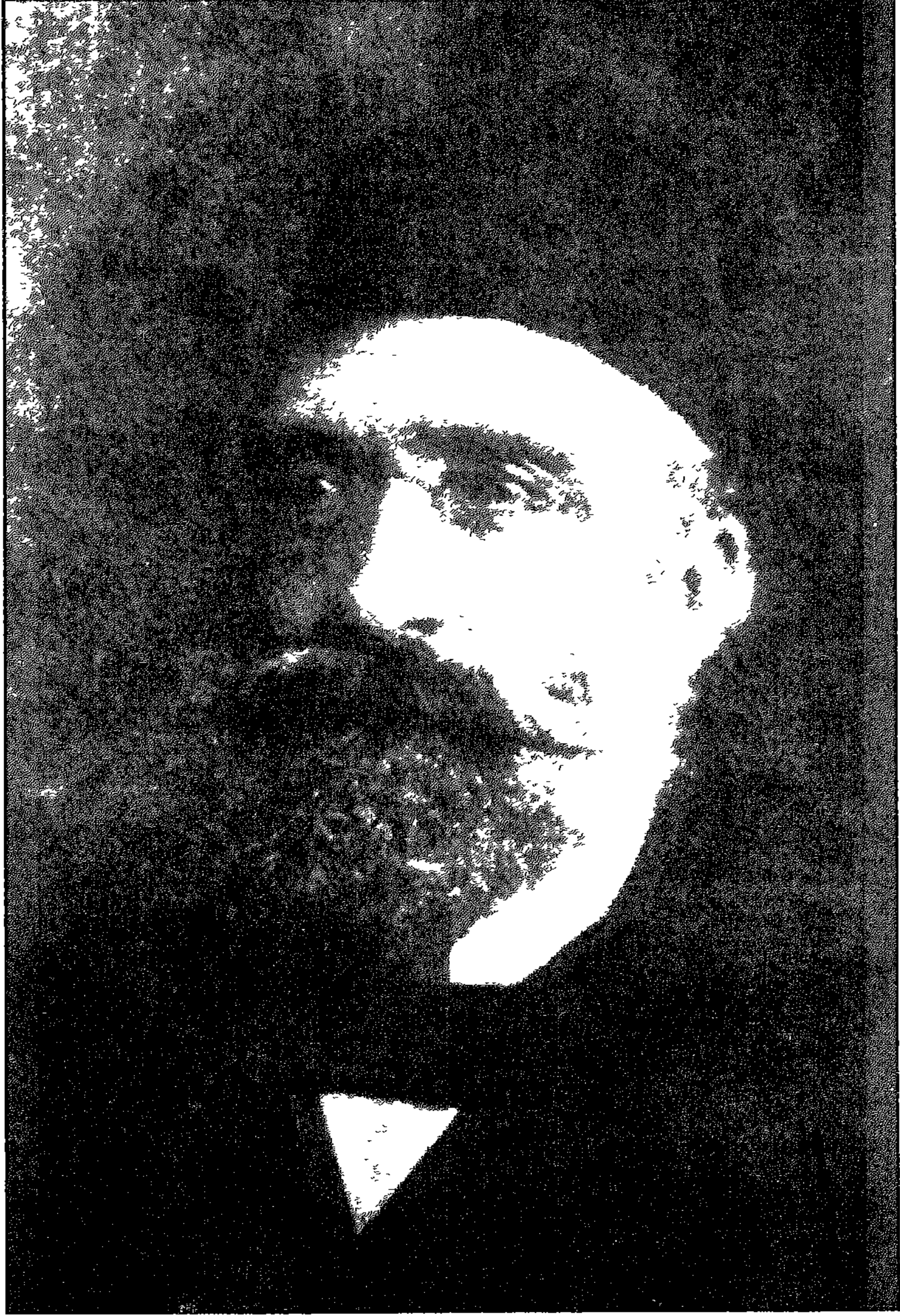
٢٠٥	العلامة الشيخ داود النقشبندی
٢٠٦	اغتيال النائب نجم الدين

العلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي	٢٠٧
العلامة الشيخ عبد الوهاب الحجازي	٢٠٩
السيد سلمان النقيب	٢١٠
العلامة السيد نعمان خير الدين الآلوسي	٢١٣
العلامة محمد آل جميل	٢١٤
السيد حسين آل السيد حيدر	٢١٥
العلامة الشيخ قاسم البياتي	٢١٦
العلماء المبرزين بعد الدستور العثماني :	
العلامة مصطفى نور الدين الواعظ	٢١٨
العلامة الشيخ سعيد النقشبندي	٢٢٠
العلامة السيد علي علاء الدين الآلوسي	٢٢٣
العلامة السيد محمود شكري الآلوسي	٢٢٤
العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب	٢٢٨
العلامة الشيخ محمد حسن كبة	٢٣٣
الشعراء المبرزون في عهد الدستور العثماني :	
جميل صدقي الزهاوي	٢٣٦
معروف الرصافي	٢٣٨
العلامة الشيخ محمد رضا الشيببي	٢٤٠
الحاج عبد الحسين الازري	٢٤٢
عبد الرحمن البناء	٢٤٤
اعلان الحرب العالمية	٢٤٧
غرق بغداد	٢٤٧
شيخ سعيد النقشبندي يخطب بالناس	٢٤٨
اعلان الجهاد	٢٤٩

٢٥٢.....	أول طائرة انكليزية فوق بغداد
٢٥٢.....	اعدام أشخاص صلبا في بغداد
٢٥٢	القائد الالماني غولج باشا
٢٥٣	انتحار القائد سليمان عسكري
٢٥٣.....	استشهاد محمد فاضل باشا الداغستاني
٢٥٤.....	الوالي خليل باشا
٢٥٦	تسليم الجيش الانكليزي المحصور في الكوت
٢٥٧	أنور باشا في بغداد - جادة خليل باشا
٢٥٩	طائرات انكليزية تلقي القنابل على بغداد
٢٦٠.....	سقوط بغداد بيد الانكليز
٢٦٣	مصير آل عثمان
٢٦٥	الولاة الذين حكموا بغداد
٢٦٧	المصادر
٢٦٩	المحتويات
٢٧٩	الصور التاريخية



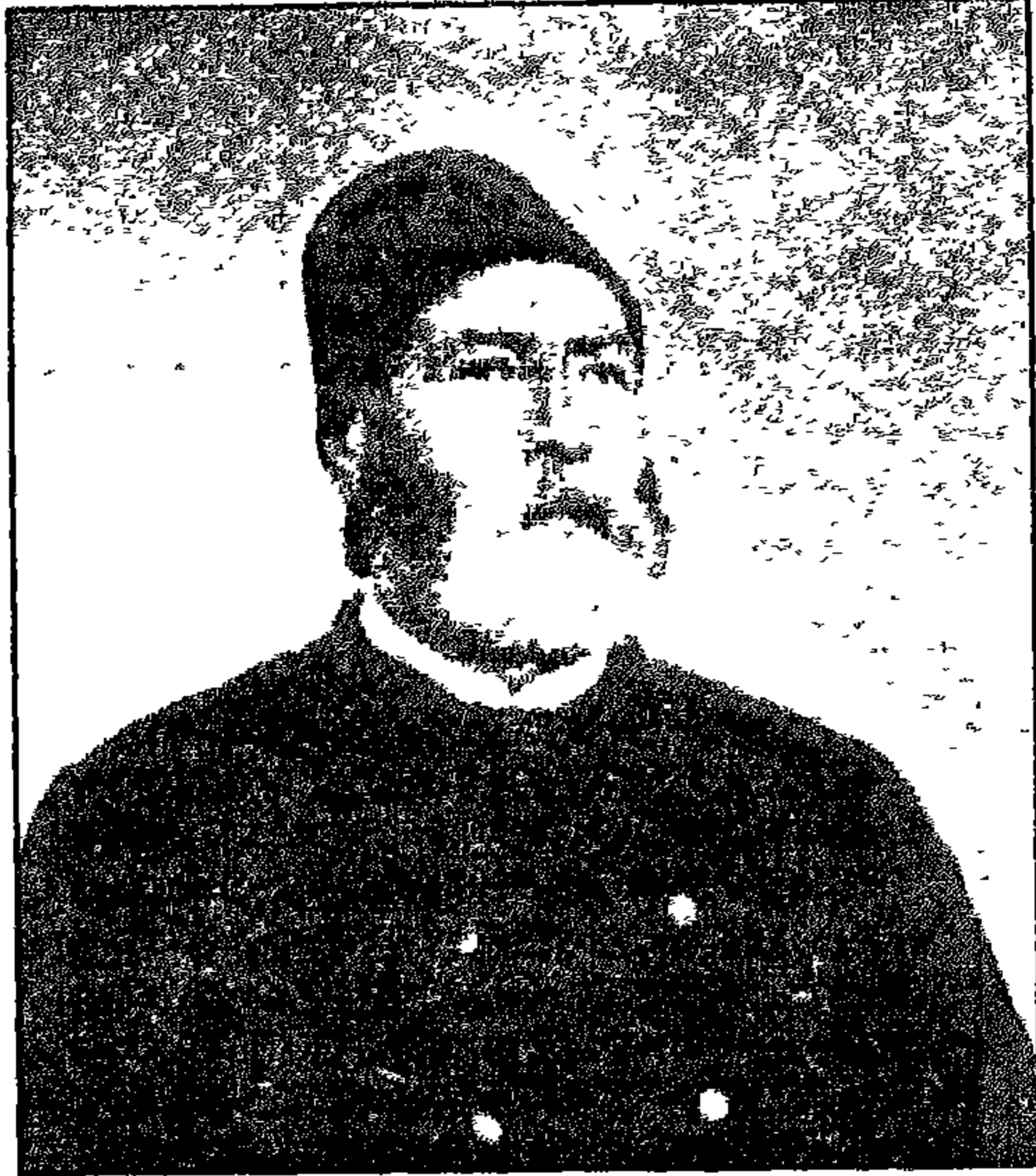
مخطط لمدينة بغداد المدورة عند إنشائها من قبل الخليفة أبو جعفر المنصور



الوالي مدحت باشا
١٢٨٦ - ١٢٨٩ هـ - ١٨٦٩ - ١٨٧٢ م



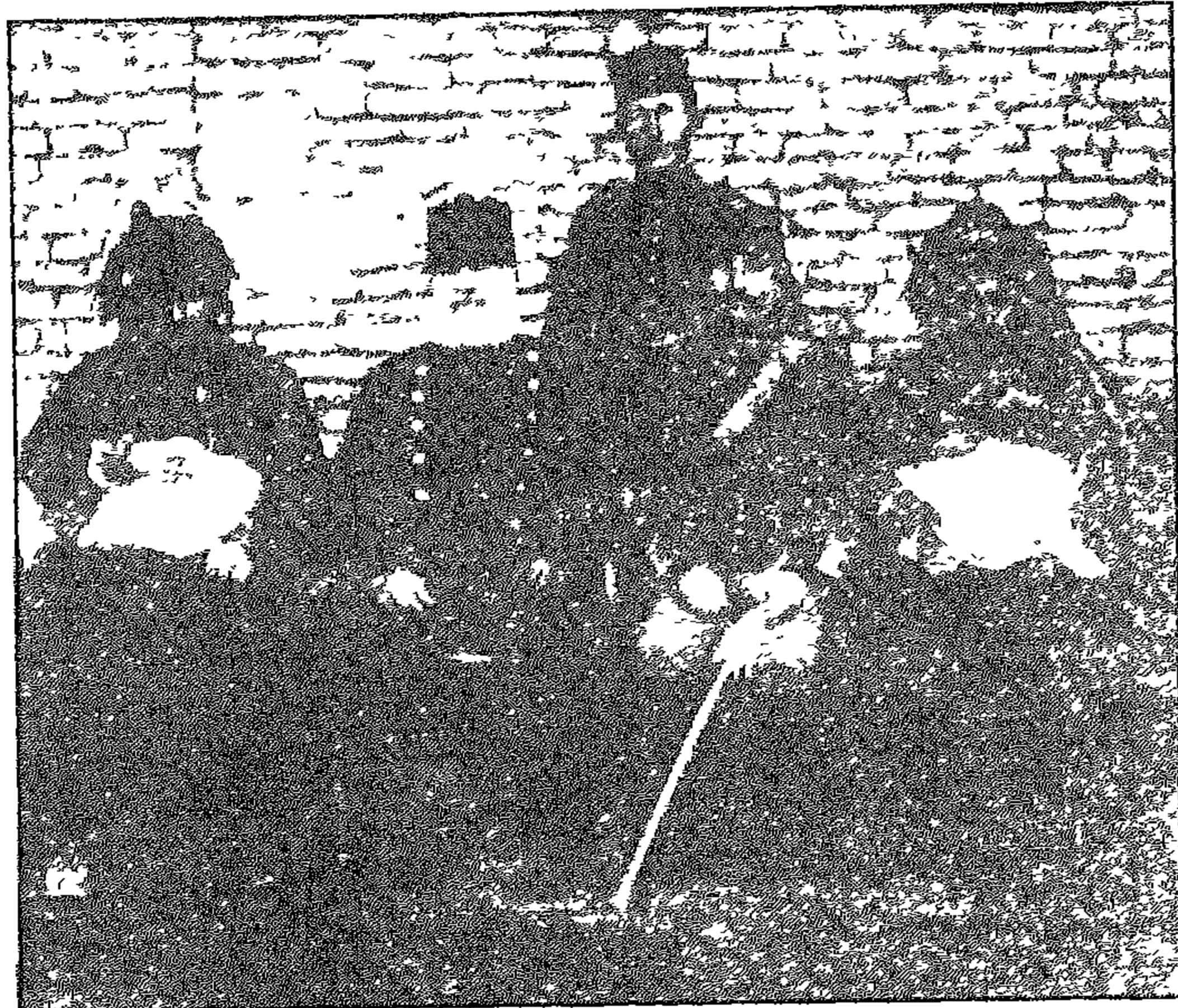
الوالي عبد الرحمن باشا
١٢٩٢ - ١٢٩٤ هـ
١٨٧٥ - ١٨٧٧ م



الوالي الحاج حسن
رفيق باشا والي بغداد
١٣٠٩ - ١٣١٤ هـ
(١٨٩١ - ١٨٩٦ م)



الوالي ناظم باشا
١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ - ١٩١٠ - ١٩١١ م



الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني نائب والي بغداد (١٩١٣ - ١٩١٤م)
١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ وبيمينه فارس آغا من رؤساء بيتندر واخوانه



الوالي سليمان نظيف بك
١٣٣٣ هـ (١٩١٥م)

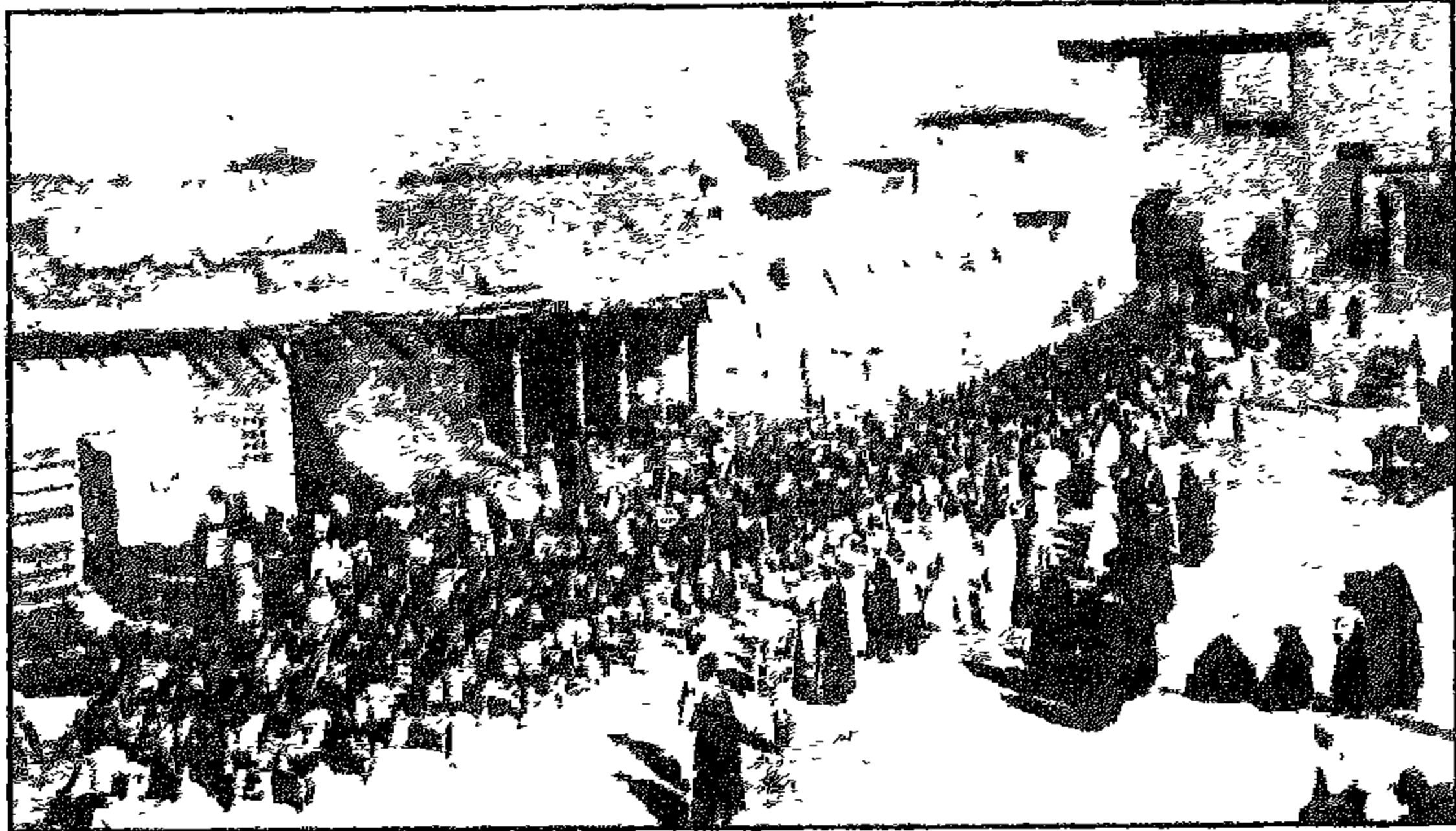


الوالي محمد زكي باشا ١٣٣٠ - ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ - ١٩١٣ م





الرجل الذي ملأ الدنگچیة حشمة وهيبة ووقاراً المرحوم عبد الرزاق
أفندي آل شاکر أفندي (والد الدكتور سلمان فائق)

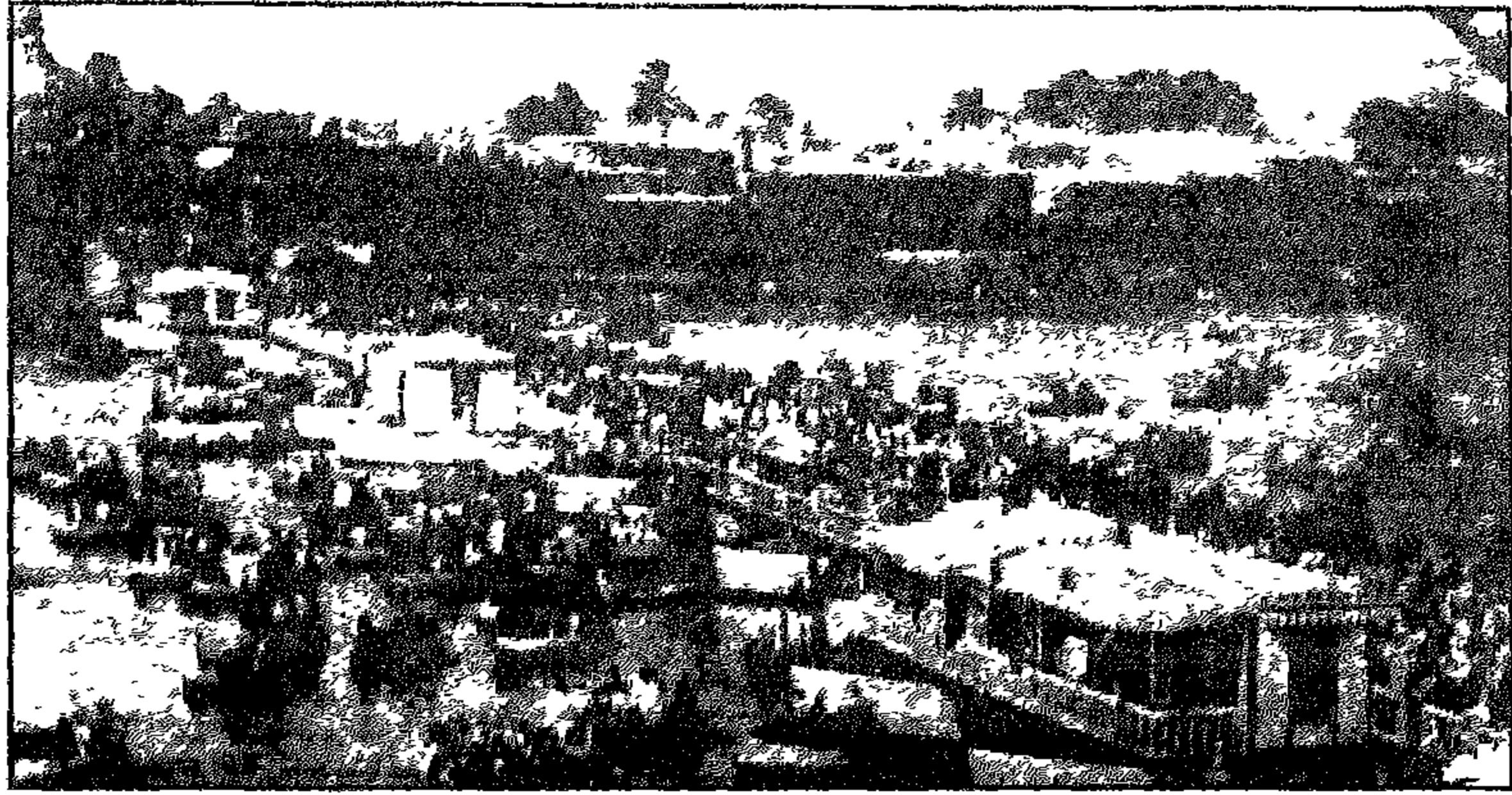


طلائع قوات الجنرال مود وهي تدخل بغداد ١٩١٧م



”ترامواي“ بغداد - الكاظمية زمن مدحت باشا

١٢٨٦ - ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ - ١٢٨٦م)

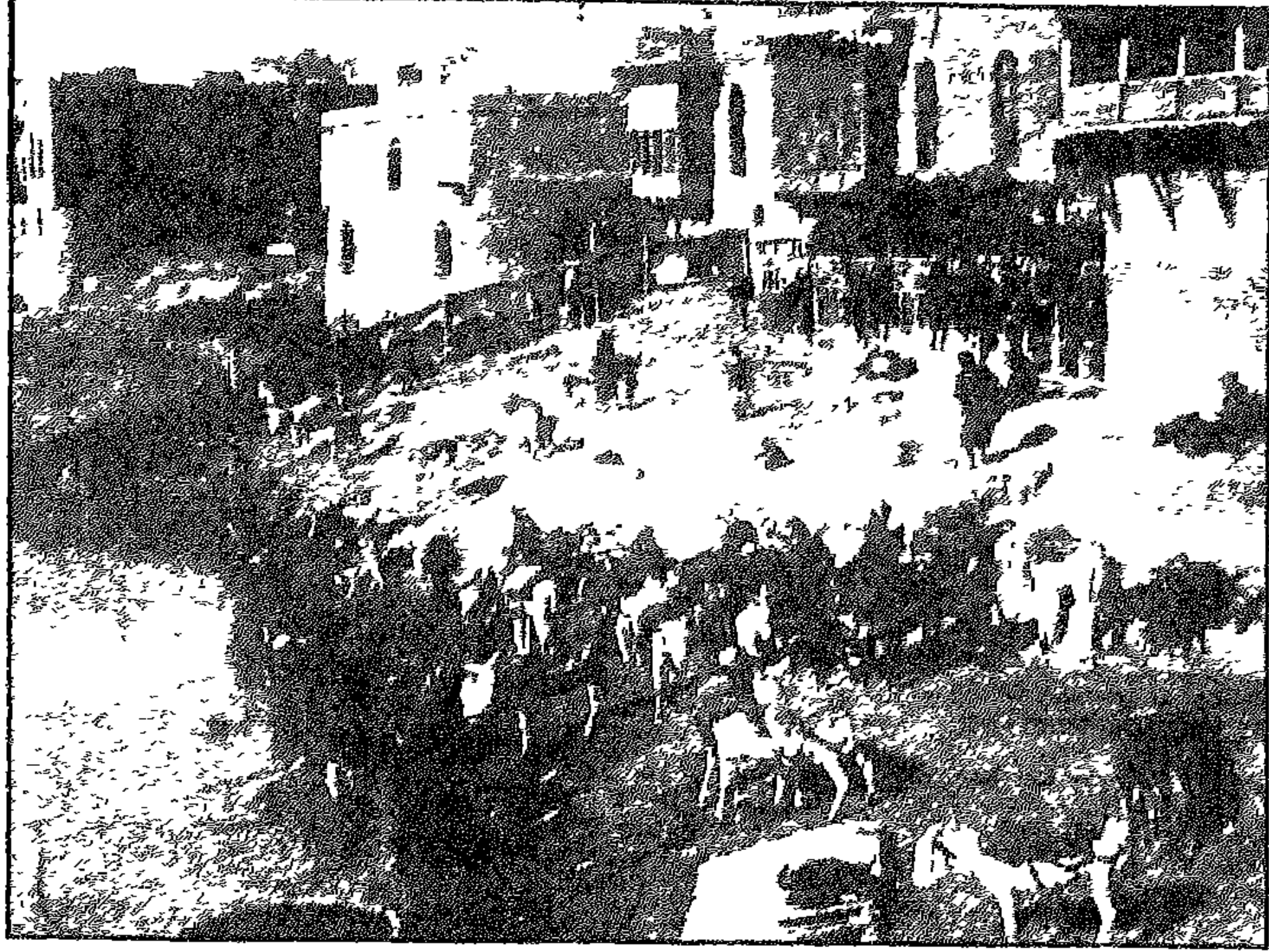


الاحتفال في تدشين جسر بغداد في عهد الوالي نامق باشا

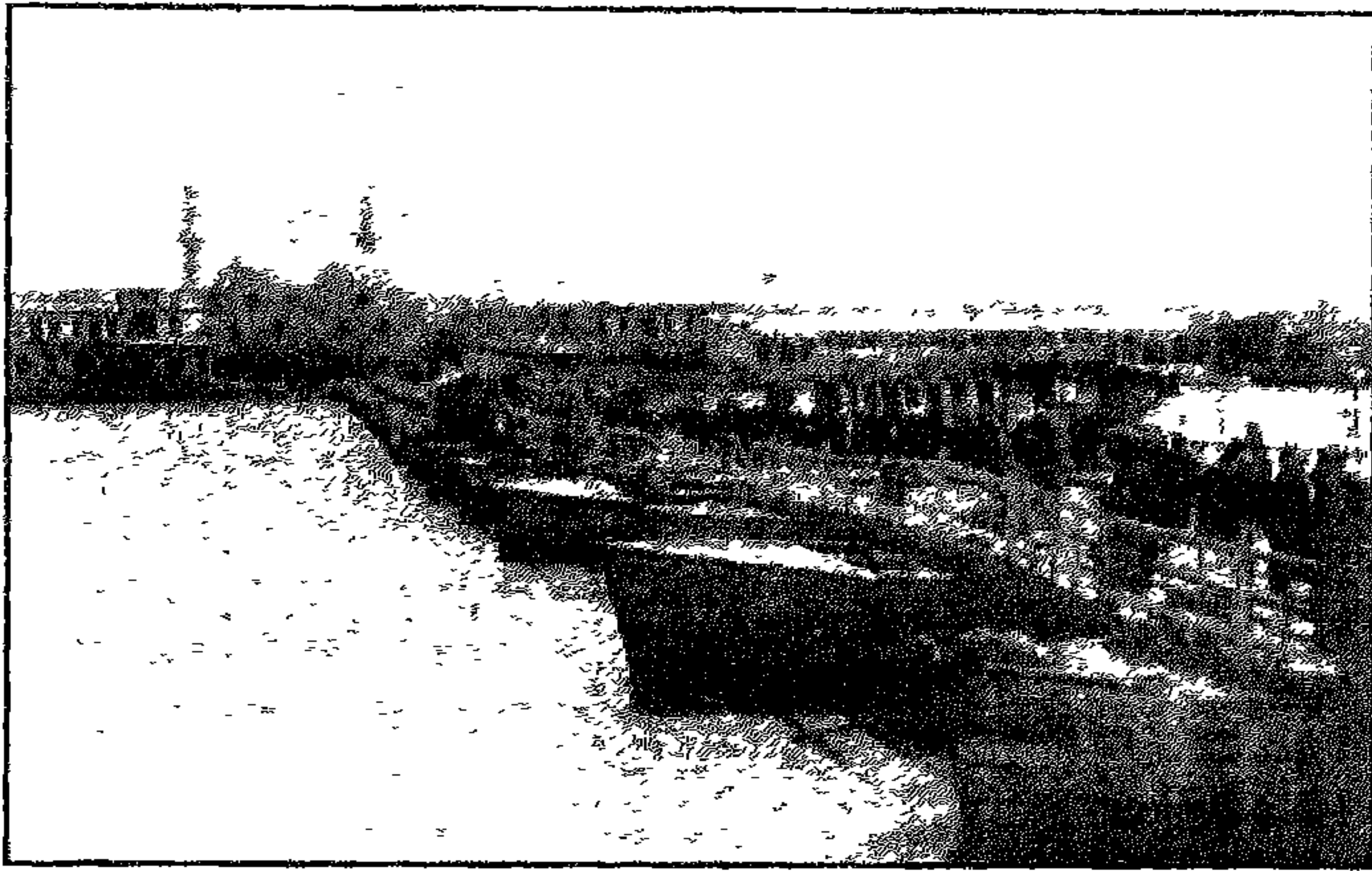
يوم ٢٦ جمادي الاولى ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢م)



البغدادية ذات الخمار الأسود، التي مرت من عكد الصخر
والدنكجية وباب الأغا في طريقها إلى سوگ الصفاير
لتبيّض الجفججير والجهجه والبرج والسليلة

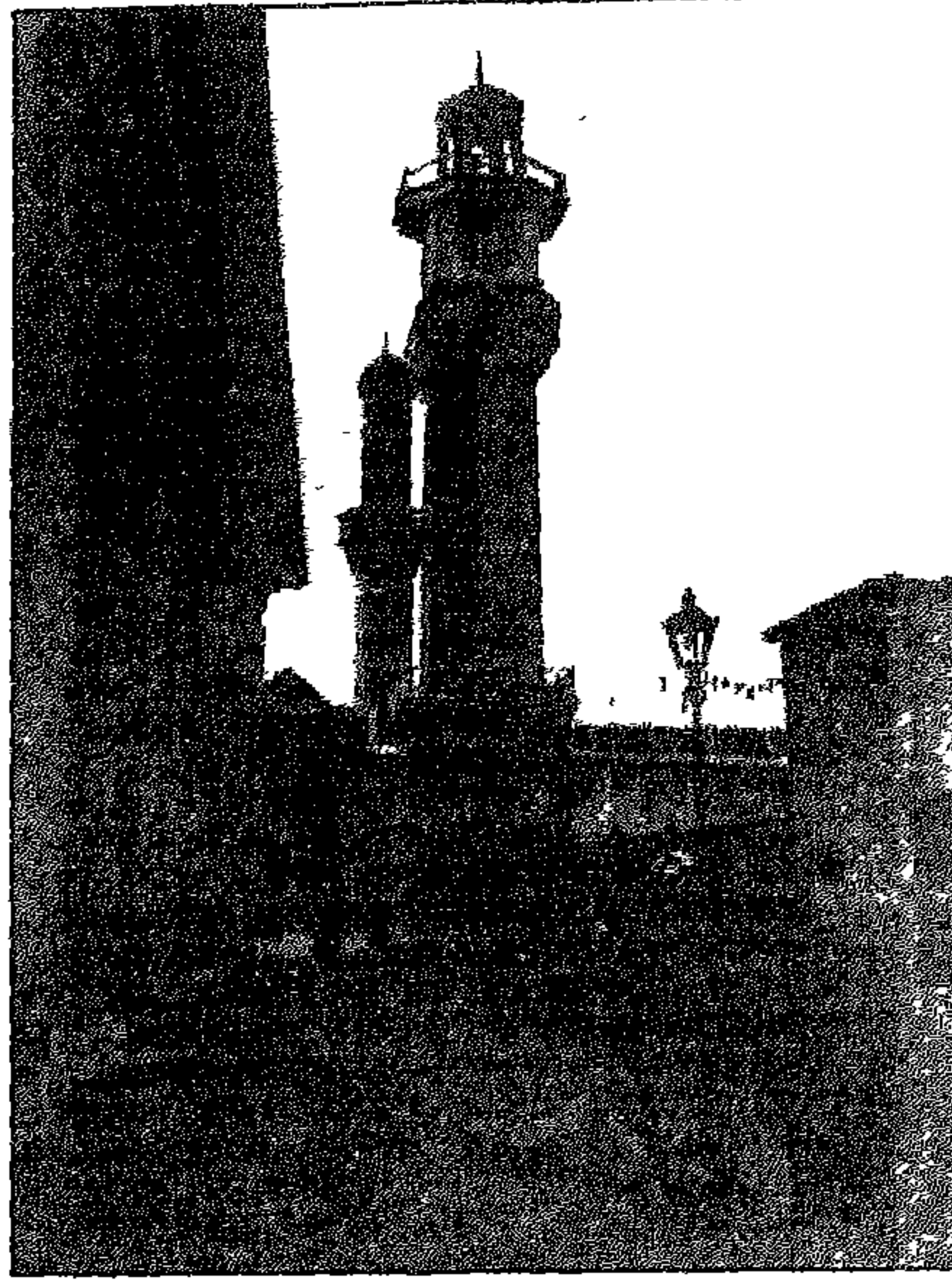


شريعة سيّد سلطان علي في العهد العثماني، وتستخدم الحمير
لنقل كُرب ماء الشرب إلى الأهليين، والكفة كواسطة من وسائل
النقل النهري، كما تستعمل الشريعة لتعليم السباحة



من الجسور التي كانت قيد الانشاء عند المباشرة بكتابة الكتاب هما جسر
١٤ رمضان في الأعظمية وجسر الرشيد في محلة السنك - شارع الرشيد

تسنگرق الرحلة بين
الدنگجية وبين مرقد الشيخ
عبد القادر الكيلاني بعربة
(الريل) قرابة الساعة أيام زمان

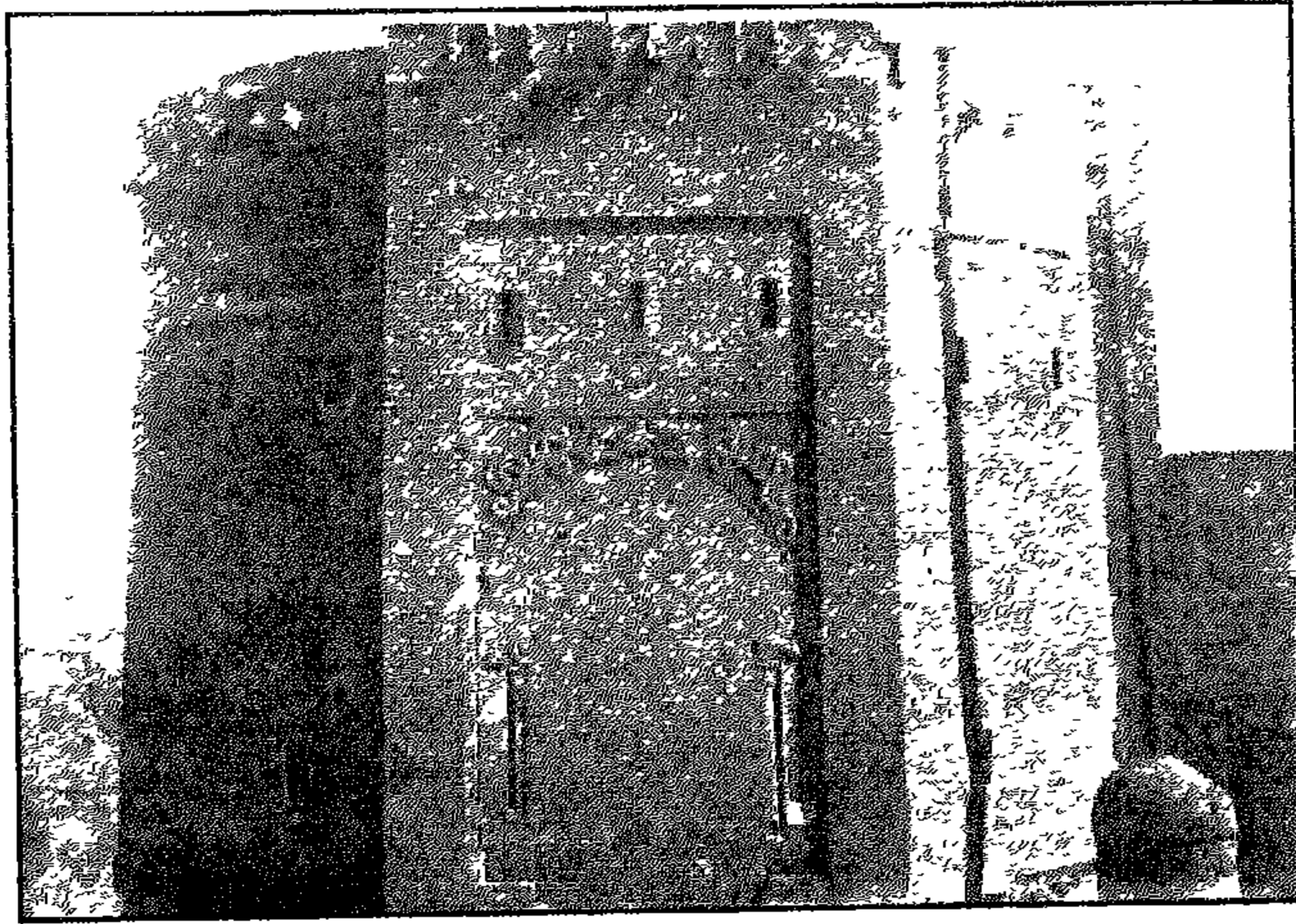


شارع بابا الشيخ، من أهم
شوارع بغداد الأمس وفي
موسم الأمطار يتحول إلى
نهر من الأوحال



گھوٹ الشاہیندر، مقابل سوگ السرای

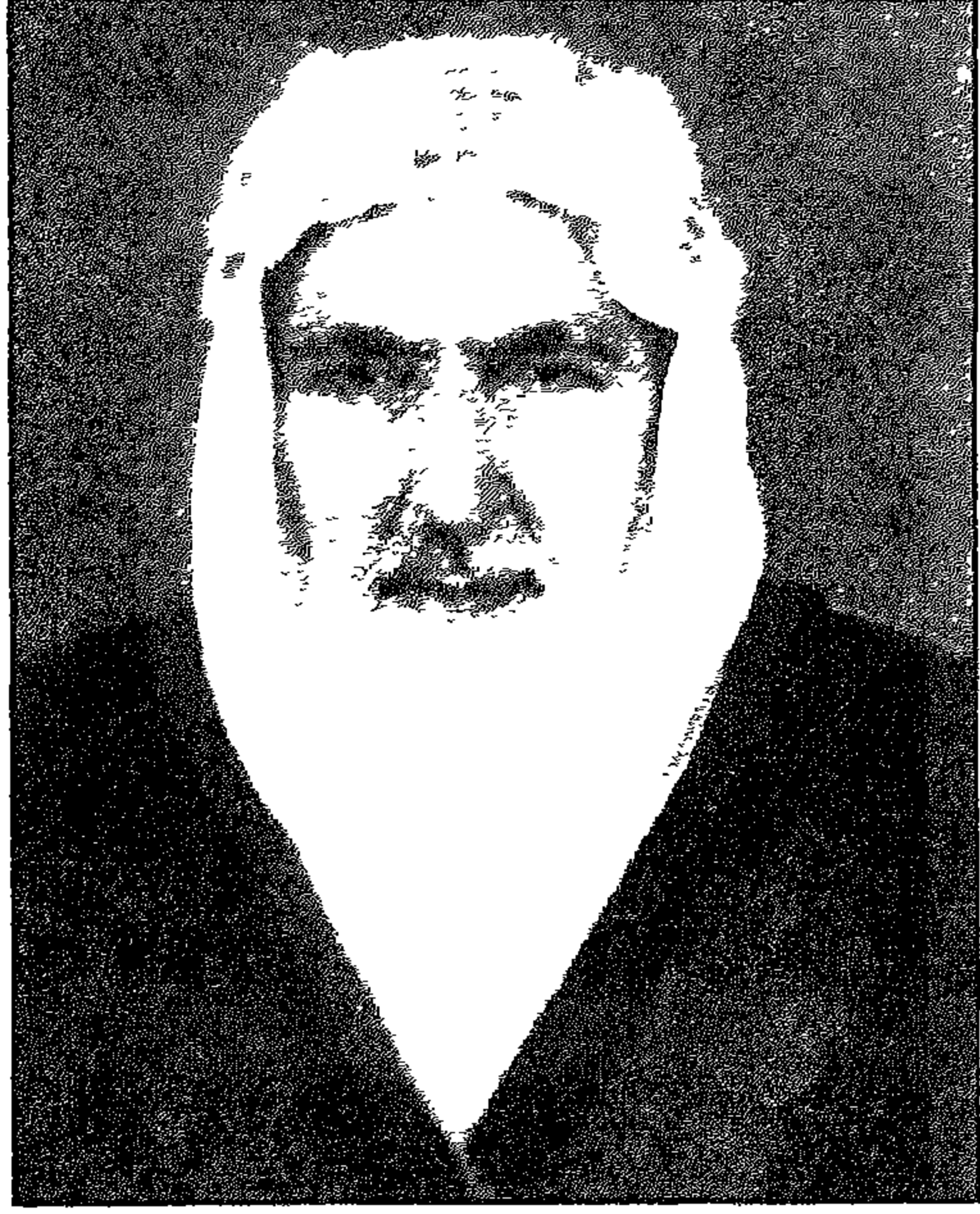
وقد شيدت في موقع مطبعة الشاہیندر، أول مطبعة عربية - تركية في
بغداد الأمس واشتهرت بالمقام العراقي الذي يغنيه رشيد القندرجي



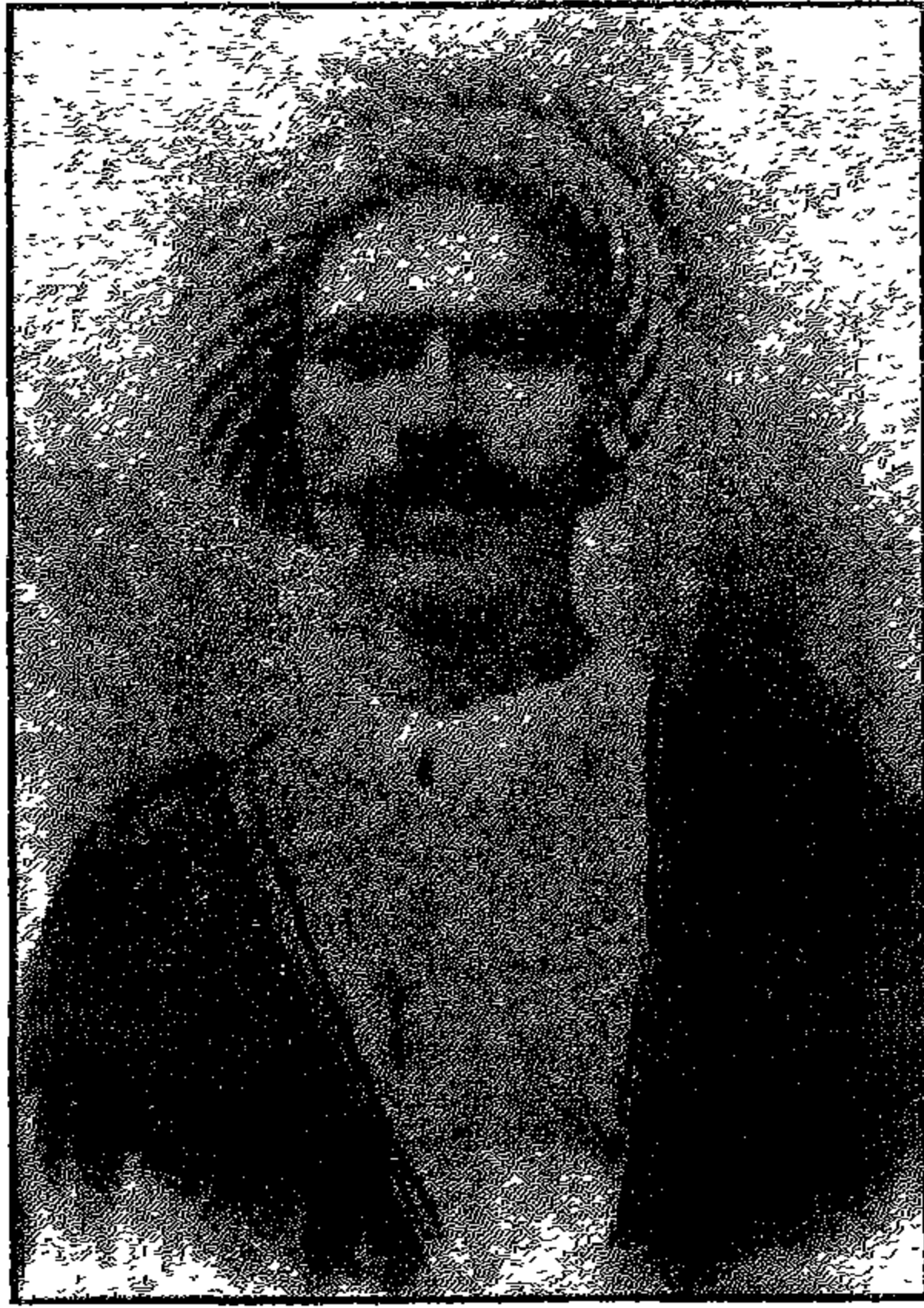
باب الطلسم، المعروف تاريخياً بباب الحلبة، وهو مخزن البارود الذي
فجّره الأتراك ليلة انسحابهم من بغداد في ١١ مارت سنة ١٩١٧



الشاعر معروف الرصافي



المرحوم الشيخ محمد
نصيف وهو من أعيان
مدينته جدة وعلمائها



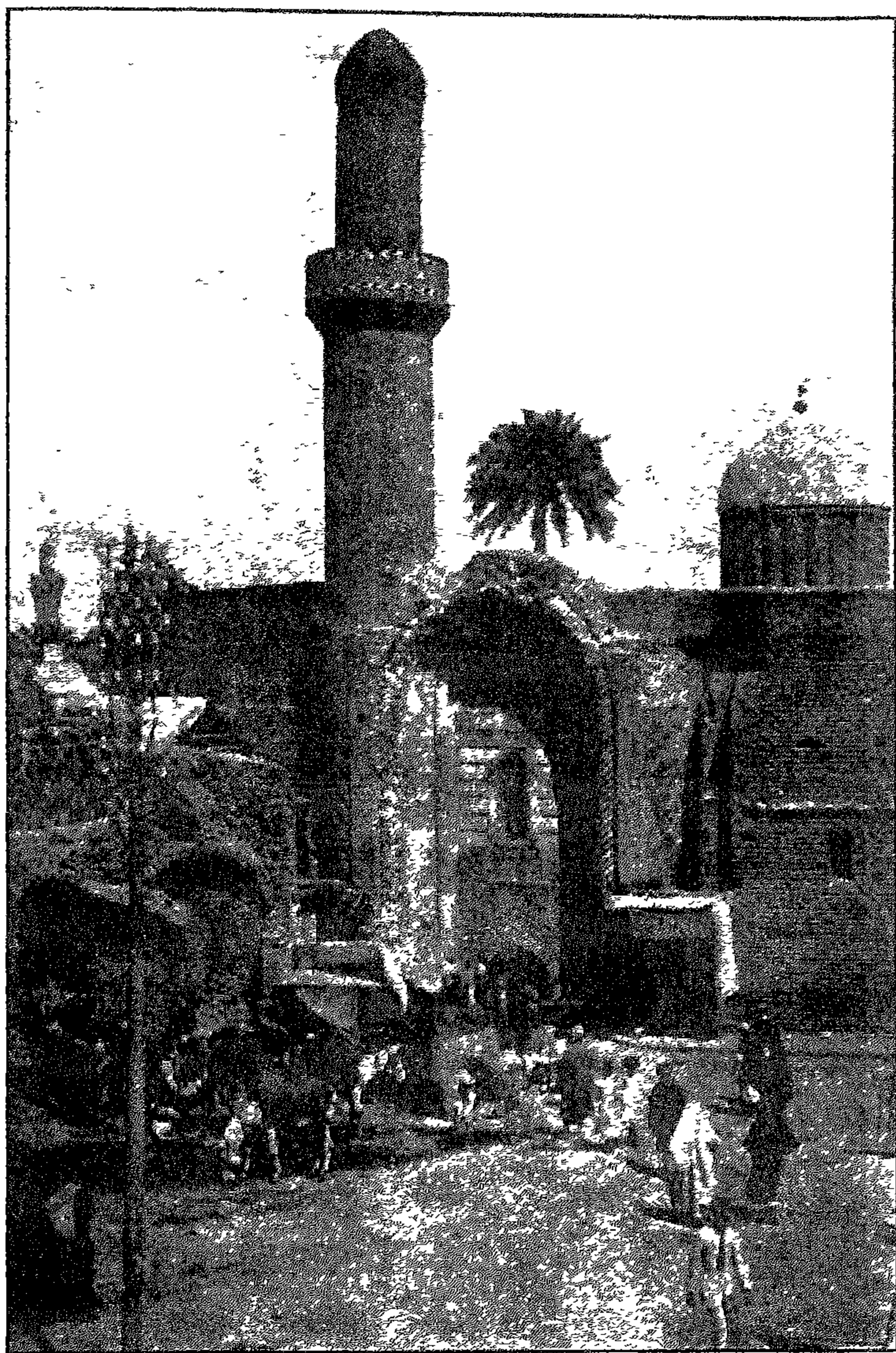
قارئ المقام، نجم الشيخلي (النَّيَّار)
بن عبدالله بن صفاء الدين
الشيخلي، ولد في بغداد سنة
١٨٩٢ وتوفي فيها سنة ١٩٣٨، وأخذ
المقام عن شلتاغ وخليل رنار
ورحمة نبطار، الذين بدورهم
أخذوه عن أستاذهم وعميدهم
أحمد زيدان، وهؤلاء وكثيرون غيرهم
كانوا يتبارون في المقام في كهورة
المميز التي كانت يومئذ معهداً
للمقام العراقي ومنتدى ليلاً (نايت
كلوب) للجالفي البغدادي!



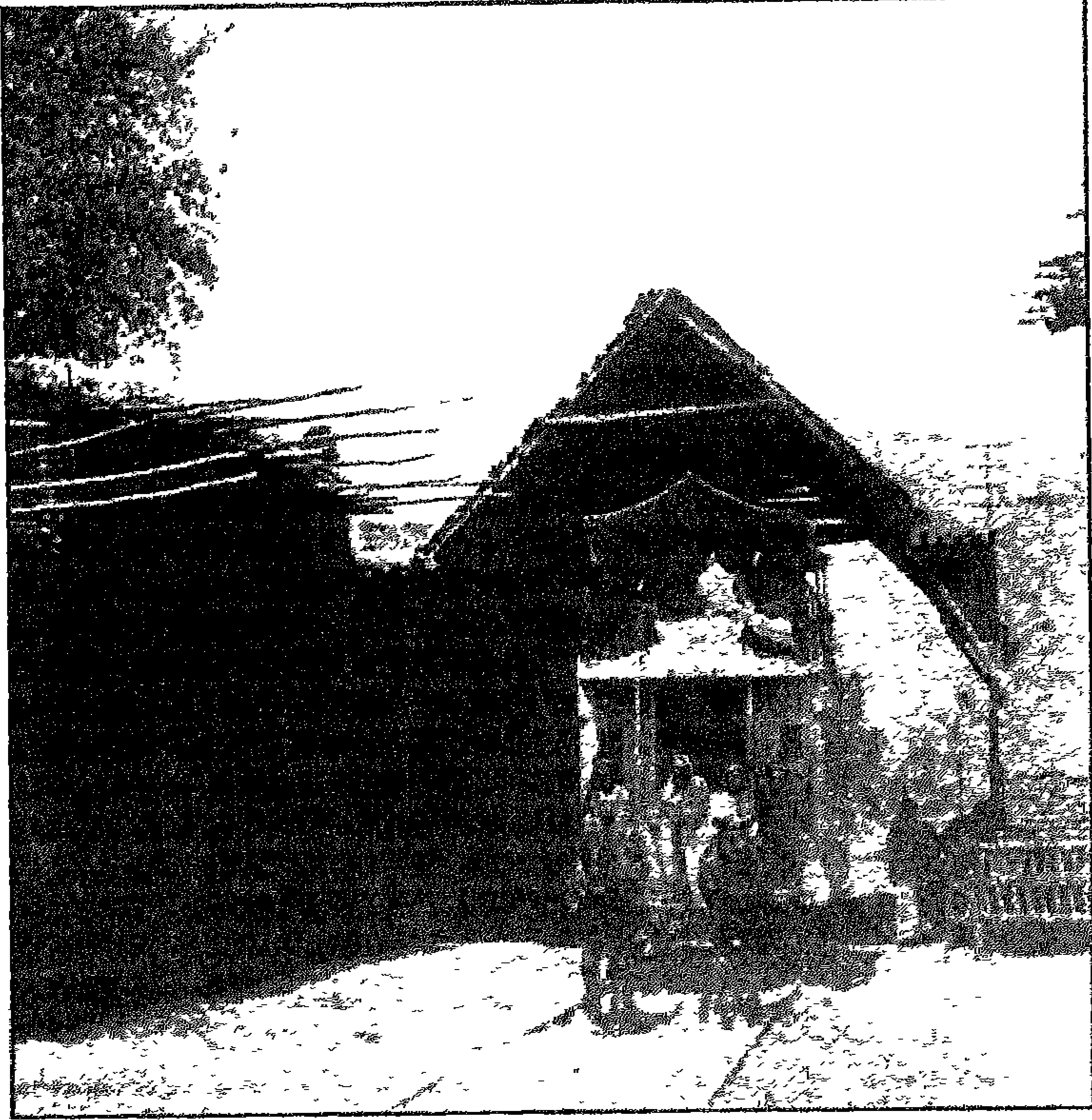
السقا الذي يحمل الغربة علي الحمار وبيده الباكورة، ليوصل
ماء الشرب من الشريعة إلى دور السكن في بغداد الأمام



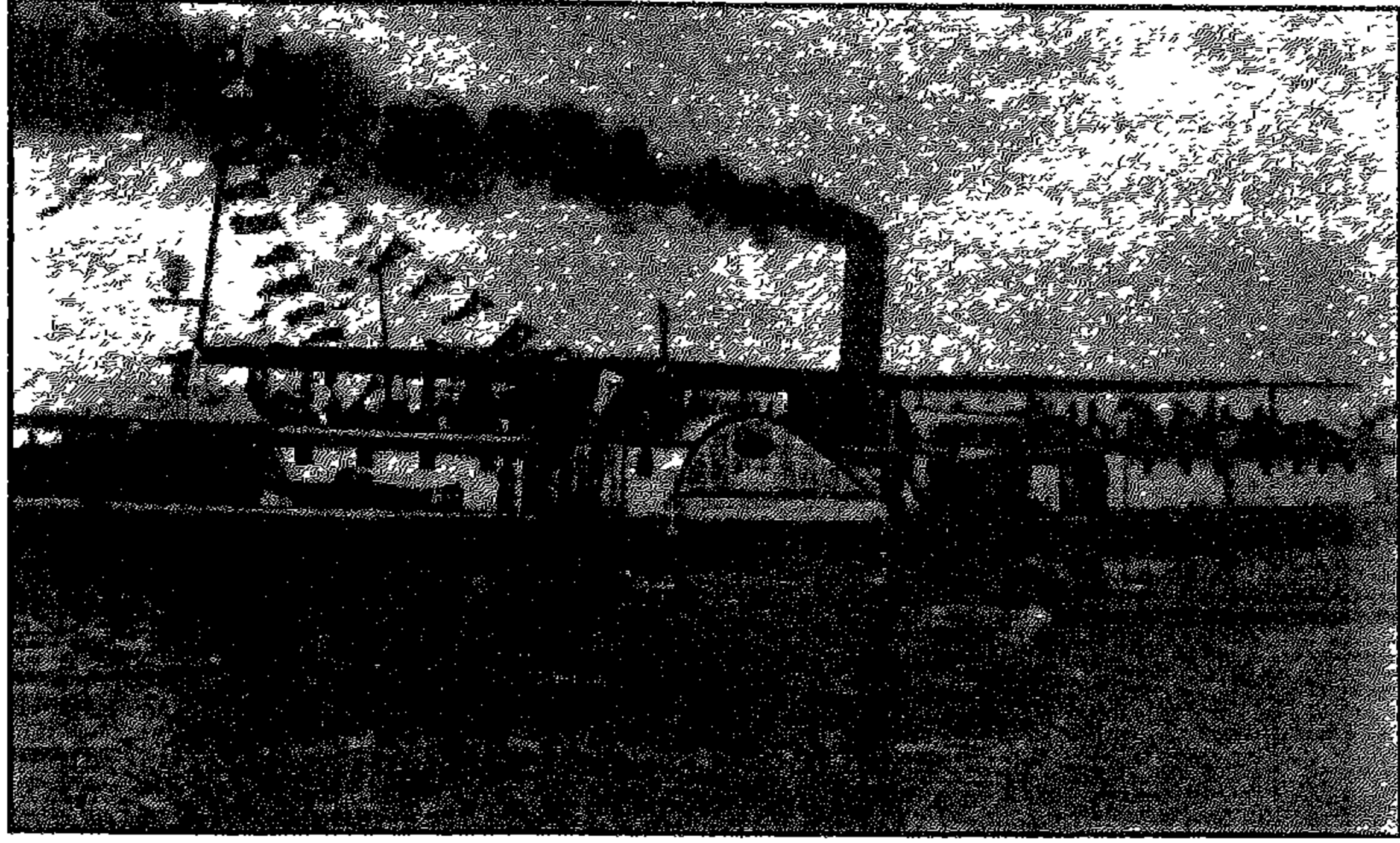
خبز باب الآغا: «حار ومكسب ورخيص»



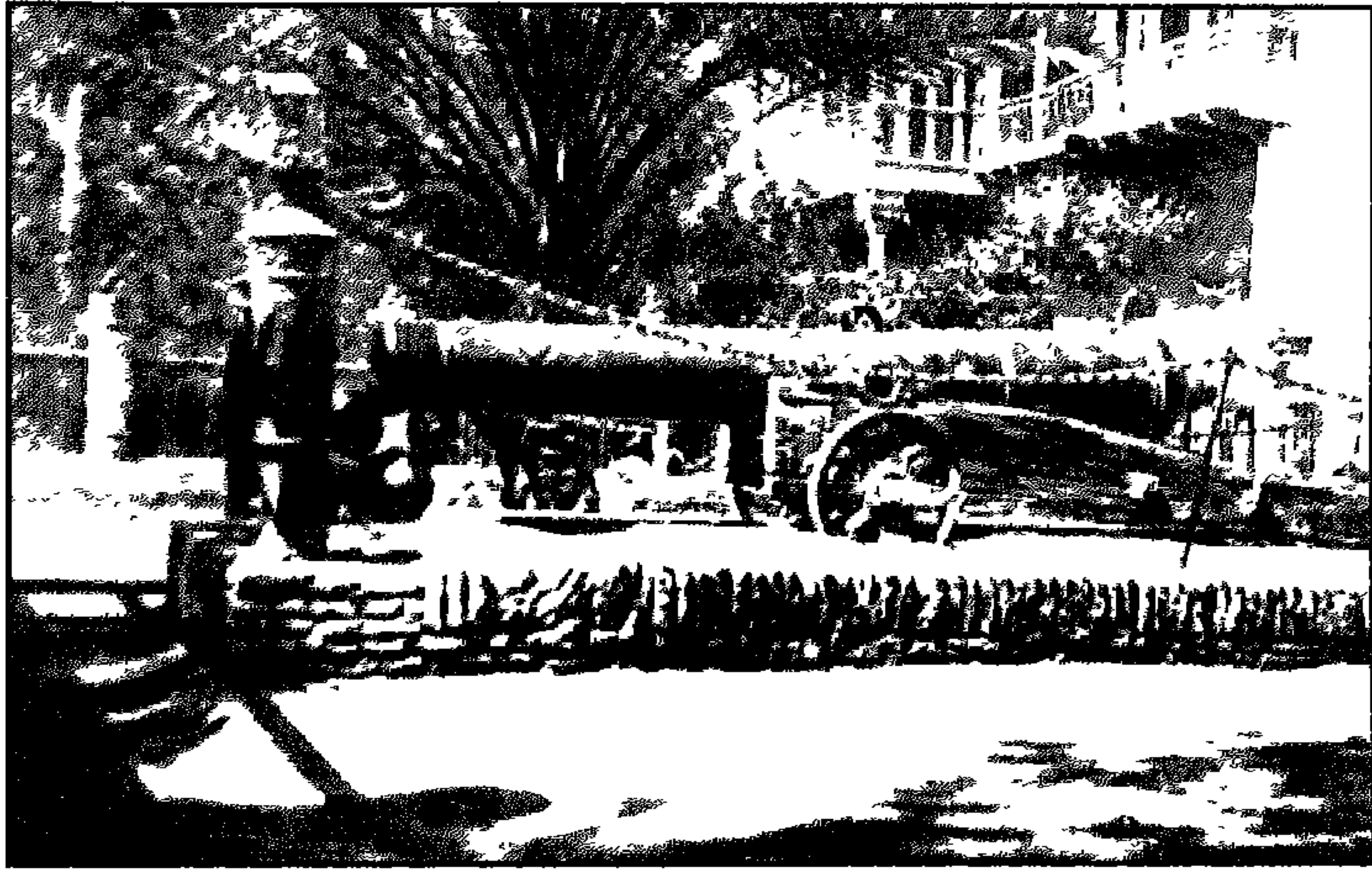
جامع مرجان في أوائل الاحتلال البريطاني لبغداد



مكاري الكاظم في بغداد الأمس. الذي يقطع المسافة بين صوب
الكرخ والكاظمية بحوالي الساعة بضمنها الانتظار في (كهوة
الكاريات) وتبديل الخيل في (المنطقة). والتوقف في قصر (أبو
الآيل). والنزول قرب (باب الدروازة) في الكاظمية.



الباخرة حميدية كانت الواسطة النهرية الوحيدة للسفر بين بغداد والبصرة



طوب أبو خزّامة: ان من لم يدخل رأسه في فوهة هذا الطوب لا
يحمل (الجنسية البغدادية) الأصبلة. موقعه القديم أمام مدخل
(القلعة) الجانبي. إلى الجهة اليسرى منه المدرسة المأمونية وإلى
الجهة اليمنى كهوة البقجة (كهوة سيد بكر). موقعه الحالي في
ساحة الميدان



الجنود الانكليز في طريقهم إلى الكويت

يعد كتاب «بغداد القديمة» من أهم الكتب النادرة والموثقة التي قام بتدوين أحداثها أولاً بأول الكاتب عبد الكريم العلاف ، وهي الأحداث التي مرت على بغداد منذ عهد الوالي مدحت باشا وحتى الاحتلال الانكليزي عام ١٩١٧ م .

عندما تقلب - أيها القارئ العزيز - صفحات هذا الكتاب ستجد فيه صفحات مطوية لفترة مهمة من حياة مدينة بغداد التي بناها الخليفة أبو جعفر المنصور ، كيف كانت خلال تلك الفترة . معاهدها العلمية ، مستشفياتها ، أسواقها ، مقاهيها ، حماماتها ، حفلات المولد النبوي ، قراؤها والمقرؤون المجوّدون ، مجالس الأتس والطرب ، سجونها ، مشاهير أشقيائها ، جسورها ، صحافتها ومجلاتها ، أهم حوادثها ، علماءها ، شعراؤها ، سقوطها بيد الانكليز ، ولاتها الذين حكموا بغداد .

إنه كتاب موسوعي خدير بالقراءة لأنه يمثل أهم فترة من تاريخ العراق السياسي

Biblioteca Alexandrina



0261815

